وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مناهج المفسرين

تأليف

الدكتور مساعد مسلم آل جعفر

محي هلال السرحان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مَنَاهِجُ المفَسِّرِيْن

تأليف

الدكتور مساعد مسلم آل جعفر
استاذ مساعد

محي هلال السرحان
مدرس

الطبعة الاولى
١٩٨٠

ملتزم الطباعة : دار المعرفة

تصميم الغلاف : مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تزخر مكتبتنا العربية باعداد كبيرة من التفاسير التي اتخذت نص القران موضوعاً لدراستها .

ولفهم هذه التفاسير ونهج اصحابها بها رأى مسؤولو المناهج في وزارة التعليم العالي وضع كتاب ضمن مناهج الدراسات الجامعية ، فوضعت مفردات لكتاب ـ مناهج المفسرين ـ وكلفتنا بتأليفه .

فقمنا متوكلين على الله بتأليف هذا الكتاب راجين من الله ان يجعله نافعاً لابنائنا الطلبة ولاخواننا الباحثين في هذا الموضوع .

وقد قام الدكتور مساعد مسلم آل جعفر
بتأليف الباب الاول والباب الثاني بكل ما فيهما وجميع الدراسات في الباب الثالث .

قام السيد محي هلال السرحان
بتأليف ما يتعلق بتراجم المفسرين المذكورين في الباب الثالث ومناهجهم في تفاسيرهم .

نرجو ان يكون عملنا خالصاً لوجه الله .

المؤلفان

بسم الله الرحمن الرحيم
عليه توكلت وبه ثقتي

المقدمة

تبارك الذي انزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا ويكون القرآن منهجا قويما ليس فيه عوجا ولا امتاً ، سالما من اللبس والغموض والحمد لله الذي جعلنا من الامة الوسط التي انزل فيها القرآن الكريم فجعلنا من متبعي سيد المرسلين .

انزل الله القرآن الكريم ـ بعد ان تحرفت النصوص التي جاء بها الرسل عليهم السلام الى الامم السابقة ـ على خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم بالقول الفصل والشريعة الباقية الى يوم الدين .

وهذا القرآن هو السراط المستقيم الذي اراد الله من الانسانية ان تسير عليه وتهتدي بهديه وتنضبط بضوابطه وتقيم عند حدوده حتى تلتقي به سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات .

وكتاب هذا شأنه لا بد من ان يكون مفهوما بكل مفرداته وتراكيبه وهكذا كان فعلا .

فقد فهمه الذين آمنوا بالحق وانصتوا لنداء الله لهم فساروا وراء من قادهم نحو الفلاح ، كما فهمه الذين علموا ان في اتباعه مشقة وخطورة ليسوا بمستوى جنودها المخلصين المضحين بكل اعراض الدنيا لنصرة الحق حتى قالوا عنادا (الغوا فيه لعلكم تغلبون) .

فكان جهاد المؤمنين به يساوي في القوة عناد الجاحدين ، لان المؤمنين فهموا ان فيه سعادتهم في الدنيا والاخرة وسعادة الاجيال التي تأتي بعدهم ، كما فهم الجاحدون ان فيه نهاية عظمتهم وطغيانهم وفيه القضاء على مصالحهم ومكانتهم الاجتماعية القائمة على الباطل والظلم .

انزل الله القرآن الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامره بتبليغه الى الناس كافة ، واستغرق نزوله ثلاثاً وعشرين سنة وفي هذه المدة تغير المجتمع تغيرا جوهريا .

فقد كان المجتمع العربي قائما على قيم ومبادىء اصبحت من العار على الانسان التمسك بها او ادعائها بعد نزول القرآن واستقرار الشريعة وقيام دولة الحق .

كان القرآن الكريم ينزل بمناسبات تساعد على فهم مقصوده او تطبيق حكمه ، ولكن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه على ترتيبه على غير الصورة التاريخية التي نزل بها وانما بموجب ما كان عليه اصلا عند الله .

ولترتيبه التاريخي المعجز معنى تفسره المناسبات وتعطي ضوءاً عليه والاحكام المرادة منه عند نزوله ، كما ان للصورة التي هو عليها اصلا (النسق التعبدي المعجز ايضا) معنى اضافيا تستفاد منه الصورة الحقة للمجتمع الانساني الفاضل الى قيام الساعة .

ومعرفة المناسبات والنصوص حسب الترتيب التاريخي والصورة التامة التي هو عليها في الترتيب التعبدي الخالد ضرورية جدا لا يقوم الدين بدونها وتحتاج الى النقل ممن انزل عليه القرآن بواسطة الامناء الذين حضروا وقت النزول واعدهم الله لذلك .

واستفادة المعنى الاضافي من الترتيب التعبدي ضرورية ايضا لاتستقيم عبادة الناس بدونها وتحتاج بالاضافة الى النقل من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العقل والاستنتاج ، فتراكيبه ومفرداته لم تكن مفهومة للناس بعد الجيل الاول والثاني بنفس الوضوح واليسر والسهولة .

وعلى هذا وذاك احتاج الناس الى التفسير .

ما هو التفسير :

التفسير ، مأخوذ من (الفسر والفسر هو البيان . فسر الشيء يفسره ويفسره وفسره ابانه والتفسير مثله ـ وقيل التفسير والتأويل والمعنى واحد ـ وقوله عز وجل : واحسن تفسيرا الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل)[1] .

---

(١) لسان العرب ـ لجمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) طبعة بولاق سنة ٧١١ هـ جـ ٦ ص ٣٦١ .

وقال الراغب : (الفسر : اظهار المعنى المعقـول ، ومنـه قيل لما ينبـىء عنـه البول : تفسره وسمي بها قارورة الماء والتفسير في المبالغة كالفسر ، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل ولهذا يقال تفسير الـرؤيا وتأويلها قال تعالى : واحسن تفسيرا)[1] .

ولـم ترد اللفظة في القرآن الـكريم الا مرة واحـدة في سورة الفرقـان في قولـه تعالى : (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا)[2] ومعناها (وبمـا هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم)[3] .

ولـم تخرج معاجم اللغة عن هذا الايضاح وانما تكلمت ضمن هذا المعنـى . وكذلك كان شأن كتب غريب القرآن والمعاجم المتأخرة المختصة بتـوضيح معانـي القرآن الكريـم .

فقد جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم في معنى التفسير : (من المادي كشف المغطى ومنه المعنوي ، التفسير كشف المراد وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهـو تفسرته ، وهي اسم كالشهية ، فسر الامـر كضرب ونصر فسرا ، وفسره بينـه على المبالغة ـ ويقال في بيان الالفاظ وغيرها)[4] .

وجاء في معجم الالفاظ والاعلام القرآنية قوله : (فسر الشيء وضحه ، وفسر ايات القرآن الكريم شرحها ووضح ما تنطوي عليه من معـان واسرار واحـكام ، والتفسير : الشرح والبيان)[5] .

هذا هو معنى التفسير في اللغة فكلمة تفسير كما مر بنا هي التـوضيح والبيان وهذا يقتضي اعمال العقل والتفكير ، فهي عملية عقلية بلا ريب لانها كشف ما ابهم

---

(١) المفردات في غريب القرآن ـ الحسين بن محمد (الراغب الاصفهاني) مكتبة الانجلو المصرية طبع سنة ١٩٧٠ ،ص ٥٧٢ .

(٢) سورة الفرقان آية ٣٦ .

(٣) تفسير ـ ناصر الدين البيضاوي ،طبع صبيح سنة ١٩٤٧ ص ٤٨٥ .

(٤) معجم الفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ الهيئة المصرية العامة للكتـاب سنـة ١٩٧٣ ،جـ ٢ ص ٨٥٠ .

(٥) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ـ محمد اسماعيل ابراهيم ـ دار الفكر العربي ـ طبع سنة ١٩٦٩ جـ ٢ ص ١١٣ .

في نص من النصوص وارشاد القارىء او السامع الى ما عناه صاحب النص من نصه .

وقبل الخوض في معنى التفسير او علم اللتفسير في اصطلاح اهل الفن يجدر التعرض لمعنى النص ومعنى التفسير بصورة عامة . فالنص : هو (جملة من المعاني المرتبطة بالكلمات الدالة عليها كما كتبت اولا ، وهي بذلك تدل على العمل العقلي او الادبي المعبر عنه بالفاظ لم ينلها شيء من التغيير او التبديل في مادتها او صورتها)[1]

هذا بصفة عامة وهو عند اهل كل علم ما يعتبرونه اصلا لعلمهم ، فعند الاصوليين يعني النص مالا يتطرق اليه احتمال اصلا وهو قابل للتأويل ، وعند غيرهم غير ذلك .

فالتفسير بناء على ذلك : (عملية القصد منها الاضافة الى نص الاول من جهة ثم اعطاء هذا النص معنى جديدا من جهة اخرى)[2] .
هذا هو التفسير من الناحية اللغوية ومعناه بصورة عامة ، يشمل جميع النصوص التي تحتاج الى توضيح .

اما باضافته الى القرآن الكريم فقد اصطلح له علماء التفسير اصطلاحات كثيرة وعرفوه بتعاريف شتى منها ما عرفه ابو طالب التغلبي بقوله : (بيان وضع اللفظ القرآني اما حقيقة او مجازا)[3] .

وعرفه ابو حيان في البحر المحيط (التفسير : هو علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك)[4] .
وعرفه العلامة الفناري بقوله : (هو معرفة احوال كلام الله تعالى من حيث

---

(١) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ـ د . احمد السيد خليل ـ الوكالة الشرقية للثقافة في الاسكندرية ، الطبعة الاولى ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م ص ٧ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٧
(٣) الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي جـ ٢ ص ١٧٣ .
(٤) البحر المحيط ـ ابو حيان جـ ١ ص ١٠

القرانية ومن حيث دلالته على ما يعلم او يظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية) [1] .

وعرفه غيرهم من العلماء غير ذلك ، ونحن نرى التعاريف جميعا تتفق على ان التفسير هو العلم فيه معنى كلام الله تعالى .

ومن العلماء من جعل بعض القضايا اللازمة لتوضيح المعنى من تمام الحد كالقراءات واسباب النزول وغيرها ، وقد تركت كثيرا من التعاريف لانها لم تخرج عما ذكرت .

واهم ما له علاقة بالتفسير من الناحية العلمية هو التأويل .

فالتأويل : في اللغة من (الاول ، والاول الرجوع ، آل الشيء يؤول اولا ومآلا ، رجع ، واول اليه الشيء رجعه وألت عن الشيء ارتددت ، والاول الرجوع واول الكلام وتأوله دبره وقدره وتأوله فسره ، وسئل ابو العباس احمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد ، التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح الا بيان غير لفظه . والايالة السياسة ، فلان حسن الايالة وسيء الايالة) [2] ، و(التأويل من ال يأول اذا رجع) [3] .

والتأويل في الاصطلاح :(هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان نميل ذلك بعبارة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او لاحقه او مقارنه) [4] او (هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى ان يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره) [5] .

وعرفه بعضهم انه : (صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة) [6] .

---

(١) تاريخ التفسير ـ الشيخ قاسم القيسي . ص ١٨

(٢) لسان العرب جـ ١٣ ص ٣٣ .

(٣) مقدمة التفسير ـ الراغب الاصفهاني ـ مطبعة الجمالية ـ بمصر (مع تنزيه القرآن عن المطاعن) سنة ١٣٢٩ هـ طبعة اولى ،ص ٤٠٢ .

(٤) فصل المقال فيما بين الشرقية والحكمة من الاتصال ـ ابن رشد ـ طبع دار المعارف سنة ١٩٧٢ م ،ص ٣١ .

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ـ ابن جزى الكلبي ـ دار الكتب الحديثة ـ جـ ١ ص ١١ .

(٦) التعريفات ـ ابو الحسن الجرجاني ـ الدار التونسية ـ ص ٢٨ .

وقد اختلف مدلول التأويل عند السلف عن مدلوله عند المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة فيقسم بناء على ذلك الى قسمين : [1]

١ ـ تفسير الكلام وبيان معناه سواء اوافق ظاهره ام خالف فيكون التفسير والتأويل على هذا مترادفين وهذا هو ما عناه مجاهد [2] من قوله (ان العلماء يعلمون تأويله ـ يعني القرآن ـ وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره ، القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا ، وبقوله اختلف اهل التأويل في هذه الاية ونحو ذلك فان مراده التفسير .

٢ ـ هو نفس المراد بالكلام فان كان المراد طلبا كان تأويله نفس الشيء المخبر به .

والفرق بين المعنيين ظاهر وهو ان الاول يكون التأويل فيه من باب العلم . والكلام كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان وله الوجود الذهني واللفظي والرسمي واما الثاني فالتأويل فيه نفس الموجود في الخارج سواء كان ماضيا ام مستقبلا .

وهذا هو معنى التأويل عند السلف اما معناه عند المتأخرين من المتفقهه والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة : فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به . . . فالمتأول عندهم مطالب بامرين :

الاول : ان يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى انه المراد .

الثاني : ان يبين الدليل الذي اوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح والا كان تأويلاً فاسدا او تلاعبا بالنصوص .

الفرق بين التفسير والتأويل : ومما تقدم رأينا العلماء منهم من يعتبرهما مترادفين

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر بن عاشور ـ مطبعة الحلبي سنة ١٩٦٤ جـ ١ ص ١٢ . التفسير والمفسرون ـ الذهبي ـ محمد حسين ـ دار الكتب الحديثة جـ ١ ص ١٧ .

(٢) مجاهد : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولى السائب بن ابي السائب تابعي ، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة قال مجاهد : قال لي ابن عمر : وددت لو ان نافعا يحفظ كحفظك مات سنة مائة او احدى ومائة وهو ساجد ومولده سنة احدى وعشرين ـ طبقات الحفاظ ـ جلال الدين السيوطي ـ نشر مكتبة وهبة سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ،ص ٣٥ .

وفريق يرى انهما متباينان ، والذين يعتبرونهما متباينين يذهبون مذاهب شتى في الفرق بينهما .

ففيهم الذي يرى ان التفسير للكتب السماوية وغيرها فيما يقتصر التأويل على الكتب السماوية .

ويرى آخرون ان التفسير اعم من التأويل .

وذهب جماعة الى ان التفسير للمعنى الظاهر والتأويل للمعنى الباطن وقال فريق ان التفسير يؤخذ من وضع العبارة والتأويل يستفاد من طريق الاشارة .

والواقع ان العرف السائد بين العلماء هو ان التفسير والتأويل بمعنى واحد ، لانهم يسمون التفاسير جميع الكتب التي تتعرض للقرآن الكريم بتوضيح لفظ او اظهار معنى لنص قرآني والعمل الذي يقوم به الشخص يطلقون عليه تفسيرا .

كما ان مؤلفي التفاسير سموها باسماء لا تنبىء بالتفرقة بينهما فتفسير الزمخشري اسمه (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل) والبيضاوي سمي تفسيره (انوار التنزيل واسرار التأويل) وهذان العنوانان لا يدلان على ان صاحبيهما اقتصرا على معنى من المعاني الذي يتميز فيه كتاب اي منهما ، باعتباره تأويلا دون التفسير او العكس .

وهذا يدل بدون شك على ان الاصطلاح العلمي الذي سار عليه العلماء والذي لا يزال ساريا الى اليوم ان التأويل والتفسير واحد فقولنا تفسير الاية او تأويل الاية نعني شيئا واحدا او انهما متكاملان لا يستغني احدهما عن الاخر وخاصة بالنسبة للقرآن الكريم .

الباب الاول

نشأة علم التفسير وتطوره

الفصل الاول : فهم الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن وتبليغه

الفصل الثاني : فهم الصحابة رضي الله عنهم للقرآن حين تبليغه

الفصل الثالث : تحرج قسم من الصحابة في تفسير القرآن وجرأة القسم الاخر .

الباب الاول

نشأة التفسير وتطوره

الفصل الاول :

فهم الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم وتبليغه

يصطفي الله سبحانه وتعالى اشخاصا من عباده يعدهم اعدادا خاصا ليكونوا رسله الى بقية الناس فيبلغونهم اوامره ويعلمونهم السبيل الحق التي اختارها لهم ليصلوا بها الى سعادتهم في الدنيا ونجاتهم في الاخرة : (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)[1] .

وهؤلاء الرسل يرعاهم الله ويؤدبهم بما يناسب مقامهم الذي يعدهم له ، واهم ما يهيئهم له هو تلقي نداء السماء وفهمه واستيعابه وتبليغه للناس .

فيكون ذكاؤهم فوق الاعتيادي ويسوي سلوكهم ليكون محط انظار الناس وموطن احترامهم فلا يؤخذ عليهم شيء في حياتهم العامة قبل بعثتهم فيكون مأخذاً عليهم وهم رسل الله وكان محمد صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وقد وصفه الله بقوله (وانك لعلى خلق عظيم)[2] .

وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للانبياء والمرسلين في جزيرة العرب للناس كافة ، وكان العرب اهل فصاحة وبلاغة فانزل الله القرآن الكريم في الذروة منها وتبوأ المكان الاسمى فكان مثلها الأعلى .

وآتى الله جل وعلا محمدا صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فكان افصح

---

(١) الاية ١٧٥ الحج .

(٢) الاية ٥ القلم .

العرب ففهم القرآن الكريم جملة وتفصيلا بما كان عليه من الفصاحة والبلاغة والذكاء اولا وبما علمه الله سبحانه وتعالى ثانيا .

ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يشعر بثقل القول الذي القاه الله عليه وجسامة المهمة واهمية التكليف ولم يعلم ان الله جلت قدرته سيعينه عليه ويبينه له ويحفظه اياه فكان يردد مع الوحي ما ينزله الله به اليه (اخرج الامام احمد والبخاري وسلم وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة ان يتفلت منه يريد ان يحفظه فانزل الله تعالى : (لا تحرك به لسانك)[1] فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه جبريل عليه السلام اطرق وفي لفظ استمع فاذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل فالخطاب في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك) للنبي صلى الله عليه وسلم والضمير للقرآن لدلالة سياق الاية نحو انا انزلناه في ليلة القدر اي لا تحرك بالقرآن لسانك عند القاء الوحي من قبل ان يقضي اليك وحيه (لتعجل به) اي لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك على ما يقتضيه كلام الحبر وقيل لمزيد حبك له وحرصك على اداء الرسالة وروي عن الشعبي (ان علينا جمعه) في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) اي اثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت . . . . (فاذا قرأناه) ان اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا . . . . (فاتبع قرآنه) فكن مقضيا له لا مباريا وقيل اي فاذا قرأناه فاتبع بذهنك وفكرك قرآنه اي فاستمع وانصت وصح هذا من رواية الشينمين وغيرهما عن ابن عباس وعنه ايضا وعن قتادة والضحاك اي فاتبع في الاوامر والنواهي قرآنه . . . (ثم ان علينا بيانه) اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه)[2] .

كما ان الله سبحانه وتعالى تعهد للرسول صلى الله عليه وسلم بان يحفظه اياه فلا ينساه ابدا بقوله (سنقرئك فلا تنسى)[3] .

فكان القرآن الكريم بفضل الله ونعمته محفوظاً في صدر الرسول صلى الله عليه وسلم نصا ومعنى وقد علم الله رسوله صلى الله عليه وسلم كل اسراره ومعانيه وكل

---

(١) القيامة اية ١٧ .

(٢) تفسير الالوسي (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) للشهاب جـ ٢٩ ص ١٤١ .

(٣) الاعلى آية (٧) .

علومه ما كان منها معلوما لدى العرب وما لم يكن كذلك وحال القرآن بنفسه وماله مع من انزل اليه ينبىء انه من الله سبحانه العليم الحكيم .

فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم عالما ولا متعلما ولم يكن يعلم حتى القراءة والكتابة التي هي اوليات العلم ومبتدأه . ولم يكن العرب قبل بعثه صلى الله عليه وسلم امة متعلمة ولا يدور في مجتمعهم اي نوع من العلوم ولا يزاولون اي فن من الفنون .

فجاء القرآن الكريم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الدرجة من الكمال العلمي والصورة المعجزة في شكلها ومضمونها . ولم يخف على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما جاء به القرآن الكريم .

كل هذا ينطق ان القرآن من عليم جكيم من الله تبارك وتعالى علمه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وامره بتبليغه للناس كافة ليخرجهم من الظلمات الى النور .

الفصل الثاني :

فهم الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن الكريم

اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم اصحابا يحملون دعوته بامانة واخلاص وصدق ، لانه سبحانه وتعالى اراد لهذه الدعوة ان تبلغ اخر يوم لهذه الدنيا وان تصل بالناس منذ ان بلغها نبيه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة .

فكان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله في كتابه الكريم بقوله : (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا)[1] هذه النخبة وهذه الصفوة من البشر علم فيهم الله كل الخير وعلم فيهم استعدادا لحمل راية الحق وادراك الافاق بها فمن عليهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ليكونوا امناء دعوته حفاظ سره حاملي راياته (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[2] .

كان الصحابة اهلا لهذا المقام السامي الذي وضعهم الله به فقاموا بعبء التكليف خير قيام وعدّلهم الله بعد ان نهضوا بمهمتهم فقال تعالى : (لقد رضي الله

---

(١) آية (٢٩) الفتح

(٢) آية (١٦٤) آل عمران

عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما)[1] .

فبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم وبلغهم به فتلقوه منه بكل شغف وحب وحرص وكان بلسانهم وبالفاظهم فادوه للذين يلونهم بكل امانة وهم الواسطة بين المسلمين ورسولهم ولذا فلا يتطرق الشك الى عدالتهم لان الشك يؤدي الى عدم الثقة فيما وصلنا من التشريع وقد قال الخطيب البغدادي (اخبرنا ابو منصور محمد بن عيسى الهمداني تنا صالح بن احمد الحافظ قال سمعت ابا جعفر احمد بن عبدل يقول سمعت احمد بن محمد بن سليمان التستري يقول سمعت ابا زرعة يقول : اذا رأيت الرجل ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق وانما ادى الينا هذا القرآن والسنن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة)[2] .

ولا يحتاج الانسان الى البرهان على عدالة الصحابة لان القرآن الكريم اخبر بذلك في ايات كثيرة غير قابلة للتأويل . والقرآن اصدق القائلين لا يخالفه الا منافق او زنديق ولم يجرح احدا منهم الا من لا يعتد بقوله من الذين انتسبوا للاسلام زورا لان الطعن من هؤلاء يجري فيمن رضي الله عنهم في القرآن الكريم . فلا خلاف بين المؤرخين والمحدثين ان من الذين بايعوا تحت الشجرة ابا بكر وعمر وعثمان (بايع نيابة عنه الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه) وعلي وطلحة والزبير . والطعن يجري في احد المذكورين او جملة منهم وهل تحتاج الى مخالفة الطاعنين للقرآن الكريم .

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وتلقاه الصحابة لانه بلسان عربي مبين (فدل على انه عندهم (عند العلماء) عربي واذا ثبت هذا فقد كانوا فهموا معنى الفاظه من حيث هو عربي فقط وان لم يتفقوا على فهم المراد منه فلا يشترط في ظاهره زيادة على

---

(١) الفتح ١٩ ـ ٢٠ .

(٢) الكفاية في علم الرواية ـ الخطيب البغدادي ـ مطبعة الجمعية العثمانية ١٣٥٧ هـ ، ص ٤٩ .

الجريان على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء . لامما يستفاد منه ولا مما يستفاد به ومن ادعى فيه ذلك فهو ذلك في دعواه مبطل) [1].

فالصحابة اكثر الناس فهما للقرآن الكريم ولم يكن بالضرورة ان كل منهم يفهم جميع القرآن الكريم فان عقول الناس وقابلياتهم متفاوته وهم من الناس الذين يتفاوتون في الفهم والقابلية .

كما ان القرآن الكريم فيه الفاظ مفردة تنتمي الى لغات عربية كثيرة وان كانت غالبيته بلغة قريش . فاقتضى ذلك ان قسما من الصحابة غير القريشيين احتاجوا الى بيان من غيرهم كما ان القريشيين استعانوا بغيرهم على فهم جزء من القرآن الكريم . وهذا غير التبليغ فهم امناء في التبليغ عدول تقات في النقل ، فان نقلوا شيئا فلا خلاف في صحته ولكن اذا اجتهدوا فهم متفاوتون في الوصول الى الصواب .

وخلاصة القول فان الصحابة اعرف الناس بالقرآن وعلمومه وان خفي على افراد منهم اجزاء من القرآن الكريم .

قال الشاطبي في الموافقات : (بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان صحيح لا اشكال في صحته لانه لذلك بعث قال تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) [2] ولا خلاف فيه واما بيان الصحابة فان اجمعوا ما بينوه فلا اشكال في صحته ايضا . . . . وان لم يجمعوا عليه فهل يكون حجة ام لا ؟ هذا فيه نظر وتفضيل ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين :

احدهما معرفتهم باللسان العربي فانهم عرب فصحاء لم تتغير السنتهم ولم تنزل عن مرتبتها العليا فصاحتهم فهم اعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم فاذا جاء عنهم قول او عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة .

والثاني مباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة فهم اقعد في فهم القرائن الحالية واعرف باسباب التنزيل ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك والشاهد يرى ما لا يرى الغائب . فمن جاء عنهم تقييد بعض المطلقات او تخصيص بعض العموميات فالعمل عليه صواب) [3] .

---

(١) محاسن التأويل ـ محمد جمال القاسمي . ط عيسى البابي الحلبي ١٩٥٧ . جـ ١ ص ٦٣ .

(٢) النحل ٤٤ .

(٣) الموافقات للشاطبي جـ ص ، والقاسمي جـ ١ ص ١٠٢ .

نستنتج مما سبق ان تفسير الصحابي ينقسم الى قسمين :
الاول : هو بيان لمعاني النصوص القرآنية حسب اجتهاده وهي النصوص التي يعتبر تفسيرها اجتهاديا قابل لاختلاف وجهات النظر .

واما اذا انفرد احدهم برأي في نص قرآني من هذا النوع ان صح النقـل عن الصحابي المنفرد فهو اولى بالاخذ من غيره للاسبـاب مارة الـذكر . وان اختلفـوا فيرجح الراجح في النقل وان تساويا فان العلماء على اعتماد رأي الخلفاء ابي بكر وعمر

وهذا النوع من التفسير ان اتفق عليه الصحابة واجمعوا على معناه فلا يسـع احد تركه والاعتماد على غيره او مخالفته وهذا ما عليه اجماع العلماء .

وعلي وعثمان ويأتي بعدهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهم اجمعين .
الثاني : وهو تفسير غير قابل للاجتهاد كذكر سبب النزول وحكم من ابه برفعه الى الرسول صلى الله عليه وسلم . فان صح النقل عن الصحابي في هذه الامور فاجماع العلماء على اخذه والاعتماد عليه وعدم جواز مخالفته .
هذا هو تفسير الصحابة وفهمهم للقرآن الكريم وهو ينوف على تفسير غيرهم واصوب من فهم سواهم .

الفصل الثالث :

تحرج قسم من الصحابة في تفسير القرآن وجرأة القسم الاخر

يتفاوت موقف الصحابة رضي الله عنهم من النصوص القرآنية بتفاوت نفسياتهم واختلاف ردود الفعل الذي يحدثه الدين في نفوسهم كباقي الناس .

فان الصحابة رضوان الله عليهم تسابقوا لحفظ القرآن في الصدور وتعلمه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن كان منهم يعرف الكتابة كتبه فيما توفر لديه من صحف وقد بذلوا في حفظه وكتابته جهدهم ولم يتأخر منهم احد عن تطبيق نصوصه اذا علموا وجه التطبيق من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهناك مسألة تدعو للاعتبار وهي التي خلقت الاختصاص عند الصحابة غالبا .

فقد كان منهم من يتحرج من رواية الحديث غاية الحرج ولا يرى بأسا من الفتوى والتصدر للاحكام ومنهم الذي يفسر القرآن ويتحرج من الفتوى ومنهم الذي يروي الحديث بكل ثقة بالاجر واطمئنان باصابة الحق في العمل ولا يتكلم في القرآن .

ونجد اقرب الامثلة على ما ذكرنا من اختلافهم متمثلة في كل من عبدالله بن عمر[1] وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس .

---

(١) عبد الله بن عمر : بن الخطاب ابو عبد الرحمن العدوى المدني الفقيه احد الاعلام في العلم والعمل شهد الخندق وهو من اهل بيعة الرضوان وممن كان يصلح للخلافة اثنى عليه الرسولﷺ ووصفه بالصلاح توفي سنة اربع واربعين (طبقات الحفاظ ص ٩) .

فعبد الله بن مسعود هو الذي اسس مدرسة الكوفة الذين سموا بعدئذ باهل الرأي والتي كانت زبدتها ابو حنيفة رحمه الله .

هذا الصحابي الفاضل الجليل كان يتحرج غاية الحرج من رواية الحديث (فقد روى عمرو بن ميمون قال : اختلفت الى عبدالله بن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه جرى على لسانه يوما فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه كرب حتى جعل يعرق ثم قال : ان شاء الله ذا او دون ذا او نحو ذا . قال ابي في حديثه : فنكس راسه فرفع راسه فرأيته قد حل ازاره وانتفخت اوداجه واغرورقت عيناه قال : او فوق ذلك او قريبا من ذلك او شبيها بذلك)[1] .

وعبدالله بن مسعود من الذين يشار اليهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن الكريم وقد روى عنه انه قال : (والذي لا اله غيره ما نزلت اية من كتاب الله الا وانا اعلم فيم نزلت واين نزلت ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتينة)[2] .

بعكس ذلك كان عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه يتحرج من التفسير (وكان يعيب على عبدالله بن عباس جرأته على القرآن الكريم حتى حاجه في ذلك فاجاب الجواب الشافي كنت اعيب عليه جرأته على القرآن اما الان فلا)[3] . وكان الى جانب ذلك من المكثرين في رواية الحديث . .

وعبدالله بن عباس من المقلين في رواية الحديث ومن اعلام الفتوى وهو راس مدرسة التفسير وشيخها غير المنازع .

ولا نجد تفسيرا لذلك الا قوله تعالى في شأن الناس : (ولا يزالون مختلفين)[4] ولو اطلعت على الدوافع النفسية لكل منهم لوجدت لكل واحد منهم حجته .

فالذي يروي الحديث ويحرص على روايته يدفع بان الرسول صلى الله عليه

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ـ محمد الامهر رمزي ، تحقيق محمد عجاج الخطيب طبع دار الفكر ـ بيروت سنة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م ص ٥٥٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ـ الرزكتسي ، جـ ٢ ص ١٥٦ .

(٣) والتفسير والعشرون جـ ١ ص ٥٨ .

(٤) صورة هود اية ١١٨

وسلم امر بالتبليغ ونبه الى ان المبلغ لا يشترط فيه فهم ما بلغ وقال ليبلغ الشاهد الغائب فرب سامع اوعى من مبلغ ورب حامل فقه الى من هو افقه منه . وهناك احاديث كثيرة تعد للمبلغ اجرا عظيماً . بينما يرى في تفسير قول على الله بغير علم .

وعلى العكس من ذلك الذي يتحرج من رواية الحديث يخاف من عدة من الكاذبين على الرسول صلى الله عليه وسلم اذا اخطأ بحرف او بكلمة ولا يأمن ذلك من نفسه ويرى في تفسير القرآن اجتهاداً مأجوراً عليه ان اصاب او اخطأ .

وسار هذا الشعور في التابعين فمن تتلمذ على ابن مسعود اصبح ذا رأي في المسائل الشرعية والفقه ومن تتلمذ على عبدالله بن عمر روى الحديث ومن درس على عبدالله بن عباس تكلم في التفسير .

وموقفهم من القرآن الكريم كان على هذه الشاكلة فمنهم من لا يتكلم بالقرآن برأيه ويقتصر على ماروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من لا يرى بأسا بذلك اذا لم يجد في الآية حديثا يفسرها .

ومن هذا نشأت مدرستان للتفسير الاولى تعني بما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم والثانية تضيف الى ما روى ما توصل اليه اجتهادها وعقول مفكريها وفق القواعد التي توصلهم الى فطنة الصواب .

الباب الثاني
انقسام التفسير الى مدرستين

الفصل الرابع :

مدرسة التفسير بالاثر

المبحث الاول : موارد التفسير بالاثر

المبحث الثاني : اهم من التزم بالاثر في تفسير القرآن

سفيان الثوري ، الطبري ، ابن كثير ، السيوطي

المبحث الثالث : الوضع والاسرائيليات، اسبابها ، اهم التفاسير التي اتصفت بها .

(مقاتل ابن سليمان ، الخازن ، البيضاوي)

الباب الثاني

انقسام التفسير الى مدرستين

نجد اختلافا بين افراد بني الانسان في تقبلهم للدين والتدين في ردود الفعل التي يحدثها التدين في نفوسهم .

فالتدين نزعة فطرية طبيعية عند بني البشر ومن فقدها منهم يعتبر شاذا ، والافراد غير المتدينين او غير المؤمنين بدين قليلون جدا في جميع عصور الانسانية بالنسبة للجمهرة العامة من بني الانسان ولذا يجب ان ننظر الى الانسان بانه مخلوق متدين ويعتقد بوجود قوة خفية تسيطر على الكون وتصرفه والكون مخلوق لها محتاج في نظامه الى تدبيرها ورعايتها .

يصور الانسان هذه القوة احيانا على هيئة من الحجر وهذا لا يدل على ان الانسان الذي يعبد الحجر بهيئة معينة انه يعبد جوهرها وانما يعتقد ان الهيئة الماثلة امامه هي رمز لتلك القوة او تقربه اليها .

وهكذا الشأن في الذين يعبدون النجوم والحيوانات . وقد حكى القرآن الكريم رأي المشركين في معبوداتهم فقال : (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)[1] وتكذيبهم للرسل هو انكار كونهم مرسلين من قبل الله عز وجل ومرجع ذلك اعتيادهم على نوع خاص من التدين ووجود شخصيات في المجتمع الذي يعيشون فيه يعظمونهم اكثر ممن اختارهم الله متصورين ان مقياس الله للاشخاص لا بد ان يكون موافقا لنظرتهم ولو كان هناك شرف يحاز لحازه هؤلاء ، او لما كان الله يريد ان يطاع رسوله فيجب ان يرسل من يطيعونه هم او هو قادر على فرض النوع الذي يريده

---

(١) الزمر ،الاية ٣ .

لهم من الدين . وهذه مشكلة الرسل في جميع الديانات تقريبا . وقلما يواجه المرسل مجتمعات تنكر وجود اله انكارا وجحودا تاما فالغالب هو وجود اله ولكن بصورة وواجبات وصفات تختلف عن الحقيقة .

هذا الانسان المتدين اذا آمن بدين معين ورسالة واضحة تختلف ردود الفعل عند افراده اختلافات تنحصر بين اتجاهين :

الاول : هو التمسك الشديد بالدين والتعصب له والتعنت في تطبيقه والتأثم من مخالفة شكلياته جملة وتفصيلا .

والاتجاه الثاني : هو التساهل في الاعتقاد وعدم الالتفات الى الشكليات والاقتصار على ادنى ما يسمى دين وعدم التحرج من مخالفة الاوامر والنواهي والخروج على الجزئيات .

وبين هذين الاتجاهين درجات كثيرة فيها التعصب والتمسك المعقول والتأثم الواجب وفيها التساهل المقبول والتأويل المستساغ .

هذان الاتجاهان لهما انعكاسات في تفسير النصوص الشرعية ان كان الدين كتابيا ـ اي له كتاب مقدس ـ وغالب الاديان لها كتب مقدسة منزلة من الله في الاديان السماوية او من وضع دعاتها وادعائهم انها من الله سبحانه .

فمنهم الذي يقف عند حرفية النصوص ولا يحيد عنها ويطبق مدلولاتها الظاهرة من غير ادنى خروج على ظواهرها .

ومنهم الذين يتحرون مقصد النصوص وروح الشرع فيأولون النصوص حسب ما يملي عليهم اعتقادهم فيها بالقدر الذي لا يرون انفسهم قد خرجوا على مقتضى العقيدة ومقاصد الشرع وروح النص .

ومن هؤلاء من يتساهل جدا حتى لا يستطيع الانسان ان يجد علاقة بين النص الديني وما يذهبون اليه في تاويلهم له الا بمشقة وعناء وكد ذهني .

وبين هؤلاء واولئك درجات فيها المعقول المستساغ وفيها المغالي في احد الاتجاهين .

والذي جعل هذين الاتجاهين يتجليان في الدين اكثر من غيره والنصوص الدينية دون سواها ، هو ان الكتب المقدسة اما ان يدعي اصحابها انها من الله او هي في حقيقة حالها كذلك . وفي كلتا الحالتين تكون علاقة الناس بالله سبحانه وتعالى هم

الانبياء والرسل الذين معهم الكتب فان مات الانبياء والرسل انقطعت علاقة الناس بالله الا عن طريق الكتب التي خلفها الانبياء . ومراد الله سبحانه من النصوص هو الاشكال الذي يواجه الناس ذوي الاعتقاد بصحة هذا الدين وهذه الكتب .

والنظرة الى النصوص تتغير بتغير الظروف والازمان لخلق ظواهر اجتماعية وفكرية تملي على القارىء النصوص نوعا من الفهم يختلف عمن لم تحيطه تلك الظروف ونريد ان نسلم بهذا الى نظرة المسلمين للقرآن الكريم في ضوء ما تقدم .

فالاتجاهات التفسيرية سارت بنفس الاتجاهين ولكن الذي جعل المسلمين يستطيعون التمييز بين التفسيرات الصحيحة والسقيمة بايسر مما يستطيع غيرهم ان القرآن الكريم بقي حيا بين عامة المسلمين ولم يكن مقصورا على رجال يعينهم كما هو الحال في كثير من الديانات .

وحياته كانت بكثرة مدارسته وتطبيق نصوصه من قبل المسلمين فلم يكن بين عصر نزوله وعصر دراسته وتفسيره فجوة زمنية كافية لطمس معالم الطريق الحق في الاعتقاد السليم والتفسير الصحيح لنصوص القرآن الكريم .

ولكن بناء على اختلاف اتجاهات النشاط النفسي لدى بني الانسان اتجه التفسير هذين الاتجاهين .

كما ان القرآن الكريم استغرق نزوله ثلاثاً وعشرين سنة تقريبا ثم لم يكن ترتيبه التاريخي هو الترتيب التعبدي الثابت الان ولكن نزول النص كان عند حصول الظروف الملائمة له او احتياج المسلمين الى حكمة بما يكتنفهم من امور واحداث .

وترتيبه التاريخي معجز في وقت نزوله وترتيبه التعبدي معجز الى يوم القيامة ، ولاختلاف الاثنين اختلافا كبيرا احتاج المسلمون لنقل امين للصورتين ليعلم مغزى الاولى وهيئة الثانية وكلتاهما موقوفتان من الله سبحانه وتعالى .

وهذا ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من بعده الذين حضروا نزوله وعلموا ظروفه وسمعوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم بترتيبه كما اراد الله .

وهذا ما لا تستقيم عبادة المسلمين الا به فحرصوا على نقله وتضافروا عليه ، وبنقل التسلسل التاريخي والتعبدي للقرآن الكريم عرف ما اطلق عليه العلماء باسباب النزول وعرف ناسخ القرآن من منسوخه .

نقل المسلمون هذا ونقلوا معه بعض الشروح التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض النصوص ونقل الصحابة القرآن الكريم وهم اعلم الناس به لانه نزل بلغتهم وتكلم عن احوالهم وعالج ادواء مجتمعهم فيعلمون ما نطق به القرآن عاما واراد شيئا خاصا بعينه او ما كان يحكي قصة لاحد الناس واراد الله بها عموم المسلمين او حكمها يعم بقية المسلمين ويعرفون مجمل القرآن وما كان مبهماً يعرفون قصده .

وهذا كله سمي فيما بعد بالتفسير بالمأثور وقامت عليه مدرسة لها تفاسير لا تعني الا بهذا النوع من التفسير وما لائمه من مدلولات النصوص القرآنية .

كما ان احتياج المسلمين الى تفسير ظواهر كثيرة استجدت واحكام لقضايا لم تكن عند نزول القرآن وقد تكلم عنها بطريق الاشارة او تكلم على مثلها فقاس المسلمون الحادث على المذكور وهذا وغيره سمي فيما بعد بالتفسير بالرأي وقامت له مدرسة نشأت فيها تفاسير تعتني كثيرا بهذا النوع من التفسير .

الفصل الرابع :

مدرسة التفسير بالاثر

الاثر : (هو ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة او عن التابعين موقوفا عليهم او مرفوعا وهذا عند اهل الحديث ومنهم من يجعله مرادفا للحديث فيقصره على ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم)[1] .

اما التفسير بالاثر[2] : فقد اصطلح عليه اهل التفسير بانه ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة او عن التابعين من تفسيرلايات الله او اي نص قرآني او لفظ .

ومدرسة التفسير بالاثر هي اول مدارس التفسير ظهورا لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر ما اشكل على الصحابة فهمه من القرآن الكريم ولما كان الصحابة قد عايشوا الرسول صلى الله عليه وسلم وحضروا نزول الوحي استغنوا عن كثير مما احتاج غيرهم لفهم القرآن الكريم فكان ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم قليلا جدا .

وسر اعجازه يكمن في فهمهم له بسهولة ويسر لانه نزل بلغتهم التي كانت سائدة وهي مادة ادبهم وكلامهم ، وسبب ايمانهم انهم سمعوا كلاما يفهمونه بنظم لا

---

(١) نزهة النظر ـ شرح نخبة الفكر ـ لابن حجر ص ٢٢٨
(٢) التفسير والمفسرون طـ ص ١٥٢ بتصرف

يستطيعون ان يأتوا بمثله مع حلاوته وتحريكه النفس حتى وصفه المعاندون من العرب بانه (سحر يؤثر)[1] .

فالصحابة رضي الله عنهم انشأوا مدارس للتفسير في الاقطار الاسلامية التي هاجروا اليها فتتلمذ عليهم التابعون واخذوا عنهم فهمهم وتفسيرهم فكان التابعون اعلم بتفسير القرآن المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من الذين جاءوا بعدهم . فيعتبر قيام مدرسة التفسير بالاثر على المعالم التالية :

---

(١) صورة المدثر ،اية ٢٤ .

المبحث الاول :

موارد التفسير بالاثر

١ ـ تفسير القرآن الكريم بالقرآن ، فان القرآن الكريم قد وردت فيه آيات مجملة ثم فصلت في موضوع آخر كما نزلت ايات مبهمة ففسرت في موضوع ثان ثم ان في القرآن الكريم ايات يستدل على تفسيرها بنظائرها في مواضع اخرى فمثلا قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ، فان كن نساء فوق اثنين فلهن ثلثا ما ترك ﴾[١] استدل بعض العلماء على كون البنيتين اذا انفردتا بالميراث فلهن ثلثا التركة ، وحسبوهما من ضمن النساء في قوله ﴿ فان كن نساء فوق اثنتين ﴾ استدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾[٢] بان الله عبر عن الاعناق وما فوقها بقوله فوق الاعناق ، وهكذا كثير في آيات الله البينات .

كما ان اغلب قصص القرآن الكريم مجملا في موضوع مفصلا في موضع آخر فمثلا قصة موسى عليه السلام وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام تقرأها في سورة النازعات على الشكل التالي : ﴿ هل اتاك حديث موسى ، اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى

---

(١) النساء من الاية ١١ .

(٢) من الاية ١٢ الانفال

ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم ادبر يسعى ، فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ﴾[1] ثم فصل القصة في سورة القصص بقوله : ﴿ نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين . . الايات الى قوله تعالى : ﴿ وما كنت في الجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ﴾[2] .

وفي القرآن الكريم ما اجمل في مكان وفصل في مكان اخر وفيه ما اطلق في موضع وقيد في غيره وهكذا .

ويرى قسم من العلماء ان ما في القرآن لا يعتبر تفسيرا ولا يعتبر القرآن مما يستمد منه التفسير ومنهم من قال : انه ليس من التفسير ولا يعتبر مما يستمد منه التفسير حكي هذا محمد الطاهر بن عاشور : قال (ولا يعد ايضا من استمداد التفسير ما في بعض اي القرآن من معنى يفسر بعضا منها لان ذلك من قبيل حمل الكلام على بعض كتخصيص العموم وتقييد المطلق وبيان المجمل وتأويل الظاهر ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب ولحن الخطاب ومفهوم المخالفة .

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب في حرف لا عن ابي علي الفارسي ان القرآن كله كالسورة الواحدة ولهذا يذكر الشيء في سورة وتمامه في سورة اخرى نحو (وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون)[3] وجوابه (ما انت بنعمة ربك بمجنون)[4] .

وهذا كلام لا يحق اطلاقه لان القرآن قد يحمل بعض اياته على بعض وقد يستقل

---

(١) من الاية ١٥ الى الاية ٢٥ .

(٢) الايات من ٣ الى ٤٤ .

(٣) آية (٦) الحجر

(٤) آية (٣) القلم

بعضها عن بعض ، اذ ليس تعيين ان يكون المعنى المقصود في بعض الايات مقصودا في جميع نظائرها بل ما يقارب غرضها)[1] .

ومع وجاهة هذا الرأي فان القرآن الكريم بفهم جملة واحدة او يستطيع قارئه ان يستنير ببعضه على بعض ويستدل ببعضه على الاخر .

٢ ـ السنة النبوية المطهرة :

وهذا هو الركن الذي لا يقوم التفسير باي شكل من اشكاله بدونه فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الواسطة الوحيدة بين الله والناس والقرآن هو معجزته ودستوره وبرنامجه الذي اعده له الله لاصلاح الانسانية .

وقد كلفه الله سبحانه بتبليغه للناس فقال تعالى : ﴿ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[2] وقال تعالى ﴿ انا انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾[3] وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يبلغ القرآن ساعة نزوله حتى يصل الى اقصاهم .

وكان فيما ينزل قصص وعبر واحكام ونظم فكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم[4] يفهمون القصص ويعتبرون بها ولا يصعب عليهم في فهمها شيء فهي بلغتهم وعلى اساليب كلامهم تركيبا وافرادا ، ولكن القرآن يحتوي على غير اللغة العربية السائدة وهي لغة قريش وان قل ، من مفردات في لغات العرب الاخرى فالعرب يفهمونه جملة لان لغة قريش ملتقى اللغات حيث انها لغة اهل البيت الذي يحج اليه العرب جميعا ، ولكن قد يخفى على قسم من افراد القبائل بعض المفردات التي ليست بلغتهم او قليلة الاستعمال في لغة قريش فيشرحها الرسول صلى الله عليه وسلم لهم اذا سألوه . هذا بشأن المفردات او التراكيب الغريبةاما الاحكام فكان صلى الله عليه وسلم يفسر ما جاء في القرآن الكريم تفسيرا عمليا

---

(١) التحرير والتنوير جـ ١ ص ٢١ .

(٢) المائدة اية ٦٧ .

(٣) النمل اية ٤٤ .

(٤) تفسير الطبري ـ ابن جرير الطبري ـ مطبعة الحلبي سنة ١٩٦٨ جـ ١٠ ص ٥٩ .

حيث يذكر القرآن الكريم العبادة ولم يكن للمسلمين عهد سابق بها قبل الاسلام ولا قبل ان تنزل ، فمثلا الصلاة لم تكن معهودة لديهم واذا فلا بد من معرفة معنى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ اقيموا الصلاة ﴾[1] وكذلك الزكاة والحج وجميع العبادات التي تتطلب اعمالا معينة .

وهذا التفسير ملازم للقرآن الكريم لا يستغنى عنه ابدا ، ولا لاحد ان يقول اني استغني عن السنة بالقرآن الكريم فقد قال صلى الله عليه وسلم : (الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا اني قد اوتيت القرآن ومثله ، الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لايحل لكم لحم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة من مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها)[2] فالسنة هي المكملة للقرآن الكريم من الناحية التشريعية فان آية التحريم لم يرد فيها ما ذكره الحديث ، (وقد قيل لاحمد بن حنبل عن صحة القول ان السنة قاضية على الكتاب فقال : ما اجسر على هذا ان اقوله ولكن السنة تفسر الكتاب وتعرف الكتاب وتبينه)[3] (وروى الخطيب في الكفاية قوله : اخبرنا محمد بن احمد بن رزق قال حدثنا مكرم بن احمد قال حدثنا محمد بن الحسن الخوارزمي قال سمعت علي بن المديني يقول قال عبد الرحمن بن مهدي : الرجل الى الحديث احوج منه الى الاكل والشرب وقال : الحديث تفسير القرآن)[4] .

وحاصل القول ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر ما احتاج اليه المسلمون من القرآن الكريم وما فهمه المسلمون لم يتعرض له الرسول صلى الله عليه وسلم الا اذا شعر انهم ربما فهموه على غير ما اراد الله به ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر جميع القرآن الكريم اذ لم يكن لهم به حاجة في ذلك الوقت .

٣ ـ تفسير الصحابة الكرام رضي الله عنهم :

الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم هم الذين اختارهم الله لمجلس رسوله

---

(١) البقرة اية ١١٠ .

(٢) الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ص ٣٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .

ولحمل رسالته وتبليغ شريعته وقد اصطفاهم لذلك ولذا فانهم كانوا نموذجا فريدا تقتدي به الانسانية وتسير على هداه الى يوم الدين وقد وردت في فضلهم ايات كثيرة تشهد لهم بمجموعهم وهناك ايات جاءت تشهد بفضل افراد منهم ومن الايات التي تكلمت عن فضلهم جميعا قوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك ﴾[2] وهناك ايات كثيرة تكلمت بفضلهم وصفاتهم وقد روى ابن عبد البر قوله :(حدثني خلف بن القاسم قال حدثنا ابو احمد عبدالله بن محمد بن ناصح المعروف بابن المفسر الدمشقي بمصر قال حدثنا ابو بكر احمد بن علي بن سعيد القاضي قال حدثنا ابو هشام الرفاعي قال حدثنا روح بن عبادة عن سعيد بن ابي عروبة عن قتاوة قوله عز وجل : (ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق)[3] قال : (هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم)[4] (وسئل سعيد بن المسيب عن شيء فقال : (اختلف فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ارى لي معهم قولا . قال ابن وضاح هذا هو الحق قال ابو عمر معناه ليس له ان ياتي بقول يخالفهم به)[5] ولا يستطيع الانسان ان يحصي فضلهم ابدا .

هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم اعلم الناس بالقرآن الكريم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم شاهدوا نزول الوحي وعلموا ظروف النصوص القرآنية كل على انفراد فيعلمون كل ما يحيط النصوص من ظروف ، اضف الى ان القرآن نزل بلغتهم كما اسلفنا وعالج احوالهم التي كانوا عليها فمنها ما اخرها ومنها ما امرهم بتركها فتركوها فهم اعلم بما ابقوا وما نبذوا ولذا فان احسن الناس علما بتفسير القرآن الكريم هم الصحابة على تفاوت بينهم فمنهم الذي برع بتفسير النصوص

---

(١) الفتح اية ٢٩ .
(٢) الفتح اية ١٨ .
(٣) سبئا اية ٦ .
(٤) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣٦ ـ ابن عبد البر
(٥) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣٦ .

مطلقا ومنهم الذي علم ما جاء في القرآن من احكام ومنهم من ادرك واستوعب ما جاء في القرآن من الفرائض .

وهكذا .

هذه حالهم من الناحية العامة التي تحتمل النظر والرأي منهم ومن غيرهم وهناك ظروف احاطت بالنص القراني لا سبيل اليها بالعقل او النظر فلا بد من النقل فيها وهي من الامور اللازمة لتفسير النص ولا يستقيم التفسير بدونها كاسباب النزول وترتيب السور والايات وتعيين المراد في ايات الاحكام .

ومثال مما جاء في الاحكام قال تعالى ﴿ السارق والسرقة فاقطعوا ايديهما ﴾[1] فلا يستطيع احد ان يتوصل باعمال الفكر الى اي اليدين التي تقطع وهل يستطيع ان يعلم مقدار المال الذي تقطع من اجل سرقته اليد . . .

ولما كان من المستحيل التوصل بطريق الاستنتاج الى ذلك فان جاء عن الصحابي فيه شيء وان لم يقل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ياخذ حكم المرفوع .

وهكذا جميع ايات الاحكام التي جاءت عامة او مجملة او مبهمة . وهذه من المستلزمات لفهم النص ولا يمكن ان يفهم بدون العلم بها عن طريق النقل .

ثم مسألة اسباب النزول او الوقائع التي نزل النص لها فواكب حدوثها نزول الاية فحكتها وهذه مما لا غنى لاحد عنها في فهم النص القرآني .

فمثلا قوله تعالى : ﴿ ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾[2] فمن غير معرفة سبب النزول تفسر هذه الاية على انها تبيح الخمر . فهل يستطيع مفكر ان يستنتج ان هذه الاية (رخصة للسابقين الذين ماتوا قبل تحريم الخمر اذ سأل الصحابة عن حكمهم فنزلت)[3] .

او قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾[4] من من

---

(١) المائدة اية ٣٨ .

(٢) المائدة ٩٣ .

(٣) اسباب نزول القرآن ص ٢٠٣ .

(٤) المجادلة اية ١ .

الناس يستطيع ان يخبرنا عن المرأة (انها خولة بنت ثعلبة وزوجها اوس بن الصامت انه طاهر منها)[1] . اذا لم يرد في ذلك نقل عمن شاهد وحضر نزول الاية .

وكذلك ناسخ القرآن ومنسوخه لا سبيل الى معرفته الا بنقل عن الرسول او الصحابة الذين يعلمون اي النص اسبق نزولا ثم بعدئذ نعلم ايهما الناسخ المعمول به .

جميع ما ذكرنا لا يمكن ان يستغني فيها المفسر للقرآن الكريم عن النقل عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم فان جاء عنهم فيها شيء وان لم ينسبوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو واجب الاخذ به على كل حال ولا يمكن تخطي قول الصحابي في شيء من ذلك ابدا .

على ان قسما من العلماء يرى ان قول الصحابي واجب الأخذ حتى في المسائل التي يمكن فيها الاجتهاد .

(فقد سئل ابن سيرين عن المتعة بالعمرة الى الحج فقال : كرههـا عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فان يكن علما فهما اعلم مني وان يكن رايا فرايهما افضل)[2] .

وعلى كل حال فلا خلاف بين العلماء في الاخذ براي الصحابي في هذه المسائل اي الامور التي لا تؤخذ بالاستنتاج وليست مجالا للاجتهاد .

ولا بد من القول ان الصحابة على راي جميع علماء المسلمين كلهم عدول ثابتة عدالتهم بالكتاب والسنة والاجماع فمن روى منهم شيئا فلا يسأل عن عدالة روايته وانما يصدق من غير نظر والذي لا يستوثق منهم من نفسه لا يخوض في شيء من الرواية ابداً كما شاهدنا كثيرا منهم يتحرج من الرواية خوفا من زيادة حرف او نقصان لكلمة فالذين رووا شيئا من السنن او التفسير ضابطين لما ذكروا .

والصحابي هو الذي شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ومات وهو على الاسلام . وهذا مفهوم من قول ابي عبدالله الحاكم حيث انه عد طبقات

---

(١) اسباب النزول ص ٤٣٣ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣٨ .

مطلقا ومنهم الذي علم ما جاء في القرآن من احكام ومنهم من ادرك واستوعب ما جاء في القرآن من الفرائض .

وهكذا .

هذه حالهم من الناحية العامة التي تحتمل النظر والرأي منهم ومن غيرهم وهناك ظروف احاطت بالنص القراني لا سبيل اليها بالعقل او النظر فلا بد من النقل فيها وهي من الامور اللازمة لتفسير النص ولا يستقيم التفسير بدونها كاسباب النزول وترتيب السور والايات وتعيين المراد في ايات الاحكام .

ومثال مما جاء في الاحكام قال تعالى ﴿ السارق والسرقة فاقطعوا ايديهما ﴾[1] فلا يستطيع احد ان يتوصل باعمال الفكر الى اي اليدين التي تقطع وهل يستطيع ان يعلم مقدار المال الذي تقطع من اجل سرقته اليد . . .

ولما كان من المستحيل التوصل بطريق الاستنتاج الى ذلك فان جاء عن الصحابي فيه شيء وان لم يقل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ياخذ حكم المرفوع .

وهكذا جميع ايات الاحكام التي جاءت عامة او مجملة او مبهمة . وهذه من المستلزمات لفهم النص ولا يمكن ان يفهم بدون العلم بها عن طريق النقل .

ثم مسألة اسباب النزول او الوقائع التي نزل النص لها فواكب حدوثها نزول الاية فحكتها وهذه مما لا غنى لاحد عنها في فهم النص القرآني .

فمثلا قوله تعالى : ﴿ ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾[2] فمن غير معرفة سبب النزول تفسر هذه الاية على انها تبيح الخمر . فهل يستطيع مفكر ان يستنتج ان هذه الاية (رخصة للسابقين الذين ماتوا قبل تحريم الخمر اذ سأل الصحابة عن حكمهم فنزلت)[3] .

او قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾[4] من من

---

(١) المائدة اية ٣٨ .

(٢) المائدة ٩٣ .

(٣) اسباب نزول القرآن ص ٢٠٣ .

(٤) المجادلة اية ١ .

الناس يستطيع ان يخبرنا عن المرأة (انها خولة بنت ثعلبة وزوجها اوس بن الصامت انه طاهر منها)[1] . اذا لم يرد في ذلك نقل عمن شاهد وحضر نزول الاية .
وكذلك ناسخ القرآن ومنسوخه لا سبيل الى معرفته الا بنقل عن الرسول او الصحابة الذين يعلمون اي النص اسبق نزولا ثم بعدئذ نعلم ايهما الناسخ المعمول به .

جميع ما ذكرنا لا يمكن ان يستغني فيها المفسر للقرآن الكريم عن النقل عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم فان جاء عنهم فيها شيء وان لم ينسبوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو واجب الاخذ به على كل حال ولا يمكن تخطي قول الصحابي في شيء من ذلك ابدا .

على ان قسما من العلماء يرى ان قول الصحابي واجب الأخذ حتى في المسائل التي يمكن فيها الاجتهاد .

(فقد سئل ابن سيرين عن المتعة بالعمرة الى الحج فقال : كرهها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فان يكن علما فهما اعلم مني وان يكن رايا فرايهما افضل)[2] .
وعلى كل حال فلا خلاف بين العلماء في الاخذ براي الصحابي في هذه المسائل اي الامور التي لا تؤخذ بالاستنتاج وليست مجالا للاجتهاد .

ولا بد من القول ان الصحابة على راي جميع علماء المسلمين كلهم عدول ثابتة عدالتهم بالكتاب والسنة والاجماع فمن روى منهم شيئا فلا يسأل عن عدالة روايته وانما يصدق من غير نظر والذي لا يستوثق منهم من نفسه لا يخوض في شيء من الرواية ابداً كما شاهدنا كثيرا منهم يتحرج من الرواية خوفا من زيادة حرف او نقصان لكلمة فالذين رووا شيئا من السنن او التفسير ضابطين لما ذكروا .
والصحابي هو الذي شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ومات وهو على الاسلام . وهذا مفهوم من قول ابي عبدالله الحاكم حيث انه عد طبقات

---

(١) اسباب النزول ص ٤٣٣ .
(٢) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٣٨ .

الصحابة واخيرا قال : (صبيان واطفال رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي حجة الوداع وعدادهم في الصحابة)[1] .

٤ ـ التابعين باحسان :

يعتبر اصحاب مدرسة التفسير بالاثر نتاج التابعين من قبيل التفسير بالمأثور او الاثر . قال الشيخ الذهبي (يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفضيل لبعض اياته وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح المراد لله تعالى من نصوص كتابه الكريم)[2] .

والواقع ان ما جاء عن ثقات التابعين من القضايا التي ليس فيها مجال للاجتهاد كاسباب النزول والنسخ وغيرها فان راي الثقة يؤخذ على انه اخذه من الصحابة الكرام وباعتباره ثقة فلا يمكن ان يكذبه عليهم وان لم يذكر مورده فيها .

اما ما كان فيه مجال للاجتهاد والراي فاغلب العلماء على انه راي قابل للخطأ والصواب وانما يستأنس به استئناسا وهذا هو الراي الراجح .

هذه هي موارد التفسير المأثور وهذه هي اسس مدرسة التفسير بالاثر . ويرى علماء هذه المدرسة انه لا يؤخذ التفسير الا عن هذه الطرق وما اخذ من غيرها يعتبر من قبيل القول على الله بغير علم .

ويحتجون على ما ذهبوا اليه بحجج اهمها[3] :

١ ـ ان الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ انا انزلنا اليك الكتاب لتبين للناس ما انزل اليهم ﴾[4] قالوا ان الله سبحانه امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالبيان واذا فليس على غيره البيان فلا يجوز لاحد غير الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبين ويفسر القرآن .

---

(١) معرفة علوم الحديث ـ الامام ابو عبد الله الحاكم ـ المكتب التجاري بيروت ص ٢٤ .

(٢) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٥٣ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن ـ نشر ارثر جيفري ـ مكتبة الخانجي ـ سنة ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ ص ١٨٣ . ومقدمة في اصول التفسير ص ٣٥ . والاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٢٠٥ والتفسير والمفسرون جـ ١ ص ٥٠ .

(٤) النمل ـ اية ٤٤ .

٢ ـ قالوا ان التفسير هو بيان مراد الله سبحانه وتعالى ، ولا يعرف مراد الله سبحانه الا من اطلعه الله عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ قالوا ان الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾[1] وحاشا ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد قصر في تبليغ الرسالة .

٤ ـ وبناء على الفقرة السابقة فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فسر القرآن الكريم كله وليس لاحد ان يخالف قول الرسول في التفسير فيجب التحري عن اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرفتها في هذا الشأن وعدم التعرض للتفسير من ذات الشخص وحسب اجتهاده .

٥ ـ روي ابو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

٦ ـ انه من غير المألوف ان جماعة ياتيهم كتاب في علم من العلوم ولا يدرسوه ويعرفوا معناه فكيف بكتاب الله .

٧ ـ روي عن كثير من الصحابة الكرام انهم كانوا لا يقولون بالقرآن بارائهم الا ان يكون نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن قد فسره جميعا لرخص لهم الاجتهاد فيه .

٨ ـ روي عن عمر بن الخطاب انه قال : ان اخر ما نزل اية الربا ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر جميع القرآن تباعا ومن غير ان يترك شيء .

وبناء على ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر جميع القرآن او معظمه والذي بقي فالصحابة يفهمونه ففسروه للتابعين فانه لا حاجة لئن يجتهد احد في القرآن ولا يوجد مصدر لتفسير القرآن الا الاثر عن الرسول والصحابة والتابعين .

---

(١) المائدة ـ اية ٦٧ .

المبحث الثاني

اهم من التزم بالاثر في تفسير القرآن

١ ـ سفيان الثوري
٢ ـ جعفر بن جرير الطبري
٣ ـ اسماعيل بن كثير
٤ ـ جلال الدين السيوطي

تفسير القرآن الكريم

مؤلفه[1] :

الامام العلم الحجة سفيان بن سعيد بن مسروق بن موهبة الثوري نسبة الى ثور بن مضر بن نزار الكوفي .

احد الائمة المجتهدين في الفقه ، اجمع العلماء على امامته في الحديث والاصول والعلوم الشرعية جميعا .

قال عنه شعبة وابن عيينه وابن معين وغيرهم : سفيان امير المؤمنين في الحديث .

قال الطبري : كان فقيها عالما عابدا ورعا ناسكا راوية للحديث ثقة امينا على ما روي وحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن غيره .

اشتهر بالرأي والاجتهاد والقياس بدرجة اشتهاره في الحديث وكان علمه بالقرآن واسعا جدا ، وهو من اكابر مفسري عصره حتى كان يأخذ المصحف فلا يكاد يمر بآية الا فسرها وكان يقول : سلوني عن المناسك والقرآن فاني بهما عالم .

ولد رحمه الله في بيت علم ودين فأبوه من علماء الحديث واخوته وامه من فضليات النساء وكانت ولادته في سنة (٩٧هـ) سبع وتسعون باثير من قرى الكوفة وتوفي سنة (١٦١ هـ) رحمه الله ورضي عنه وارضاه .

---

(١) الطبقات لابن سعد جـ ٢ ص ١٠٥ وتذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ١٩ ولم يخل كتابه في التراجم والسير والطبقات من ترجمة له .

التفسير :

روي عن التفسير ابو جعفر محمد بن حذيفة النهري عنه مباشرة ورتبه وصححه وعلق عليه ـ امتياز علي عرشي ـ يتكون التفسير من مجلد واحد .

هو خير مثال للتفسير بالاثر حيث ان التفسير لم يكن فيه الا ما رواه سفيان عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ويذكر معاني نصوص بسيطة من غير رواية .

ومنهجه فيه هو منهج المحدث الذي يجمع الاثار والتفسير مرتب على السور والايات القرآنية من غير تفاوت في السور ولكن لا يفسر جميع الايات ولا جميع الكلمات في السورة وانما يكتفي بما وصل في تفسيرها اثر من الايات في السورة والكلمات في الاية ويترك الباقي ولا يفسر بنفسه الا قليلا جدا . لانه رضي الله عنه كان لا يرى جواز التفسير بغير الاثر مطلقا ولا يفسر بالرأي لانه راوي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وروي عن الشعبي قوله : لان اكذب على محمد صلى الله عليه وسلم احب الي من ان اكذب في القرآن كذبة ـ انما يقضي الكاذب في القرآن الى الله .

لم يفسر جميع سور القرآن الكريم بل وصل في تفسيره الى سورة الطور . وترك سورة الدخان وسورة محمد صلى الله عليه وسلم من غير تفسير . كما انه يسمي قسما من السور باسماء تختلف عن الاسماء المذكورة في المصاحف المتداولة .

فيسمي سورة الاسراء ، بني اسرائيل والحج ، اقترب وفاطر ، الملائكة وغافر ، المؤمن وفصلت ، حم السجدة والشورى ، عسق وقسم من هذه الاسماء تذكرها قسم من المصاحف ولكن هناك اسماء لم تعهدها في اي من المصاحف غيره .

ان تفسير الامام سفيان الثوري ذو مكانه علمية عالية لانه :

١ ـ تفسير امام من ائمة العلم الشرعي والمجتهدين .

٢ ـ لانه اقدم تفسير وصل الينا بعد التفسير المروى عن ابن عباس

وهو تفسير بالماثور بكل معنى هذه الكلمة. لان صاحبه يؤمن بفكرة انفراد الاثر في تفسير القرآن وطبقها على تفسيره بحذافيرها. اذ كل ما فسره بنفسه تجده تفسيرا لاحد الصحابة او التابعين ولكنه لم يذكر السند بكامله اليه او اهمل السند مطلقا .

ومن الامثلة على ذلك من التفسير :

« ومن سورة البقرة »

(قال سفيان نزلت اربع ايات من اول سورة البقرة في نعت المؤمنين وثلاث ايات في نعت الكافرين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين . . . .

قال سفيان : وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤنها على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة (الاية ٧) .

سفيان عن ابي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) قال تطيعون (الآية ٢٢) .

سفيان عن مجاهد (فلا تجعلوا لله اندادا) قال : عدلاء وانتم تعملون يا اهل الكتاب ، تعلمون انه واحد في التوراة والانجيل (الاية ٢٢) .

سفيان في قول الله جل وعز (وقودها الناس والحجارة) قال حجارة من كبريت وقال ابن مسعود كبريت احمر (الاية ٢٤) .

سفيان في قوله (واتوا به متشابها) قال : متشابها : لونه واحدا مختلف طعمه (الآية ٢٥)[1]

« ومن سورة آل عمران »

(سفيان عن سلمه بن نبيط او جويبر عن الضحاك في قوله (هذا الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات) قال : الناسخ ، واخر متشابهات ، المنسوخ (الاية ٧) .

سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن مجاهد قال : الخيل المسومة المطهمة (الاية ١٤) . . .

سفيان في قوله (ريح فيها صر) قال : برد (الاية ١١٧) .

سفيان في قوله الله (بخمسة الاف من الملائكة مسومين) قال معلمين)[2] .

---

(١) تفسير القرآن الكريم ـ للامام ابي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري ـ رواية ابي جعفر محمد بن ابي حذيفة النهدي عنه ـ صححه ورتبه وعلق عليه : امتياز علي عرشي ـ مدير مكتبة رضاء رامبور ـ الهند ـ طبع باعانة وزارة المعارف لحكومة الهند في هندستان ـ برنتنك وركس رامبور ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م . ص ١ .

(٢) تفسير القرآن الكريم ـ سفيان الثوري ص ٣٤ (المصدر السابق) .

(سفيان عن عيسى عن مجاهد في قوله (ذرية من حملنا مع نوح) قال : هم نداء يا ذرية من حملنا مع نوح .

سفيان عن التيمي عن ابي عثمان عن سلمان في قوله (انه كان عبدا شكورا) قال : كان اذا اكل طعاما حمد الله واذا لبس ثوبا حمد الله (الاية ٣) . . .

سفيان (اما يبلغن عندك الكبر) قال : اذا بلغا عندكم الكبر قال ان يخريا اويبولا ، فلا تقذروهما كما كانا لا يقذرانك اذا كنت صبيا)[1] .

هذا والتفسير كله بهذا الاسلوب كانه تفسير لغرائب الكلمات او بعض النصوص البسيطة وتاويل بعض الايات احيانا بما يؤدي اليه اجتهاده او يعلمه رواية ممن روى عنه ان كان القائل صحابيا او تابعيا . رحم الله سفيان الثوري ونفعنا بما قدم من علم .

(١) نفس المصدر السابق : ص ١٢٦ .

جامع البيان عن تأويل آى القرآن

لابن جرير الطبري

اطيب ثمار مدرسة التفسير هو تفسير الطبري وسأتكلم عنه باختصار اذ لامجال لدراسته دراسة تفصيلية في هذا البحث وسأكتفي بما يثبت نسبته الى مدرسة التفسير بالمأثور .

مؤلفه[1] : ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الاملي الطبري الامام العلم الحافظ .

ولد بآمل طبرستان سنة اربع وعشرين ومائتين من الهجرة ورحل الى بغداد وسكنها واستقر بها .

رحل في طلب العلم الى الشام ومصر ، قرأ القرآن في بيروت على العباس بن الوليد بن يزيد وسمع بمصر من يونس بن عبد الاعلى .

صنف في كثير من العلوم وله تصانيف كثيرة جدا اشهرها واهمها تفسير القرآن (جامع البيان) وكتاب (تهذيب الاثار) وكتاب (تاريخ الامم والملوك) .

قال عنه ابن خزيمة (محمد بن اسحق) ما اعلم على اديم الارض اعلم منه وكان معاصرا له . وقد اجمع العلماء على امامته وسعة علمه وعدوه من المجتهدين بعد ان كان شافعيا وانتشر على يديه المذهب الشافعي ولكنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق

---

(1) طبقات الحفاظ ص ٣٠٧ وطبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي ـ تحقيق علي محمد عمر ـ نشر مكتبة وهبه سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م جـ ٢ ص ١٠٦ .

ولم يصادف مذهبه الظروف التي تنشره او التلاميذالذين يتوارثوه فيكتب له الدوام على ايديهم ، وكان رحمه الله تقيا ورعا عزف عن الوظائف والقضاء . توفي رحمه الله في عشية يوم الاحد ليومين بقيا من شوال ودفن يوم الاثنين في داره في بغداد سنة عشرة وثلثمائة .

جامع البيان عن تأويل اي القرآن :

ولم يظهر قبل تفسير الطبري اكبر ولا اجمع ولا اوثق منه وقد وصفه العلماء بانه (لم يصنف احد مثله) .

منهجه في تناول الايات اقرب الى المثالية من اي تفسير اخر حيث يعتمد على تفسير القرآن للقرآن فيستدل على الايات لبعضها ثم يعتمد على تفسير الايات بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على ما روي عن الصحابة الكرام والتابعين فيرجح بين ارائهم اذا اختلفت ويجمع بينها ان قبلت الجمع ولا يترك قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان صح عنده ولا يفارق جميع اراء الصحابة ان اختلفوا في مسألة وانمايتخير منها ان كانت الطرق متوازية في الصحة وقوة السند ويرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر جميع آى القرآن ونقلها الصحابة عنه نصا او اشارة .

روى حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قولها : (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا ايا تعد علمهن اياه جبريل)[1] وعقب عليه وبرهن على راية في ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسر جميع القرآن الكريم بقوله : (ولو كان تأويل الخبر عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يفسر من القرآن شيئا الا ايا تعد هو ما يسبق اليه اوهام اهل الغباء . من انه لم يكن يفسر من القرآن الا القليل من ايه واليسير من حروفه كان انما انزل اليه صلى الله عليه وسلم الذكر ليترك للناس بيان ما انزل اليهم لا يبين لهم ما انزل اليهم وفي امر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ببلاغ ما انزل اليه واعلامه اياه انه انما نزل اليه ما انزل

---

(١) تفسير الطبري جـ ١ ص ٣٧ .

ليبين للناس ما نزل اليهم وقيام الحجة على ان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ فأدى ما امره الله ببلاغه وادائه على ما امره ربه وصحة الخبر عن عبدالله بن مسعود لقوله : كان الرجل منا اذا تعلم عشر ايات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن ما ينبىء عن جهل من ظن او توهم ان معنى الخبر الذي ذكرنا عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يفسر من القرآن شيئا الا ايا تعد هو انه لم يكن يبين لامته من تأويله الا اليسير القليل منه هذا مع ما في الخبر الذي روي عن عائشة من العلة التي في اسناده التي لا يجوز معها الاحتجاج به لاحد ممن علم صحيح سند الاثار وفاسدها في الدين لان رواية ممن لا يعرف في اهل الاثار وهو جعفر بن محمد الزبيري واما الاخبار التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه من التابعين باحجامه عن التأويل فان فعل من فعل ذلك منهم كفعل من احجم منهم عن الفتيا في النوازل والحوادث مع اقراره بان الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه اليه الا بعد اكمال الدين به لعباده وعلمه بان لله في كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص او دلالة فلم يكن احجامه عن القول في ذلك احجام جاحد ان يكون لله فيه حكم موجود بين اظهر عباده ، ولكن احجام خائف ان لايبلغ في اجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه فكذلك احجام من احجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السلف انما كان احجامه عنه حذار ان لا يبلغ اداء ما كلف من اصابه صواب القول فيه لا على ان تأويل ذلك محجوب عن علماء الامة غير موجود بين اظهرهم)[1] وهذا بعد ان ذكر جميع الاخبار التي يثق بها في ان الرسول فسر جميع القرآن الكريم .

فسر جميع آى القرآن الكريم ولم يغادر اية منه ، يبدأ بذكر السورة باسمها ويروي ما كان لها من اسماء ان روي لها اكثر من اسم فيقول عند تفسير سورة الفاتحة (صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال اخبرنا ابن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (هي ام القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني)[2] . قلت اذكر اسم السورة ان صح عنه اسمها كقوله (سورة آل

---

(١) التفسير : جـ ١ ص ٣٩ .

(٢) التفسير : جـ ١ ص ٤٧ .

عمران) وغالبا ما يذكر اسم السورة بقوله : (السورة التي يذكر فيها ـ البقرة ـ والسورة التي يذكر فيها النساء ـ والسورة التي يذكر فيها الانفال . .

بعد ذكر اسم السورة يأخذ بتفسير اياتها ولا يترك اية الا ويذكر ما روي من تفسيرها عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة او عن التابعين . يذكر الرواية بسندها التام الى الرسول صلى الله عليه وسلم او الى منتهاها .واذا كانت هناك رواية لا يرتضي سندها اعرض عنها وذكر انها معلولة .

ففي تفسير سورة البقرة قال : تفسير السورة التي يذكر فيها البقرة تم ابتدأ بآيات السورة قائلا : (القول في تأويل قوله جل ثناؤه . الـم : اختلفت تراجمة القرآن في تأويل قول الله تعالى ذكره (الـم) فقال بعضهم هو اسم من اسماء القرآن . ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحي قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة في قوله (الم) قال اسم من اسماء القرآن .

حدثني المثنى بن ابراهيم الاملي حدثنا ابو حذيفة موسى بن مسعود حدثنا ستبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال : (الم) اسم من اسماء القرآن .

ويستمر في ذكر جميع الروايات عن كل رأي في هذه المسألة بذكر الرأي ثم ذكر من قاله من الصحابة او التابعين راويا عنهم بالسند الكامل .

قال : وقال بعضهم هو اسم الله الاعظم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا شعبة قال سألت السدي عن (حم) و (طسم) و (الم) فقال : قال ابن عباس : هو اسم الله الاعظم .

ويعرض عن الروايات التي لا يرتضيها فقال مثلا : وقال بعضهم هي حروف من حساب الجمل ،كرهنا ذكر الذي حكى ذلك عنه ، اذ كان الذي رواه ممن لا يعتمد على روايته ونقله .

ويعقب الاقوال جميعا بذكر الرأي الذي يرجحه او يجمع بين الاراء فيقول في اخر كلامه عن تفسير (الم) وما قيل منها وتعليل الاراء يقول معقبا : والصواب من القول عندي في تأويل مفاتح السور التي هي حروف المعجم ان الله جل ثناؤه جعلها حروفا مقطعة ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف لانه عز ذكره اراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا معنى

واحد ، كما قال الربيع بن انس . وان كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة دون ما زاد عليها . والصواب عندي ان كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع وما قاله غيره من المفسرين فيه سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت من اهل العربية . . فانه قول خطأ فاسد لخروجه عن اقوال جميع الصحابة والتابعين)[1] .

وهكذا في تفسيره جميع ايات القرآن الكريم : يذكر الاية ثم يذكر تفسيرها مجملا ثم يذكر الاراء التي رويت موافقة ما ذهب اليه من التفسير ذاكرا اسباب النزول او الحادثة التي واكبت نزول الاية ويذكر ما ورد فيها من اسباب النزول او ما روي في ذلك ثم يرجح احد المعاني او يجمع بينها كما ذكرت .

فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما﴾[2] يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ : لتقضي بين الناس فتفصل بينهم بما اراك الله يعني ما انزل اليك من كتابه ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ يقول : ولاتكن لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله ، خصيما تخاصم عنه وتدفع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه (واستغفر الله) يا محمد وسله ان يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك عن الخائن من خان مالا لغيره . . . وذكر ان الخائنين الذين عاتب الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم في خصومته عنهم بنو ابيرق .

واختلف اهل التأويل في خيانته التي كانت منه فوصفه الله بها فقال بعضهم كانت سرقة سرقها . . . ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا ابو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن ابي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ﴿ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ﴾ الى قوله ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله ﴾ فيما بين ذلك في طعمه بن ابيرق ودرعه من حديد التي سرق وقال اصحابه من المؤمنين للنبي : اعذره في الناس بلسانك ورموا بالدرع رجلا من يهود كان بريئا .

---

(١) التفسير : جـ ١ من ص ٨٦ الى ص ٩٤ .

(٢) أية (١٠٥) النساء

ثم ساق الروايات الاخرى وذكر معها قصة بني ابيرق بشر ومبشر وبشير وكيف سرقوا طعام رفاعة بن زيد وسلاحه وشكاهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوه هم على انه اتهمهم بالسرقة من غير نية الى اخر القصة وانها نزلت بهم .

وروي كذلك القصة الثانية وهي ان الاية نزلت في رجل سرق درعا من حديد فطرحها على يهودي فقال اليهودي والله ما سرقتها يا أبا القاسم ولكن طرحت علي . . . الخ .

وذكر جميع الروايات التي تفسر الخيانة على ضوئها وقال : واولى التأويلين في ذلك بما دل عليه ظاهر الاية قول من قال : كانت خيانته التي وصفه الله بها في هذه الاية مجرد ما اودع لان ذلك هو المعروف من معاني الخيانات في كلام العرب وتوجيه تأويل القرآن الى الاشهر من معاني كلام العرب ما وجد اليه سبيل اولى من غيره)[1] .

ويروي الاسرائيليات ويعقب عليها احيانا وان جاءت بسند صحيح لا يخالفها وان اختلفت الاراء وازن بينها ورجح ما قوي سنده عنده .

من ذلك قصة خروج آدم عليه السلام من الجنة ووسواس الشيطان له والتوائه في معصية الله . قصة تطول في ص . **٢٣٨** من الجزء الاول لاحاجة لذكرها .

والذي يعنينا من التفسير الطبري انه يفسر القرآن بالسنة او بما روي عن الصحابة والتابعين موقوفا عليهم او مرفوعا قابل للاجتهاد او غير قابل .

وذكر الاحكام ويذكر اراء الفقهاء فيها ويرجح ما يراه .

هذه نبذة جدا مختصرة عن منهج تفسير الطبري بالمأثور لقسم من الايات تعرفنا كيف كان جل اعتماده على الروايات ويذكرها بسندها الكامل الى من رويت عنه .

رحمه الله وجزاه عن المسلمين وطلاب العلم خير الجزاء .

---

(١) التفسير جـ ٥ ص ٢٦٤ الى ص ٢٦٠ ملخصا .

تفسير القرآن العظيم

مؤلفه : [1]

اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع الحافظ عماد الدين ابو الفداء . ابن الخطيب شهاب الدين ابي حفص القرشي البصروي الدمشقي الشافعي .

ولد بقرية شرقي بصرى من اعمال دمشق سنة احدى وسبعمائة ، كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة اهل المعاني والالفاظ ، ثقفه على الشيخين برهان الدين الغزاري وكمال الدين بن قاضي شهبة ، الف كتبا كثيرة واهمها (البداية والنهاية) في التاريخ والتفسير الذي نحن بصدده فهو فقيه متقن ومفسر نقاد ومن حفاظ فنون الاحاديث والعلماء بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها .

مات في يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة اربع وسبعين وسبعمائة . ودفن في مقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية .

التفسير :

من اجل التفاسير واعظمها نفعا فهو تفسير لا بالطويل الصعب القراءة والا بالقصير قليل الفائدة وانما بينهما . يقع في اربع مجلدات كبار .

يقدم له بفضل التفسير وعلم القرآن ثم يتكلم عن طرق التفسير الصالحة ويبين ان القرآن يفسر بالقرآن ثم بالسنة ثم باقوال الصحابة ثم باقوال التابعين .

---

(١) طبقات المفسرين جـ ١ ص ١١٠ .

ويذكر في المقدمة طريقة الاستدلال باخبار اهل الكتاب وماذا يؤخذ منهم وماذا يرد .

ويعقب على ذلك بشيء يسير من علوم القرآن منها المكي والمدني واي نزل في اي منهما واسماء السور وما هي السورة وغير ذلك من علوم القرآن .

ينتهج في تفسير السور منهجا اعتياديا فهو يذكر السورة واسمها وفضلها ثم يذكر تفسيرها اية اية مستعينا اولا بالقرآن ثم بالسنة ثم يستشهد على معاني القرآن بلغة العرب وشعرها ذاكرا سبب نزول الاية .

يذكر الروايات واسانيدها الى من اسندت اليه ان كان في الاية اثر يفسرها وان لم يجد فسرها بما اوتي من علم وعنده علم كثير رحمه الله .

يذكر ايات الاحكام ويذكر اراء الفقهاء من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين كأبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل وغيرهم رحمهم الله اجمعين ويبين حجج كل من الفقهاء في توجيه رايه .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ يفسرها تفسيرا عاما فيقول : (يقول تعالى : كتب عليكم العدل في القصاص ايها المؤمنون حركم بحركم وعبدكم بعبدكم وانثاكم بانثاكم ولا تتجاوزوا وتعتدوا كما اعتدى من قبلكم وغيروا حكم الله فيهم) . . . (ويذكر في سبب نزولها ما رواه الامام ابو احمد بن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير ثني عبدالله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ يا ايها الذين امنوا كتب عيكم القصاص في القتلى ﴾ يعني اذا كان عمدا الحر بالحر وذلك ان حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى اسلموا فكان احد الحيين يتطاول على الاخر في العدة والاموال فحلفوا ان لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم والمرأة منا الرجل منهم فنزل فيهم ﴿ الحر بالحر ﴾[1] .

ثم يستدرج في تفسير الاية فيذكر المسائل الفقهية وينسبها لقائلها . فيقول : (مسألة) ذهب ابو حنيفة الى ان الحر يقتل بالعبد لعموم اية المائدة واليه ذهب الثوري وابن ابي ليلى وداود وهو مروى عن علي وابن مسعود وسعيد بن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ جـ ١ ص ٢٠٩ .

المسيب . . . . ، وخالفهم الجمهور فقالوا لا يقتل الحر بالعبد . . . (مسألة) قال الحسن وعطار لا يقتل الرجل بالمرأة لهذه الاية وخالفهم الجمهور . . . . (مسألة). ومذهب الائمة الاربعة والجمهور ان الجماعة يقتلون بالواحد . . . .) .

وهكذا يستطرد في عرض المسائل التي تحتملها الاية من ناحية الاحكام وما تفرع عنها في الاستدلال ويذكر الاحاديث التي رويت تعطي ضوء على تفسير الاية او تبين الحكم .

والخلاصة تفسير ابن كثير من احسن التفاسير بالاثر نفعا فهو وان التزم بالاثر الا انه التزمه حينما يكون للاية تفسير به والا فانه يفسر بما يملي عليه النص وما يفهم بادوات الفهم ومناسبات النصوص .

فهو تفسير موجز كاف لمعرفة كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من معاني واحكام وغيرها وان ذكر قصة عقبها بالتوثيق او التجريح او الرفض .

الدر المنثور في التفسير بالمأثور

مؤلفه : [1]

جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ولد باسيوط في مصر ورحل الى الشام والحجاز كثيرا ، له مصنفات تنوف على الثلثمائة مصنف في مختلف العلوم ومن ضمنها التفسير والحديث وبقية العلوم الشرعية .

امام ثقة حافظ متقن ثاقب الذكاء اهم مصنفاته في علوم القرآن الاتقان والدر المنثور الذي نحن بصدده . توفي في المقياس من ضواحي القاهرة ودفن فيها سنة **٩١١** هـ .

التفسير :

والدر المنثور تفسير جليل يكمل في اكثر من اربع مجلدات وهو كما سماه تفسير بالماثور .

فهو يبدأ بذكر الاثار التي تتعلق باسم السورة وفضلها يرويها باسانيدها مبتدأ باقواها اسنادا ثم ينبري الى تفسير الايات اية يذكر الروايات التي وردت في تفسير الاية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين .

وهذا بعد ان يذكر قرآنيتها ومكية هي ام مدنية .

مثال : (سورة فاتحة الكتاب وايها سبع) .

---

(١) له تراجم في مختلف كتب السير التي الفت بعده ومن ضمنها مؤلفاته وقد ترجم هو لنفسه في كتابه حسن المؤانسة وهذه الترجمة مختصرة من مقدمة كتابه طبقات الحفاظ .

اخرج عبد بن حميد في تفسيره عن ابراهيم قال : سألت الاسود عن فاتحة الكتاب امن القرآن هي قال : نعم .

واخرج عبد بن حميد ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن الانباري في المصاحف عن محمد بن سيرين ان ابي بن كعب كان يكتب فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم اياك نعبد واللهم اياك نستعين ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن وكتب عثمان فاتحة الكتاب والمعوذتين .

واخرج عبد بن حميد عن ابراهيم قال كان عبدالله لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف وقال : لو كتبها لكتبت في اول كل شيء)[1] .

ثم يستمر في الروايات التي تدل على فضلها وحكم قراءتها في الصلاة مبينا اراء الفقهاء في ذلك .

وبالنسبة لسورة البقرة مثلا حيث لا يوجد راي يقول بعدم كتابها في المصحف من قبل اي من المسلمين يبدأ بمكان نزولها ثم يتكلم عن تسميتها فيقول : (سورة البقرة) .

اخرج ابن الضريس في فضائله وابو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ وابن مردوية والبيهقي في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس قال نزلت بالمدينة سورة البقرة .

واخرج ابن مردوية عن عبدالله بن الزبير قال انزل بالمدينة سورة البقرة .
واخرج ابوداودفي الناسخ والمنسوخ عن عكرمة قال : اول سورة نزلت في المدينة سورة البقرة .

واخرج ابن ابي شيبة واحمد والبخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي عن جامع بن شداد قال كنا في غزاة فيها عبد الرحمن بن يزيد ففشا في الناس ان ناسا يكرهون ان يقولوا سورة البقرة وآل عمران حتى يقولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران فقال عبد الرحمن اني اسمع عبدالله بن مسعود اذا استبطن الوادي فجعل الجمرة على حاجبه الايمن ثم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ جلال الدين السيوطي ـ المكتبة الاسلامية ـ طهران جـ ١ ص ٢ .

استقبل الكعبة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فلما فرغ قال : من ها هنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة)[1] .

ويذكر روايات كثيرة بخصوص التسمية وصحة القول بسورة البقرة او كراهتها والقول السورة التي يذكر فيها سورة البقرة ثم يبدأ بتفسيرها .

فيقول : (قوله تعالى ﴿ الم ﴾ . اخرج وكيع وعبد بن حميد عن ابي عبد الرحمن السلمي انه كان يعد ﴿ الم ﴾ اية و ﴿ حم ﴾ اية ١ واخرج البخاري في تاريخه والترمذي وصححه وابن الضريس ومحمد بن نصر وابن الانباري في المصاحف والحاكم وصححه وابن مردويه وابو ذر الهروي في فضائله والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها ، لا اقول (الم) حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف) . . .

. . . ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ . اخرج الغريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد قال من اول البقرة اربع ايات في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاث عشر اية في نعت المنافقين . ومن اربعين اية الى عشرين ومائة اية في بني اسرائيل واخرج وكيع عن مجاهد قال هؤلاء الايات الاربع في اول سورة البقرة الى المفلحون نزلت في نعت المؤمنين واثنتان من بعدها الى عظيم نزلت في نعت الكافرين والى العشر نزلت في المنافقين . واخرج ابن جرير عن الربيع بن انس قال : اربع ايات من فاتحة سورة البقرة في الذين امنوا وآيتان في قادة الاحزاب . واخرج ابن جرير والحاكم وصححه عن ابن مسعود الم حرف اسم الله والكتاب القرآن لا ريب فيه لا شك فيه . . . واخرج احمد في الزهد وابن ابي حاتم عن ابي الدرداء قال الريب الشك من الكفر . واخرج الطستي في مسائل ابن عباس ان نافع ابن الازرق قال له اخبرني عن قوله عز وجل لا ريب فيه قال لا شك فيه قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت ابن الزبعري وهو يقول :

ليس في الحق يا امامة ريب انما الريب ما يقول الكذوب

واخرج عبد بن حميد عن ابي قتادة في قوله لا ريب فيه قال لا شك فيه . قوله تعالى ﴿ هدى للمتقين ﴾ اخرج وكيع وابن جرير عن الشعبي في قوله هدى قال من

---

(١) الدر المنثور جـ ١ ص ١٧ .

الضلالة . واخرج ابن جرير عن ابن مسعود في قوله هدى قال نور للمتقين قال هم المؤمنون)[1] .

وهذا وجدته في تفسير جميع الايات الكريمة حتى ايات الاحكام فلا يفسر اية الا بالروايات التي وصلته عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة او عن التابعين ولا يفاضل بين الروايات ولكنه يقدم اوثقها غالبا ويذكر وجهات النظر ايضا باسانيدها الى الصحابة والتابعين ويعتمد الخلاف الذي عليه الروايات ولا يزيد في ذلك شيء .

يذكر بعض التفسيرات الاسرائيلية للايات وينقل هذه الاسرائيليات باسانيدها عمن وصلته عنهم فيقول :

(يا ايها الناس اتقوا ربكم الاية) اخرج ابو الشيخ عن ابن عباس في قوله خلقكم من نفس واحدة قال من آدم وخلق منها زوجها قال خلق حواء من قصيراء اضلاعه . واخرج عبد بن حميد وابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله خلقكم من نفس واحدة قال آدم وخلق منها زوجها قال حواء من قصيراء آدم وهو نائم فاستيقظ فقال اثا بالنبطية امرأة . واخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عمرو قال خلقت امرأة ابليس من خلفه الايسر)[2] .

وهو على كل حال تفسير جليل لم يبق رواية في تفسير اية في كتاب عن الرسول او عن الصحابة وعن التابعين الا ذكرها فيه ولكنه لا يعقب على الروايات ولا على القصص الاسرائيلية او الروايات الماخوذة من تفسيرات تنسب الى الاسرائيليات .

---

(١) الدر المنثور جـ ١ ص ١٨ .

(٢) الدر المنثور جـ ٢ ص ١١٦ .

المبحث الثالث

الوضع في التفسير
نشأة الوضع

اسباب نشوء وانتشار الوضع
اهم من اشتهر به

ناصر الدين البيضاوي في تفسير
انوار التنزيل واسرار التأويل

المبحث الثالث

الوضع في التفسير :

ينصب الوضع على التفسير بالماثور لان التفسير العقلي او التفسير بالرأي لم يكن محتاجا للوضع كالتفسير بالماثور ويعتبر الوضع من نقاط الضعف في التفسير بالماثور وهو الذي قلل الثقة فيه .

والوضع في التفسير هو تفسير القرآن الكريم او نصوص منه باحاديث موضوعة .

والحديث الموضوع[1] . وهو المختلق المصنوع . . . وهو شر الاحاديث الضعيفة ولا تحل روايته لاحد علم حاله في اي معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه .

نشأة الوضع في التفسير :

والتفسير الموضوع نشأ مع نشوء الوضع في الاحاديث لانه نوع من انواع الاحاديث اي الذي يختص بتفسير القرآن الكريم من الاحاديث ويصدق عليه كل ما يصدق على الحديث الموضوع .

ويكاد يجمع اهل الحديث ان الوضع ابتدأ او ظهر في اعقاب الفتنه التي عمت المسلمين وانتهت باستشهاد خليفة المسلمين امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه واستمرت حتى اودت بحياة الخليفة الرابع امير المؤمنين علي بن ابي طالب .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح مع شرح الزين العراقي في التعبير والايضاح ص ١٣٠ .

ووقتها هو النصف الاول من القرن الاول الهجري في حوالي سنة ٤٠ اربعين هجرية .

نشأ الوضع في الحديث والتفسير نتيجة التطاحن الـذي حدث بـين المسلمـين وانشغالهم بالفتن مما سهل على عدوهم ان ينفذ خلال صفوفهم ويدس ما يحلو له مما يفسد العقيدة ويشكك المسلمين في دينهم ومنهجهم .

نشأ الوضع في حياة الصحابة وقد شعروا به رضي الله عنهم وحاربوه . وقد انتشر حتى استاء كثير من الصحابة والتابعين من الاوضاع التي ساعدت على انتشاره (فقد روى الزهري قال : دخلنا على انس بن مالك بدمشق وهو وحده يبـكي ، قلت ما يبكيك ؟ قال لا اعرف شيئا مما ادركت الا هذه الصلاة وقد ضيعت) .

(وقال الحسن البصري : لو خرج عليكم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرفوا منكم الا قبلتكم .

وقال هشام بن عروة بن الزبير : لما اتخذ عروة بن زبير قصره بالعقيق قال له الناس قد جفوت عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انـي رأيت مساجدكم لاهبة واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وكان هنالك عما انتم فيه عافية . . . وما بقي انما بقي شامت بنكبة او حاسد على نعمة .

ودخل رجل على ربيعة بن عبد الرحمن فوجده يبكي فقال له ما يبكيك وارتاع لبكائه ؟ فقال له امصيبة دخلت عليك ؟ فقال لا ولكن استغني من لاعلم له ودخل في الاسلام امر عظيم ولبعض من يفتي ههنا احق بالسجن من السراق)[1] .

هذه الاثار تدل على ان الوضع تفشى وكثرت البدع والمروق من الدين في حياة الصحابة الكرام وايام التابعين ولكن مع هذا لم يكن الوضع بالشكل الذي طمس المعالم الصحيحة للسنة ولا النور البراق للقرآن الكريم .

لان هذا الوضع تصدى له سلف الامة وخلفها حتى نفضوا الغبار الذي تركه الوضع على السنة النبوية في التشريع والتفسير على السواء .

ونستطيع ان ندرج اسباب نشوء وتفشي الوضع في الاعصر التي نشأ فيها بمـا يلي :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٢٤٦ .

اسباب نشوء وانتشار الوضع :

١ ـ كثرة الفتن وانشغال المسلمين بالشؤون السياسية ادى الى انصرافهم عن متابعة السنة النبوية المطهرة فاندس خلالهم من اراد لهذا الدين بالطمس ولمعالمه بالدروس فوضع ما شاء لتشويه العقيدة وزلزلة النفوس المؤمنة .

٢ ـ انقسام المسلمين الى احزاب اندس ضمن افرادها من ارادوا كيدا للمسلمين فوضعوا الاحاديث بما يلائم اتجاه تلك الاحزاب وفكرتها فتقبلها افراد الاحزاب المخلصين والصادقين بحسن نية لانها لاقت هوى في نفوسهم ولم ينتبهوا الى انها موضوعة ولم يسيئوا الظن برواياتها ثم انها قوت دافع الانقسام في نفوسهم والاحاديث يقابلها تأويلات للنصوص القرآنية او انها تخصص قسم من الايات بما يلائم فكرة الحزب .

(كما روي حديث تصدق علي بن ابي طالب بخاتمه وهو في الصلاة يخصصون فيه قوله تعالى : ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[1] وهو حديث موضوع باتفاق اهل العلم)[2] وقد نقله قسم من المفسرين غير الشيعة كالطبري فقد عمي عليهم مع ان جميع القرائن تثبت وضعه .

ومن الاحزاب من يجيز الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل الانتصار لمذهبه .

واصدق اهل الاهواء هم الخوارج فلم يجرب احد عليهم كذبا لانهم على النقيض من الشيعة قالوا بعدم قبول توبة ذوي الكبائر والكذب من الكبائر فلم يقبلوه بحال ولم يجرب عليهم كذبا قط . بينما الشيعة اجازوا التقية بين المسلمين وتساهلوا فيها حتى اخذ بها من غير حاجة لها اصلا وانما للتعمية فقط .

٣ ـ الوعاظ وقسم من الزهاد والذين وضعوا الاحاديث ترغيبا او ترهيبا ومنهم نوح بن ابي مريم وضع احاديث في فضائل سور القرآن سورة سورة يزعم انه يريد

---

(١) سورة المائدة اية ٥٥ .

(٢) مقدمة في اصول التفسير ٧٨ .

ان لا ينصرف الناس عن القرآن الى الحديث قال ابن الصلاح (وروينا عن ابي عصمة نوح بن ابي مريم انه قيل له من اين لك عن عكرمة عن ابي عباس في فضائل القرآن سورة سورة فقال اني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن وانشغلوا بفقه ابي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق فوضعت هذه الاحاديث حسبة)[1] .

٤ ـ وهناك سبب يختص به التفسير دون الحديث من ناحية الوضع وهو ان التفسير بالراي كان في اول امره منظورا اليه بعدم ارتياح وخاصة من علماء المسلمين ويعتبرون الاشتغال بالحديث اقرب الى الله من الانشغال في التفسير وقالوا ان التفسير كلام الناس والحديث كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فتحاما كثير من الناس الخوض في التفسير بالرأي فإن قدح في ذهن احدهم رأى في آية يفسرها ويرى ان وجه تفسيرها الصحيح هو الذي ذهب اليه وضع لرأيه هذا اسناداً بوصله الى احد الصحابة او التابعين المشهورين بالتفسير وذلك لكسب الرأي شرعية ولئلا يقال عنه انه مفسر بالرأي .

ونحن نجد في الاحاديث الموضوعة في تفسير قسم من الايات اراء لا بأس بها ولكن وضع لها مفسروها اسانيد الى احد الائمة ولا يعيب الرأي الا السند وان هو رأي سليم .

اهم من اشتهر به :

اكثر من اشتهر في الوضع في التفسير هو مقاتل بن سليمان وتفسيره فيه آراء تفسيرية لا بأس بها ولكن كثير من هذه الاراء يضع لها اسانيد محاولا اثبات صحتها وقوة ما جاء فيها عن طريق نسبتها الى احد ائمة التفسير من الصحابة والتابعين .

انوار التنزيل واسرار التأويل :

مؤلفه القاضي ناصر الدين البيضاوي وقد الفه في سنة ٦٥٠ هـ وما بعدها والتفسير من التفاسير الصغيرة الحجم العظيمة الفائدة . فهو جميل الاسلوب حلو العبارة رصين التعبير .

لم يكن من التفاسير المطولة ولم يعتمد على الحديث في تفسير الايات وجل اعتماده على اللغة .

---

(١) التفسير والايضاح شرح مقدم ابن الصلاح في المقدمة ص ١٣٢ .

الذي حملني على ضربه مثلا على التفسير الذي تاثر بالوضع هو حرصه على رواية الاحاديث التي وضعت في فضائل السور سورة سورة .

ومنهجه بصورة عامة هو ذكر اسم السورة ثم نسبتها الى موطن النزول ثم يبدأ بتفسير الايات آية آية وفي اخر السورة يذكر الحديث المروى في بركة او فضيلة للسورة .

يقول في تفسير سورة سبأ : (سورة سبأ مكية وقيل الا ﴿ وقال الذين اوتوا العلم ﴾ وآياتها خمس واربعون ـ بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله الذي له ما في السماوات وما في الارض ـ خلفا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ، وله الحمد في الاخرة لان ما في الاخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف الذي يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة ـ وهو الحكيم ـ الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء . . . . (وفي اخر السورة يقول : وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان والنجاة به من النار ، وقرأ ابن عامر والكسائي باتمام الضم للماء ـ كما فعل باشياعهم من قبل ـ باشباههم من كفرة الامم الدارجة ـ انهم كانوا في شك مريب ـ موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشك نعت به الشك للمبالغة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا)[1] .

وهكذا في جميع السور . . ففي اخر سورة المؤمن قال : (عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى الله عليه واستغفر له)[2] .

وقال في اخر سورة ق : (عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته)[3] .

---

(١) تفسير البيضاوي ـ ناصر الدين البيضاوي ـ مطبعة محمد علي صبيح ص ٥٧٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٦٣١ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٦٨٩ .

الاسرائيليات

تمهيد

معنى الاسرائيليات

اسباب دخول الاسرائيليات التفسير

اهم التفاسير التي اشتهرت بها

١ ـ تفسير مقاتل بن سليمان

٢ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل
علاء الدين علي بن محمد الخازن

تمهيد :

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين ومعه القرآن الكريم الذي حوى ما حوته الكتب من عقائد سليمة وشرائع مستقيمة فحرفت وسلم من التحريف لان الله تعهد بحفظه وسلامته فكان لها ناسخا وللانبياء الذين جاءوا بها مصدقا فوجب اتباعه وتركها وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالقرآن الكريم وطاعته لانه الذي صدق جميع الانبياء واثبت من شرائعهم ما له قابلية الدوام وما كان منها آنياً نسخه وما حرفه اهله اشار اليه .

كانت الجزيرة العربية العربية امية يسكنها الاميون فلم يكن فيها اي صورة من صور الثقافة والتعليم وانما كانوا يحتقرون التعليم والمعلم على انها مهنة وكل مهنة لديهم محتقرة حتى التعليم .

فكان المصدر الوحيد لعلومهم هو اهل الكتاب النصارى الذين يقطنون الشام وشمال غرب الجزيرة العربية والذين يرونهم في رحلاتهم التجارية ، كذلك الذين هم في اليمن والذين يتاجرون معهم ايضا ، كذلك كان في الجزيرة العربية طوائف من اليهود وكانوا يسكنون يثرب وخيبر .

تنصر من العرب قسم من القبائل كالغساسنة ولم يتهود من العرب الا افراد لان اليهود مع وجودهم بين العرب الا انهم ليسوا دعاة ويرون انفسهم افضل من العرب والعرب يحتقرونهم لانهم اصحاب مهن ويميلون الى الدعة وليسوا شجعان . وهذا احقر ما يحتقره العرب في الجاهلية وبعد الاسلام عدا المهن التي غير نظرتهم اليها الاسلام .

قلت ان مصدر العرب العلمي الوحيد هم اهل الكتاب فان بدا لهم ان يسألوا

عن شيء من العلوم سألوا اهل الكتاب الذين بينهم فهذه هي مصادر ثقافتهم الدينية والعلمية قبل الاسلام .

هذه صورة بسيطة للعرب وعلاقتهم باهل الكتاب قبل الاسلام فلما جاء الاسلام تكلم عن الانبياء السابقين ومنهم انبياء بني اسرائيل وتكلم عن النصارى ونبيهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

لم يتكلم القرآن الكريم عن كل صغيرة وكبيرة عن اليهود والنصارى وانما ذكر اشياء مجملة احيانا ومبهمة احيانا اخرى فكان المسلمون يسألون فيها اهل الكتاب باعتبارها تخصهم او تكلمت عنهم .

وكان هذا هو مبدأ دخول تفسيرات النصوص القرآنية بالاستعانة باهل الكتاب او بمعلومات اهل الكتاب ، وهذه المعلومات سميت فيما بعد الاسرائيليات فالاسرائيليات : هي معلومات اهل الكتاب التي فسرت بها نصوص قرآنية او حديثية .

وقد عرفها الشيخ الذهبي : (بانها كل ما تطرق الى التفسير والحديث من اساطير قديمة منسوبة في اصل روايتها الى مصدر يهودي او نصراني او غيرهما)[1] .

والكلمة جمع مفرده (اسرائيلية) والنسبة الى اسرائيل ابي بني اسرائيل اليهود وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

وتعني ما ينسب الى بني اسرائيل او اليهود ، والواقع ان الاسرائيليات كما اسلفنا لم يكن مصدرها اليهود فقط وانما معهم النصارى .

وفي اصطلاح المفسرين والمحدثين شملت حتى القصص والاساطير التي دخلت الحديث والتفسير وهي غريبة عليه وان لم يكن مصدرها يهودي ولا نصراني .

والتغليب جاء من ان اليهود ابتدأوا دسهم في الايام الاولى التي دخل الاسلام المدينة المنورة اي في اول ساعات احتكاكهم به .

اضف الى ذلك ان الايام الاولى للاسلام لم يكن هناك اي اثر نصراني او غير يهودي في الثقافة العربية والاسلامية .

ثم بعدئذ لما دخلت الثقافات غير اليهودية وظهر اثرها في العقلية المسلمة

---

(١) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٢٠ .

بقيت المعلومات اليهودية هي الغالبة على جميع المعلومات بشتى مصادرها خاصة في التفسير فقد ظهر احتكاك المسلمين بالثقافة اليهودية والمعلومات الاسرائيلية في ايامهم الاولى في المدينة حيث كان ذلك في ايام الرسول صلى الله عليه وسلم .

(فقد روي ان عمر بن الخطاب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض الكتب فقال يا رسول الله اني اصبت كتابا حسنا من بعض اهل الكتاب قال فغضب وقال : امتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيحدثونكم بحق فتكذبوا به او بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني)[1] .

اذن فموقف المسلمين من شريعة غيرهم ان شريعتهم ناسخة لها وان انبياء تلك الامم لو كانوا احياء لآمنوا به ولا يقبل منهم غير الاسلام بل انهم بشروا به وطلبوا من اممهم ان يطيعوه ولكن ظلت اممهم في غيها سادرة .

وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿ ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ﴾[2] ولكن اليهود والنصارى كذبوا بعد ان رأوا الحق المبين .

واذ أعلم محمد صلى الله عليه وسلم اصحابه موقعهم من الرسالات وامن عليهم استحسانها او تفضيلها على رسالتهم ودينهم قال لهم (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)[3] .

اذاً فموقفهم تحدد من جميع الرسالات ونظرتهم لها وضحت .

وتحدد موقف المسلمين من احاديث بني اسرائيل اكثر فيما رواه عطاء بن يسار قال : (كان يهود يحدثون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسبحون كانهم يفجون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)[4] هذا الموقف الدقيق من احاديث اهل الكتاب وبناء على هذه النصوص الشرعية التي حددت موقف المسلمين من اخبار اهل الكتاب واحاديثهم قسم ابن تيمية رحمه الله الاسرائيليات الى ثلاثة اقسام : (احدها ما علمنا صحته مما بايدينا مما يشهد له

---

(١) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٥٢ .

(٢) آية (٦) الصف

(٣) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٥٠ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٥١ .

بالصدق فذاك صحيح ، والثاني ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه والثالث هو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته ، لما تقدم وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لامر ديني)[1] .

ونحن نعلم ان اليهود والنصارى حرفوا التوراة والانجيل كما اخبرنا القرآن الكريم ومن التوراة التي لم يحرف ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : (ان هذه الاية التي في القرآن : ﴿ يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ قال في التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عهدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب بالاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا : لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عمياً واذانا صما وقلوبا غلفا)[2] وهذا يدل على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عندهم ولكنهم معاندون .

اسباب دخول الاسرائيليات في التفسير :

ومن اسباب دخول الاسرائيليات الى التفسير هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذن بالرواية عنهم كما مر بنا بعد ان حذر من الاعتقاد بما يخالف الشريعة والتنبية على انها منسوخة فما بقي غير ذلك لا خوف على المسلمين من روايته .

كذلك نجد في القرآن الكريم ما هو مبهم من المعلومات المذكورة عن اهل الكتاب ولما اصبحوا من المسلمين جعل المسلمون يسألونهم عن التفاصيل ، فرويت عنهم ثم دونت مع التفسير .

وهناك سبب ذكره ابن خلدون قائلا : (ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية في اسباب المكونات وبدء الخليقة واسباب الوجود فانما يسألون عنه اهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، واهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك

---

(١) مقدمة في اصول التفسير ص ١٠٠ .

(٢) فتح الباري جـ ٨ ص ٥٨٥ .

الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل اخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك ، وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وامثالهم فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الاغراض)[1] .

كما ان من اسباب دخولها في التفسير اسلام قسم منهم فاليهود الذين اسلموا ادخلوا هذه الثقافة التي لا علاقة لها فيه .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٤ .

امثلة من التفاسير التي تأثر مفسروها بالاسرائيليات

١ ـ مقاتل بن سليمان

٢ ـ علاء الدين علي بن محمد الخازن

تفسير مقاتل بن سليمان

احسن ما يمثل للتفسير المشبع بالاسرائيليات والروايات المكذوبة الموضوعة فهو مليء بهما .

مؤلفه :[1]

مقاتل بن سليمان بن كثير الازدي الخراساني البلخي ابو الحسن كذاب متروك الحديث متهم بالتجسيم في عقيدته زيغ ولكنه كان من اوعية العلم له من التصانيف : نظائر القرآن والتفسير الكبير وغيرهما من كتب علوم القرآن .

قال الشافعي : الناس عيال على ثلاث مقاتل بن سليمان في التفسير وابي حنيفة في الفقه وزهير بن ابي سلمى في الشعر .

وقال الحافظ الذهبي مقاتل بن سليمان متروك الحديث وقد لطخ بالتجسيم مع انه كان من اوعية العلم بحرا في التفسير. توفي سنة مائة وخمسون من الهجرة .

التفسير :

يشهد لصاحبه بالتمكن والعلمية ويشهد عليه كذلك بعدم التحري وعدم الدقة في كتابة الاخبار .

فهو لا يذكر مع الرواية سندها ولا يميز قويها من سقيمها ، ويذكر التفسير للاية بما ورد في خاطره وما اداه اليه اجتهاده مضيفا اليه مما في خازنته من الاخبار من غير تمحيص ولا نقد .

يفسر جميع الايات مسلسلة ويذكر الاحاديث من غير سند مع قربه من زمن

---

(١) طبقات المفسرين جـ ٢ ص ٣٣١ .

النبوة ومن عهد الصحابة والتابعين . وفي وقته حتى اخبار الفقه واللغة يسندها اصحابها الى قائليها من علماء الصحابة والتابعين .

يقول في تفسير سورة البقرة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ـ الم ـ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ـ وذلك ان كعب بن الاشرف وكعب بن اسد لما دعاهما النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام قالا ما انزل الله كتابا من بعد موسى تكذيبا به فانزل الله عز وجل قوله ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾[1] ولم اعثر على هذا الخبر في تفسير ولا كتاب حديث ولم يذكرها كتاب اسباب النزول للواحدي .

ويذكر الاخبار الاسرائيلية من غير تمحيص ايضا فمنها التي لا يضر ذكرها كقوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم ﴾ يقول اتل يا محمد على اهل مكة نبأ ابني آدم (بالحق) ليعرفوا نبوتك يقول اتل عليهم حديث ابني آدم هابيل وقابيل ، ذلك ان حواء ولدت في بطن واحدة غلاما وجارية قابيل واقليما ثم ولدت في البطن الاخر غلاما وجارية هابيل واليوذا وكانت اخت قابيل احسن من اخت هابيل ، فلما ادركا قال آدم عليه السلام كل واحد يتزوج اخت الاخر قال قابيل لكن يتزوج كل منا اخته التي ولدت معه ، قال آدم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه كان احق بهذه الجارية وخرج آدم الى مكة فعمد قابيل وكان صاحب زرع فقدم اخبث زرعه ، البر المأكول فيه الزوان وكان هابيل صاحب ماشية فعمد فقرب خير غنمه مع لبن وزبد ثم وضعا القربان على الجبل وقاما يدعوان الله عز وجل فنزلت نار من السماء فاكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فحسده قابيل فقال لهابيل لاقتلنك قال هابيل يا اخي لا تلطخ يدك بدم بريء فترتكب امرا عظيما انما طلبت رضا والدي ورضاك فلا تفعل فانك ان فعلت اخزاك الله بقتلك اياي بغير ذنب ولا جرم فتعيش في الدنيا ايام حياتك في شقو ومخافة في الارض حتى تكون من الخوف ادق من شعرة رأسك ويجعلك الهي ملعونا)[2] هذه من القصص الاسرائيلية التي لا يضر روايتها وقد رواها الطبري[3] مرة كاملة عن ابن اسحق عن جماعة من اهل الكتاب ومرة عن ابن عباس غير كاملة .

---

(١) تفسير مقاتل ابن سليمان ـ تحقيق عبد الله شحاته ـ رسالة جامعية جـ ١ ص ٨ .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان جـ ١ ص ٣٠٦ .

(٣) تفسير الطبري جـ ٦ ص ١٨٨ .

واحيانا يروي من الاسرائيليات ما يمس بكرامة الانبياء ولا يليق مع حتى الصالحين قوله في قصة نبي الله داود عليه السلام : (وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسودوا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط. وذلك ان داوود قال : رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فوددت انك اعطيتني من الذكر مثل ما اعطيتهما فقال له اني ابتليتهما بما لم ابتلك بمثل الذي ابتليتهما واعطيتك مثل ما اعطيتهما من الذكر قال نعم قال اعمل عملك فمكث داوود عليه السلام ما شاء الله عز وجل يصوم نصف الدهر ويقوم نصف الليل ، اذا صلى في المحراب فجاء طير حسن ملون فوقع اليه فتناوله فصار الى الكوة فقام ليأخذه فوقع الطير في بستان فاشرف داوود فرأى امرأة تغتسل فتعجب من حسنها وابصرت المرأة ظله فنفضت شعرها فغطت جسمها فزاده ذلك بها عجبا ودخلت المرأة منزلها وبعث داوود غلاما في اثرها فاذا هي (بتسامع امرأة ادريا بن حنان) وزوجها في الغزو في بعث البلقاء الذي بالشام مع (نواب بن صوريا) ابن اخت داوود عليه السلام فكتب داوود الى ابن اخته بعزيمة ان يقدم ادريا فيقاتل اهل البلقاء ولا يرجع حتى يفتحها او يقتل مقدمه فقتل رحمة الله عليه فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داوود فولدت له سليمان بن داوود فبعث الله عز وجل الى داوود عليه السلام ملكين ليستنقذه بالتوبة فأتوه راس يوم المائة في المحراب وكان يوم عبادته والحرس حوله ﴿ اذ دخلوا على داوود ففزع منهم ﴾[1].

وهذا مما يستنكف عنه اي ولي امر ذو غيرة وشهامة ، وقد كان اولياء امور المسلمين يخلفون الجنود في عائلاتهم ولا يتركون لهم حاجة الا وقضوها لهم . فاذا كان العمل يستنكف عنه الناس الاسوياء فهل يرضى الله عز وجل على نبيه هذا العمل وهل يعمل هذا نبي معصوم سبحان الله وحاشا لانبيائه واوليائه .

نقل هذا مقاتل بن سليمان في تفسيره بل ملاءه بمثل هذا من غير تمحيص ولا نقد ولا اشارة الى ان هذا يخل بالانبياء ولا يستقيم مع عدالتهم وعصمتهم وصفائهم .

---

(١) آية (٦) ص

ومقاتل بن سليمان يكتبها باسلوب ينبىء عن اقرارها وموافقته لها .

هذا هو تفسير مقاتل بن سليمان الذي اتخذناه مثلا على الاسرائيليات والتفاسير التي تأثرت بها .

نرجو من الله السداد والعون .

تفسير الخازن
(لباب التأويل في معاني التنزيل)

مؤلفه :[1]

علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل الشيحي نسبة الى شيحة قرية من عمل حلب ، البغدادي الصوفي . خازن الكتب السمياطية واشتهر بالخازن بسبب ذلك .

ولد سنة ثماني وسبعين وستمائة ببغداد ورحل الى دمشق ، الف التفسير وجمع جميع الصحاح بكتاب واحد بعشر مجلدات رتبها على ابواب وله غيرهما من المصنفات .

مات في اخر رجب احدى واربعين وسبعمائة بحلب .

التفسير :

تفسير جليل بسبع مجلدات ولكن الذي يؤخذ عليه انه مليء بالقصص الاسرائيلية .

بدأه بمقدمة في علوم القرآن واصول التفسير وهي مقدمة بسيطة ويذكر فيه فضيلة التفسير وعدم جواز التفسير بالرأي .

يبدأ بتفسير السور والايات يذكر فيها فضيلة السورة وفضل قارئها ثم يفسر باللغة ثم يستشهد عليها بالشعر احيانا ، والذي يهمنا فيه هو اهتمامه بالاسرائيليات ونقلها من غير تمحيص فمثلا قال :) قوله عز وجل ﴿ واذ فرقنا بكم البحر ﴾ اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه .

(١) طبقات المفسرين ـ شمس محمد بن علي الداودي تحقيق علي محمد عمر جـ ١ ص ٤٢٢ .

(ذكر سياق القصة)

وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله موسى عليه السلام ان يسرى ببني اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا في بيوتهم السرج الى الصبح وان يستعيروا حلي القبط لتبقى لهم او ليتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فلما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الف لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامرأة فلما ارادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى شيخة بني اسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك افسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارأيتك ان دللتك على قبره اتعطيني كل ما اسألك فابى عليها وقال حتى اسأل ربي فامره ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا استطيع المشي فاحملني معك واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسألك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلاع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان معهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف ناشب ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعمدة وسار بنوا اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما

وعدتنا به فكيف تصنا هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر في اثني عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء ان تشبكى فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام البعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى ﴿ واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم ﴾ يعني من فرعون(١) .

نرى هذه القصة التي ساقها المفسر تحتوي على تخيلات واساطير لا يحتاج التوضيح اليها وليست معاني القرآن مفتقرة الى هذا الهراء وهذا الكلام المنسوج .

ونحن نعلم ان القرآن الكريم انزل لتنظيم شؤون المسلمين ولتثبيتهم على البلاء بضرب الامثلة وذكر قصص الديانات والانبياء السابقين ومعاني القرآن الكريم ومدلولاتها اوضح بكثير من هذه القصة .

ولم يقتصر على القصص الاسرائيلية بل ملاءه بقصص واحاديث لم يوردها غيره ولم يذكر سندها فمثلا في تفسير قوله تعالى : ﴿ انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ﴾(٢) يقول : (نزلت في ابي جهل وصاحبه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليرجمن رأسه بالحجارة فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدفعه به فلما رفعه انثنت يده على عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي يريد رميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رايته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني فانزل الله تعالى ﴿ انا

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ــ الخازن ــ طبع المطبعة التجارية الكبرى ــ القاهرة ــ جـ ١ ص ٤٩ .

(٢) سورة يسن اية ٧ .

جعلنا في اعناقهم اغلالا ﴾[1] ولم اعثر على هذه القصة في اسباب النزول ولا في كثير من التفاسير التي بين ايدينا .

ولولا حشوه لتفسيره بهذه القصص وهذه الاساطير لكان تفسيرا لا يستهان به ، والذي زاد في الحذر من التفسير انه لا يذكر سند القول ولا يشير الى القصة الاسرائيلية باي نوع من انواع النقد او التمحيص او حتى التعليق .

والتفسير مليء بهذه القصص وهذه الاحاديث فلا يستطيع القارىء فيه ان يتبين وجه الصواب في الاحاديث والقصص .

ولو خلص التفسير من هذه القصص والاحاديث والاخبار لبقي اقل من نصفه وكان اجل من هذه المجلدات الضخمة في هذا النوع من التفسير . نسأل الله العافية في الدين والدنيا والاخرة وان يلهمنا الصواب .

---

(١) لباب التأويل جـ ٢ ص ٢ .

الفصل الخامس

مدرسة التفسير بالرأي

المبحث الاول : موارد التفسير بالرأي
المبحث الثاني : ما يحتاجه المفسر من علوم

الفصل الخامس :
مدرسة التفسير بالرأي

الرأي يطلق على الاعتقاد والاجتهاد والقياس ومنه قالوا اهل الرأي اي اهل القياس ، وعليه فنستطيع تعريف التفسير بالرأي :

التفسير بالرأي :

هو توضيح معاني القرآن الكريم بموجب وجهة نظر خاصة لا تعتمد على غير المعتقد والفكرة التي يحملها المفسر وما اوتيه من تمكن في علوم اللغة والشريعة والثقافة العامة .

وهو عند المفسرين الذي لم يرد به نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة الكرام ولا التابعين .

ويعتمد المفسر بالرأي في تفسيره على المدلول اللغوي للنصوص كما استعملها العرب عند نزول القرآن بالاضافة الى احاطة المفسر بظروف النص والمؤثرات التي تصرف اللفظ عن ظاهره او ترجع احد المعاني المحتملة للنص على غيرها . وقد اشترط علماء التفسير احاطة المفسر بالرأي بعلوم سنأتي اليها في اخر الفصل ان شاء الله ولكن هذه الشروط متأخرة عن ممارسته اراد العلماء بهذه الشروط ان يخرجوا المفسر بالرأي من التاثم الذي احتمله يرون حصر التفسير بالرأي في مزاولة هذا النوع من التفسير .

فاذا ذهبنا هذا المذهب وهو ان الذي يفسر القرآن معتمدا على مدلول القرآن

اللفظي او ما يحتمله اللفظ يعتبر مفسرا بالرأي ، نستطيع القول ان التفسير بالرأي نشأ في ايام الصحابة الكرام وعلى ايدي اوائل الذين مارسوا التفسير وامامهم الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم عبدالله بن مسعود وقد اتسع واخذ شكلا مدرسياً على يد عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنه حيث ثبت عنه تفسير لنصوص قرانية بالمدلول اللغوي مستشهدا على صحة تفسيره بمشابهة مدلول الكلمة في الشعر العربي القديم .

فتكون مدرسة التفسير بالرأي قد نشأت في الايام الاولى لنشوء التفسير ولم يسبقه التفسير بالاثر بوقت كثير بل كانت ممارساته الاولى تعتبر تفسيرا بالرأي .

على ان نشوء هذا التفسير واجه عقبات كثيرة جدا اعنفها تحريم قسم من المسلمين مزاولة هذا النوع من التفسير في الوقت الذي كان التفسير بالاثر يلاقي كل الاحترام والتبرك والتشجيع .

وبناء على ذلك فان التفسير بقي الى وقت غير يسير لا يشمل الا التفسير بالاثر وحتى التفسير بالرأي كان اصحابه يضعون لارائهم اسانيد عن احد ائمة التفسير من الصحابة او التابعين كما سبق عند كلامنا عن الوضع في التفسير ليقبلها المسلمون .

يدل ذلك على عدم قبول الناس للتفسير بالرأي الى وقت متأخر جدا عن ظهوره وممارساته .

ومن مظاهر تقديس المسلمين للتفسير المأثور وترددهم في مزاولة التفسير بالرأي تحول مدرسة عبدالله بن عباس الى تفسير المأثور مع انها ابتدأت كما اسلفنا تفسيرا بالرأي وان ابن عباس رضي الله عنه اجسر الصحابة الكرام على النصوص القرآنية تفسيرا وتأويلا بما اتاه الله سبحانه من ذكاء ثاقب وبركة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم له بقوله : (اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين) التي خلقت عنده القدرة على التفسير والثقة بالنفس .

وقد تأخر ظهور تفسير كامل لجميع آيات القرآن الكريم معتمد على الرأي حاذفا الاسناد وهناك كتب قبل ذلك سميت غريب القرآن توضح مدلولات الالفاظ من الناحية اللغوية ولا تخلوا هذه الكتب من اراء اكثر من كونها توضيح معنى الالفاظ الغريبة واحيانا يذكرون الوضع السيء الذي عالجه الحكم الذي يريدون توضيح احدى الفاظه الغريبة فمثلا في غريب القرآن للسجستاني المتوفي سنة ٣٣٠هـ قوله في

تفسير (يولون من نسائهم)[1] (يحلفون على وطء نسائهم يعني من الالية وهي اليمين يقال الوة والوة والوه واليه : اليمين وكانت العرب في الجاهلية يكره الرجل منهم المرأة ويكره ان يتزوجها غيره فيحلف الا يطأها ابدا ولا يخلي سبيلها اضرارا بها فتكون معلقة عليه حتى يموت احدهما فابطل الله عز وجل ذلك من فعلهم وجعل الوقت الذي يعرف فيه ما عند الرجل للمرأة اربعة اشهر)[2] .

كما ان كتب اللغة التي كان محور دراستها القرآن الكريم كانت تفسر النصوص القرآنية تفسيرا لغويا بحتا وتبين معاني الفاظ القرآن واعرابها ووجه القراءة فيها ان كان لها اكثر من وجه ونستطيع ان نسميها تفاسير لغوية لان منهجها نفس منهج التفاسير بان تذكر الاية ثم تذكر معانيها او معاني الفاظها ولا تقتصر على المعنى اللغوي والوضع اللغوي ولكن تتعرض لاكثر من ذلك مما يجعلها في عداد التفسير للقرآن بالرأي والا تذكر الاسناد الا في توثيق قراءة او ذكر قراءة شاذة لها وجه لغوي صحيح .

من ذلك معاني القرآن للفراء ابي زكريا بن زياد ومعاني القرآن لابي عبيده معمر البصري وقد ترجم لهما الداوودي (في طبقات المفسرين)[3] وترجمته لانهم معدودين كذلك مع ان كتابيهما يعتبران من كتب النحو وعلوم اللغة .

ففي تفسير للاية ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾[4] قال الفراء : ﴿ وقوله قرية كانت آمنة مطمئنة ﴾ يعني مكة انها كانت لا يغار عليها كما تفعل العرب كانوا يتغاورون ﴿ مطمئنة ﴾ لا تنتقل كما تنتجع العرب الخصب بالنقلة .

وقوله ﴿ من كل مكان ﴾ من كل ناحية ﴿ فكفرت ﴾ ثم قال ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ ومثله في القرآن كثير منه قوله ﴿ فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون ﴾ ولم يقل قائله . فاذا قال ﴿ قائلون ﴾ ذهب الى الرجال واذا قال قائله فانما يعني اهلها

---

(١) سورة البقرة ـ اية ٢٢٦ .

(٢) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن ـ السجستاني ص ٣١ .

(٣) الجزء ٧ ص ٣٢٥ و٣٦٦ .

(٤) سورة النحل الاية ١١٢ .

المبحث الاول
موارد التفسير بالرأي

وقوله ﴿ فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذاب نكرا فذاقت ﴾ .

وقوله ﴿ لباس الجوع والخوف ﴾ ابتلوا بالجوع سبع سنين حتى اكلوا العظام المحرقة والجيف والخوف بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه . ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم رق لهم فحمل اليهم الطعام وهم مشركون . قال عز وجل لهم ﴿ كلوا واشكروا ﴾[1] .

فنرى انه لم يقتصر على المعنى او الاستعمال اللغوي للكلمات وانما يتطرق الى معان كثيرة والى قصة الاية والظروف التي لاءمتها او التي تساعد على تفسيرها وتوضيح معناها .

ولا يمكن اهمال كتب التفسير الموضوعي التي عالج مؤلفوها موضوعا معينا في القرآن الكريم او في العقيدة الاسلامية ثم فسروا الايات القرآنية التي تتطرق لذات الموضوع تفسيرا اجتهاديا لا يعتمد على غير وجهة نظر معينة .

ففي كتاب الرعاية لحقوق الله للحارث بن اسد المحاسبي الذي الفه في نهاية القرن الثاني واوائل القرن الثالث نرى مواضيع كثيرة شرح فيها آيات شرحا لا يمكن نسبته الى التفسير المأثور فمثلا : (قال تعالى : ﴿ قالوا نشهد انك لرسول الله ﴾[2] ثم كذبهم لانه ما ذلك بحق في قلوبهم والله عز وجل يعلم ان ما قالوا حق . انك رسوله ، وهم كاذبون ، لا يعتقدون ذلك في قلوبهم)[3] وذلك في معرض كلامه عن الرياء واظهار المرء ما لا يخفي .

كل هذا يدلنا على ان التفسير بالرأي قد زاوله المسلمون منذ وقت مبكر ولكن لم يظهر بشكل رسمي في وقت ممارسته ومزاولته وانما ظهر بعد ذلك بوقت غير يسير ومدرسة التفسير بالرأي فيها تتبين الشعبة الاولى وهي التي سماها العلماء واصحاب الرأي المقبول او الجائز والثانية اصحاب التفسير بالرأي المذموم (المردود) وقد تكلم عنها الشيخ الذهبي وعن رجال كل منهما قال (واسفرت النتيجة عن انقسام التفسير بالرأي الى قسمين قسم جائز ممدوح وقسم حرام مذموم)[4] .

ونستطيع ان نلمح لهذه المدرسة بعض الصفات هي :

---

(١) معاني القرآن جـ ٢ ص ١١٤ للفراء طبع الهيئة العامة للكتاب .
(٢) المنافقون اية ١ .
(٣) الرعاية لحقوق الله ص ٢٤٧ الحارث المحاسبي دار الكتب الحديثة .
(٤) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٢٧٣

١ ـ اعتمادها على العقل في تفسير النصوص القرآنية اذا توفرت لدى المفسر ادوات التفسير وهي العلوم اللازمة له والتي سنذكرها في اخر هذا الفصل ان شاء الله .

٢ ـ يحكمون العقل في الروايات التي جاءت بشيء من التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة . وهذه الصفة لا يتصف بها اصحاب التفسير بالرأي الجائز .

٣ ـ لا يعتبرون ما جاء عن التابعين حجة فليس له اي قيمة تدعو المفسر الالتزام به الا ما لا يقبل الاجتهاد والذي نقله التابعي عن الصحابي صراحة او ذات الموضوع لا يأتي عن طريق الاجتهاد كاسباب النزول مثلا اما الاحكام فلا ياخذون الحكم الا اذا ثبت ان التابعي نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحابة الكرام رضي الله عنهم وغير ذلك ويعتبرونه اجتهادا قابلا للخطأ والصواب .

٤ ـ يضعون رأي الصحابي في غير الاحكام غير قابلة للاجتهاد واسباب النزول تحت امتحان التوثيق والترجيح .

٥ ـ لانجد في تفاسيرهم اسانيد الا في توثيق القراءات ان كانت لآية لها اكثر من قراءة او ذكر سبب نزول او صدور حكم عام خصص بسنة مؤكدة ولا يمكن ارادة جميع افراد العام فيه ، كما انهم لا يرون بأسا بتفسير القرآن من غير الرجوع الى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٦ ـ يعتقدون ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كله بل ترك اكثره ولم يفسر الا شئيا يسيرا جدا وهذا تسويغ لهم وتبرير على الخوض في التفسير بالعقل او عدم التقيد بالتفسير بالمأثور .

هذا ولا ننسى ان التفسير بالرأي زاولته فرق كثيرة وجماعات اسلامية عديدة ولم يكن منهج جميع هذه الفرق وهؤلاء العلماء واحداً في التفسير وانما لكل منهجه وهذه النقطة والسمات التي ذكرناها نجد المغالين فيها ونجد المتساهلين .

فمن الفرق التي زاولت التفسير العقلي جماعة يحكمون العقل في النصوص القرآنية والشرعية الى حد الغلوا الذي يجرهم الى تأويل متكلف للنصوص التي لاتلائم اعتقادهم كما سنرى ان شاء الله في باب اخر من الرسالة منهم يعتبرون مصادر التفسير اولا العقل ثم النصوص او الاثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وان لم يصرحوا بذلك فان واقع حالهم كذلك حيث انهم يكذبون الاحاديث التي تخالف معتقداتهم او لا تتفق مع مشربهم في التفسير وان كانت هذه الاحاديث متفق عليها من قبل اهل الحديث . وان وجدوها غير قابلة للتكذيب اولوها تأويلات ملتوية بعيدة عن روح النص ومدلوله .

ومن الفرق التي زاولت التفسير العقلي جماعة معتدلة والمفسرون من هؤلاء يعتبرون مصادر التفسير اولا القرآن ثم الحديث ثم قول الصحابة ثم ان لم يجدوا ذلك في ما سبق حكموا عقولهم بعد تمكنهم من الادوات وفسروا بروح النص ومن غير غلوا في الظاهر ولا مغالات في التأويل أو ابتعاد عن روح التشريع وروح النص .
وكذا زاول التفسير العقلي اهل الظاهر وهؤلاء تمسكوا بظاهر القرآن الكريم ولم يلتفتوا الى السنة التي فسرت هذا النص وربما اخرجته عن ظاهره او ربما رجحت معنى غير متبادر الى الذهن مع احتمال النص له وهذه الفرقة ايضا لم تخل من الغلوا في الطرف الثاني .

كما ان من المفسرين من جعل تفسير القرآن رموزاً قد لا تلتقي مع الظاهر من قريب ولا من بعيد وهؤلاء غالوا في اخراج النص عن ظاهره في طرف اخر ووجهة جديدة .

والحجج التي تذرع بها اصحاب التفسير العقلي او التفسير بالرأي على صحة منهجهم هي[1] .

١ ـ قال تعالى : ﴿ افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب ﴾[3] وايات كثيرة تحث على التدبر والتفكر واستنباط الاحكام وغير ذلك مما لا معنى لها الا استظهار المعاني التي يدل عليها النص وهذا لا يتم الا بالتفسير .

٢ ـ (روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن الا ايات بعدد علمه اياهن جبريل)[4] ولم يكن ينبغي للرسول صلى الله عليه وسلم تفسير القرآن باكمله لان المخاطبين لا يحتاجون لاكثر مما كان يفسر فانه نزل بلغتهم وشاهدوا ظروف نزوله ومن البلاغة ومراعات مقتضى الحال هو الا يفسر الرسول القرآن كله .

ولكن احتياج من جاء بعد الصحابة للتفسير كان اشد من الصحابة وهكذا يكثر احتياج الناس وتكثر النصوص التي تحتاج الى شرح كلما تقدم القرآن بالزمن لمفارقته وقت نزوله ولزوال ظروف نزوله التي تعطي ضوءاً على تفسيره .
فوجب تفسيره لئلا يعطل القرآن وتعطل الاحكام التي جاءت فيه .

٣ ـ ان حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه الذي روي فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[5] .

---

(١) احياء علوم الدين جـ ١ ص ٢٣٨ وقانون التأويل ص ٢٤٢ مقدمتان في علوم القرآن ص ١٨٣ وص ٢٦٢ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الانصال ص ٣٣ تفسير القرطبي جـ ١ ص ٢٨ الموافقات جـ ١ ص ١٧ ، ص ٤٩ ، جـ ٢ ص ٥٥ .
(٢) سورة محمد ﷺ اية ٢٤ .
(٣) سورة ص اية ٢٩ .
(٤) مقدمتان في علوم القرآن ص ١٨٣ .
(٥) مقدمة في اصول التفسير ص ١٠٥ .

وحديث جندب قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ) [1] .

فانه اولا تكلم اهل الحديث بالحديثين وعلى فرض صحتهما فان النهي في الحديث الاول منصب على الخوض في تفسير القرآن من غير توفر ادواته وهي العلم بالسنة والاحاطة بظروف القرآن ونصوصه والعلوم التي يحتاج اليها المفسر .

والحديث الثاني يريد فيه انه لا يصح تفسير من يكون له راي او مذهب مسبق فيسوق نصوص القرآن لتكون له دليلا على صحة رايه والواجب ان يقوده القرآن الى الرأي السليم وان يكون ما يتكلم به القرآن هو الاصل في اعتقاده ومذهبه ويصحح مذهبه بناء على ما جاء في القرآن .

٤ ـ ما روي عن الصحابة الكرام كأبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وقسم من التابعين معيدين السبب من التحرج في الخوض في القرآن انما ذلك كان لزيادة تقواهم وفي اشياء ليس من الضروري الخوض فيها لعدم حاجة الناس اليها اذ ليس فيها حكم او عمل واجب او نهي عن شيء .

ويرده انهم جميعهم رضي الله عنهم فسروا نصوصاً قرآنية برأيهم من ذلك (تفسير ابي بكر للكلاله وتفسير عمر للحرج) لاحتياج الناس لها ولوجود احكام فيها وضرورة تفسيرها .

٥ ـ اننا اذا اقتصرنا على المنقول من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسوف لن نحصل الا على جزء يسير ويسير جدا لان تفسير الصحابة من عند انفسهم يعتبر تفسيرا بالرأي لان بعض الايات جاءت لها عنهم تفاسير كثيرة مختلفة لا يمكن الجمع بينها فلا يمكن ان تكون مسموعة من الرسول صلى الله عليه وسلم واذا اعتبر بعضها مسموعا من الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب رد الباقي .

٦ ـ ان الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس بقوله (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فاذا كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما قيمة هذا الدعاء .

٧ ـ ان الشريعة الاسلامية لم تأت مخالفة للعقل السليم والبرهان الصحيح فلا

---

(١) مقدمة في اصول التفسير ص ١٠٦ ،مقدمة ابن عطيه لتفسيره مشورة مع المقدمتان في علوم القرآن ص ٢٦٢ .

تناقض بينهما واذا كانت هناك نصوص ظاهرها التناقض مع البرهان فيجب ان يلتمس لها وجها من وجوه التأويل .

هذا ولا يمكن ان تعتبر العقل هو مصدر التفسير ولا يجوز الاعتماد عليه في جميع القضايا الشرعية وانما الاصل هو النقل فان وافق العقل النقل فيجب ان يعتبر العقل تابعا للنقل وفرعا له والاصل هو النقل .

فيكون التفسير الصحيح السليم الذي يسلك منهجا سليما هو على النحو التالي :

١ ـ يفسر بالسنة النبوية الصحيحة .

٢ ـ الاعتماد على اقوال الصحابة .

٣ ـ الاعتماد على مطلق اللغة .

٤ ـ التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع .

ولا يجوز التفسير معتمدا على احدى النقاط قبل التثبت من التي قبلها .

المبحث الثاني
العلوم التي يحتاجها المفسر

ولا يجوز لاحد الخوض في تفسير القرآن الا ان يكون ملما الماما كليا بالعلوم التالية :

١ ـ السنة النبوية المطهرة فيجب ان يحيط بعلومها رواية ودراية ويعرف كيفية توثيق الروايات واخذ الصحيح منها وترك غير ذلك لان السنة هي العمود الفقري للتفسير .

٢ ـ القراءات فكثير من معاني القرآن والنصوص القرآنية يتوقف على نوع القراءة لان باختلاف القراءة احيانا يختلف المعنى .

٣ ـ العلوم المتعلقة باللغة العربية تاريخها وفقهها واختلاف اللغات وعلوم النحو والصرف والبيان والبديع وجميع علوم البلاغة والادب لان القرآن جاء على القمة في جمال النظم وفصاحة الكلمة وقوة العبارة والذي اعجز البلغاء ممن لم يكن له علم بالبلاغة ردت تجارته في التفسير .

٤ ـ تاريخ الجزيرة العربية واحوالها قبل الاسلام وبعد الاسلام والظروف التي كانت سائدة بين العرب قبل الاسلام وكيف اصبحت بعده لان القرآن عالج هذه الاوضاع فصحح الخطأ وابقى السليم منها .

٥ ـ العلم بالاديان السائدة في العالم قبل مجيء القرآن والاسلام لأن القرآن

عالج افكارهم وناقشها ودعاهم الى تصحيح اوضاعهم بموجبه .

٦ ـ اضافة الى العلوم الاسلامية التي ظهرت بعد القرآن كأصول الفقه والمنطق وعلم الكلام وذلك للرد على اصحاب النظريات بالمنهج السليم الـذي يتماشى مع القرآن الكريم .

هذه العلوم الضرورية على ان القرآن الكريم عالج كثيراً من العلوم وتعرض في تمثيله لكثير من العلوم الكونية والطبيعية وقرر كثيراً من الحقائق العلمية وان لم تكن مقصودة لذاتها وانما جاء بها القرآن تمثيلا .

الباب الثالث

تدوين التفسير وعلم التفسير

الفصل السادس : تلون التفسير بثقافة المفسر وعصره وانتمائه

الفصل السابع : انقسام التفاسير بموجب انتمائها

المبحث الاول : التفاسير اللغوية والنحوية

المبحث الثاني : التفاسير الفقهية

المبحث الثالث : التفاسير العقائدية

الفصل الثامن : المدارس الحديثة في التفسير

الباب الثالث

تدوين التفسير وعلم التفسير

الفصل السادس :

تلون التفسير بثقافة المفسر وعصره وانتمائه

تكلمنا عن محاولات المسلمين الاوائل لفهم القرآن الكريم وافهامه بتوضيح النصوص الشرعية واجبة التطبيق الى من يليهم ممن اسلم من الناس بعد دعوة الناس جميعا الى الاسلام .

هذه المحاولات اصبحت فيما بعد علما قائما بذاته يسير وفق منهج معلوم بضوابط لا يستطيع المتعرض له ان يتجاهلها ولا يسعه جهلها .

وعلم التفسير نشأ نشأة طبيعية وابتدأ تدوينه ابتداء منطقيا ، ومن الصعب جدا ان يفصل الباحث بين ظهور العلم وتحديده وبين تدوينه . وقد لا ينفع نفعا ظاهرا الباحثين الفصل بين الوقت الذي يظهر فيه العلم والوقت الذي يدون فيه اذا كانت البدايات التي ابتدأ بها العلم من قبل رواده تناقلها اهلها ودونها تلاميذهم او تلاميذ تلاميذهم .

فالذي يعنينا هو ان يكون ذلك العلم مدونا بكل جزئياته او بجميع نتاجات الباحثين فيه التي كانت تتناقل شفاها منها والتي دونت ونقلت مسطورة في الكتب . فالبحث في التدوين هو البحث في ظهور ضوابط العلم واستوائها واوائل الباحثين فيه . ثم يعلم تباعا متى دون .

ومن المعلوم ان كل علم تكون قواعده وضوابطه كامنة في تطبيقاته الاولى وان لم

يشر اليها الباحثون الاول فيه ولم يذكر انه اتبع هذه القواعد وتلك الاسس او سار وفق هذا المنهج .

فمن ضوابط علم التفسير معرفة الناسخ والمنسوخ الذي يقتضي معرفته ، معرفة تاريخ النزول واسباب النزول . (روي عن علي بن ابي طالب انه سأل قاصا ، هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال : لا . قال : هلكت واهلكت)[1] فالناسخ والمنسوخ اقدم ما الف فيه من علوم القرآن على غالب الظن بموجب ما جاءنا من اخبار المدونات في علوم القرآن المنفردة (عدا التفسير) التي تعتبر من ضوابط التفسير كما اسلفنا (وقد الف في الناسخ والمنسوخ ابو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي)[2] (كما الف في التنزيل ابن شهاب [3] الزهري)[4] .

والدراسات اللغوية من اعراب وشكل وتنقيط وتخميس وتفسير التي قام بها ابو الاسود الدؤلي وزياد بن ابيه والحجاج بن يوسف الثقفي . كلها كانت عبارة عن خدمة للقرآن الكريم وهي ضوابط للتفسير او من العوامل المساعدة لفهمه .

وهذه الدراسات وامثالها كانت اولى بوادر ضوابط التفسير وان اخذت شكلا لغويا فلولا القرآن لم تقم . فقد ابتدأت في عصر الصحابة واستمرت الى نهاية العصور الاسلامية العلمية .

وهذا بلا شك هو من موارد علم اصول التفسير ومن هنا نستطيع ان نتبين الطريق الذي سار فيه المفسرون الاوائل . فقد ظهر منها ان التفسير لم يكن يخوض فيه العلماء خبطا عشوائيا . وانما وجدت ضوابطه معه وصنفت فيها قبل تصنيف التفاسير الكاملة .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٢١ .

(٢) تاريخ التراث العربي ـ فؤاد سزكين ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٧١ م جـ ١ ص ١٧٤ المجلد الاول .

(٣) ابن شهاب الزهري ، ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني احد الاعلام ترك الشام وروى عن سهل بن سعد وابن عمر و وجابر وانس وغيرهم من الصحابة وخلق من التابعين وروى عنه ابو حنيفة ومالك والليث والاوزاعي وهو الذي ابتدأ جمع السنن مات سنة اربع وعشرين ومائة (طبقات الحفاظ) ص ٤٢ .

(٤) تاريخ التراث العربي . المجلد الاول جـ ١ ص ١٨٩ .

(فتدوين علوم القرآن والتفسير كان في اواخر عصر التابعين اي في آخر عهد بني امية)[1] .

وهذه المدونات التي ذكرنا منها امثلة يسيرة تدل دلالة واضحة على ان تدوين القواعد والضوابط التي تحكم المفسر وتسير التفسير وهي التي نسميه (اصول التفسير) ابتدأت مع اول مدارس العلم الاسلامي التي ابتدأت بتدريس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وان لم يكن قد وصلنا من هذه المدونات الا الشيء اليسير ولكن هذا اليسير هو الدلالة الواضحة على نشوئه وقد وصلنا اغلب الباقي مرويا في التفاسير المعتمدة الاولى كتفسير ابن جرير الطبري .

وكتب التراجم والسير تعطينا صورة واضحة لنشوء هذا العلم (اصول التفسير) وتدوينه وتطوره ونضجه ، فهي تدلنا على ما الف القوم من كتب وابحاث ومنها ما لم يصل الينا .

فنجد الدراسات القرآنية سارت سيرا وئيداً منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام الى اواخر القرن الاول وبداية القرن الثاني حيث اخذت تخطو خطوات واسعة نحو النضج وحسن التنظيم وساعد على ذلك انتشار التدوين .

فقد كان القرن الثاني منذ بدايته زاخرا بحركة تدوين لا بأس بها نضجت على اساسها كثير من العلوم والدراسات القرآنية منها بل اهمها .

فالدراسات القرآنية كانت ولا تزال محور الدراسات العربية والاسلامية وغاية الدراسات اللغوية الاولى بلا شك هو فهم القرآن الكريم نستشف ذلك من اسماء المصنفات الاولى فقد كانت غالبا ما تجعل القرآن غايتها او مادة بحثها .

فنرى مثلا (معاني القرآن) للفراء و (معاني القرآن) لابي عبيدة و(اعراب القرآن) للزجاج وغيرها مما ينبيء بان غاية العلوم الاسلامية والعربية الاولى هي القرآن الكريم وفهمه وتفسيره .

واكثر العلوم معالجة لاصول التفسير هو علم اصول الفقه فان علماء الاصول تكلموا كما سنرى ان شاء الله في وضع اللفظ القرآني ووضع النص ودلالاته وما يستفاد منه من الاحكام وما يواجهه من العوامل .

---

(١) تاريخ التفسير ص ٥٣ ، التفسير والمفسرون جـ ١ ص ١٤٠ .

ومع وجود كتب كثيرة في علوم القرآن او في جزء من علوم القرآن لا نجد بهذه الكمية ولا قريبة منها كتب تحمل اسم (اصول التفسير) وان كانت هي عبارة عن علوم القرآن وما يدرس فيها . ولكن اغلب المفسرين يصدر تفسيره بهذا النوع من الدراسة .

ومما مر نستطيع القول ان القرن الثاني والقرن الثالث الهجريين هما فترة نضج لعلوم القرآن واصول التفسير والتفسير . فاغلب التفاسير الفت في او بعد هذين القرنين وشملت التفاسير جميع اوجه النشاط الفكري والاسلامي وانعكس فيها جميع ما وصل اليه المسلمون من علوم .

ولذا نجد التفاسير الاولى كانت مقتصرة على غرائب الكلمات ثم اتسعت بعد اتساع العلوم فكان التفسير صورة واضحة لشخصية المفسر وثقافته والعلوم التي درسها والاتجاه الفقهي او العقائدي الذي يجبذه والمدرسة الفكرية او اللغوية التي ينتمي اليها .

فنجد التفاسير التي افاضت في علوم اللغة والمدارس النحوية والبلاغية وقواعد اللسان العربي كما نجد التفاسير الفقهية في جميع المذاهب الفقهية فلكل مذهب رواده وتفاسيره . كما يظهر في التفاسير الفرقة الكلامية والفلسفية التي ينتمي اليها المفسر والتي يحبذ البحث على منهجها .

وهذا كله سنراه واضحا في الفصول القادمة ان شاء الله والتفاسير التي ندرسها ازاء كل فرقة او مذهب .

الفصل السابع :

انقسام التفاسير بموجب انتمائها

المبحث الاول : التفاسير اللغوية والنحوية
تفسير البحر المحيط
لأبي حيان

المبحث الاول :

التفاسير اللغوية والنحوية

لم يأل المسلمون جهدا في فهم النص القرآني ولم يدخروا وسعا في استكشاف معانيه للعلم والعمل به ، منذ ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم به الى يومنا هذا .

واكثر الناس عناية بكتاب الله الكريم دراسة وحفظا وتطبيقا هم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، بما ادبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وما وضح في نفوسهم من الغيرة على الدين والحب له والرغبة في هداية الناس اليه .

واول اسئلتهم لفهم النص هو عن معنى الفاظ مفردة وردت في غير لغتهم او انها ليست كثيرة الاستعمال فيها ، او ان القرآن اراد بها غير المعنى المألوف لهم .

اما الاسلوب فكان مفهوما لديهم ومن فهمهم له جاء اعجازه ، فاذعنوا لجلاله وسلموا بعلو مكانته البلاغية .

كانوا مؤدبين مع الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا يسألونه عن كل شيء ، الا ما لم يروا عنه بدا ، وكان صلى الله عليه وسلم يبادرهم .

وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم سأل الناس الصحابة الكرام رضي الله عنهم عن معنى الفاظ القرآن لعلهم فهموها من الرسول صلى الله عليه وسلم او حضروا نزول النص واحاطوا بظروفه التي تبعث الضوء على غامض معناه .

واكثر من وصلت اجوبته للناس من الصحابة ، هو عبدالله بن عباس رضي الله عنه .

فقد سئل رضي الله عنه عن كثير من الالفاظ القرآنية فاجاب بالمعنى اللغوي البحت .

(كقوله في معنى الارائك في قوله تعالى : ﴿ متكئين فيها على الارائك ﴾[1] قال الارائك = السرر)[2] .

(ومعنى فآزره في قوله تعالى : كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه)[3] قال ازره = قواه)[4] .

وفي تفسير بعض الالفاظ لم يكتف ابن عباس رضي الله تعالى عنه بايراد المعنى اللغوي بل استشهد على صحة قوله او على تعضيده بما قالته العرب في اشعارها .

فقد سئل عن معنى الوسيلة في قوله تعالى : ﴿ وابتغوا اليه الوسيلة ﴾[5] فقال : (الوسيلة = الحاجة ، قال عنترة :

ان الرجال لهم اليك وسيلة ان يأخذوك تكحلي وتخضبي)[6]

وسئل عن معنى حنيذ في قوله تعالى : ﴿ فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ﴾[7] قال : (الحنيذ = النضيج مما يشوى بالحجارة قال الشاعر :

لهم راح وفار المسك فيها وشاويهم اذا شووا حنيذا)[8]

وسئل عن معنى ، لا تأس في قوله تعالى : ﴿ لا تأس على القوم الفاسقين ﴾[9] قال : لا تأس = لا تحزن . قال امروء القيس :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسًى وتجمل[10]

---

(١)

(٢) و(٣) و(٥) معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري ص ٤ .

(٤) سورة الفتح اية ٢٩ .

(٥) سورة المائدة اية ٣٥ .

(٦) معجم غريب القرآن ص ٢٩٠ .

(٧) سورة هود اية ٦٩ .

(٨) معجم غريب القرآن ص ٢٤٩ .

(٩) سورة المائدة اية ٢٦ .

(١٠)معجم غريب القرآن ٢٣٨ .

وهذه هي النواة الاولى للمدرسة اللغوية . والدراسات اللغوية في القرآن الكريم .

جميع هذه الدراسات تدور حول فهم القرآن وخدمته وتوضيح معانيه واغراض اسلوبه .

والقرآن الكريم هو مصدر هذه الدراسات التي استهدفت خدمته ، فمحاولة اعرابه لتجنب اللحن فيه ودراسة اسلوبه لجذب الناس وهدايتهم به .

نشأت الدراسات النحوية على يد ابي الاسود الدؤلي ولكن باوليات لم تكن تنضبط بالاصطلاحات المستعملة اليوم وتضخمت واتسعت الى ان اصبحت علما له قوانين ومصطلحات ومدارس خلفت ثروة ادبية ولغوية امتعت الفكر وغذت العقول الى اليوم .

بعد ذلك دخلت الدراسات النحوية واللغوية العلوم الاسلامية واصبح تعلمها فرضا على من يحاول فهم القرآن ودراسة الشريعة ذلك لان كثرة دخول الناس في الاسلام وابتعاد العرب عن عصر الرسالة واختلاطهم بالناس جعلت منهم جيلا لا يفهم لغة ابائه الا بدراسة هذه القوانين وتلك المصطلحات .

ومن هنا دخلت الاصطلاحات النحوية في فهم القرآن كما ان اختلاف النحاة ظهر في تفسير بعض الايات القرآنية وانعكست الانقسامات في المدرسة النحوية في التفسير وانتماء المفسر الى مدرسة نحوية يملي عليه بعض المعاني التي تغير من المعنى والحكم في القرآن الكريم حسب وجهة نظره .

اعتبر النحاة اللغويون القرآن هو المصدر الاصيل للغة العربية فاللفظة تدل على ما تدل عليه لانها استعملت في القرآن الكريم كذلك .

واول دراسات اللغة كما اسلفنا كانت تدور حول القرآن الكريم .

فيعتبر معاني القرآن للفراء تفسيرا مع انه كتاب لغة يدرسه اللغويون ليحصلوا على علومهم المطلوبة .

وصاحبه يعرض وجوه تفسير الاية من الناحية اللغوية فقط ويعرض احيانا لاسباب النزول ومناسبة الايات واهم ما يسقله هو اعراب الاية وعود الضمائر فيها والعوامل .

فيقول مثلا :

(ومن سورة ابراهيم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قول الله عز وجل الى صراط العزيز الحميد ، يخفض في الاعـراب ويرفـع . الخفض على ان تتبعه (الحميد) والرفع على الاستئناف لانفصاله من الاية كقوله عز وجل ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ﴾[1] الى آخـر الاية ثم قال (التائبون) وفي قراءة عبدالله (التائبين) كل ذلك صواب)[2] .

(وقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم .

يقول ليفهمهم وتلزمهم الحجة . ثم قال عز وجل ﴿ فيفضل الله من يشاء ﴾ فرفع لان النية فيه الاستئناف لا العطف على ما قبله ومثله ﴿ لنبين لكم ونقـر في الارحام ما نشاء ﴾[3] ومثله في براءة﴿ قاتلوهم يعذبهم اللـه بايديكم ﴾[4] ثم قال ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ فاذا رأيت الفعل منصوبا وبعده فعل قد نسق عليه بواو او فاء او ثم او او فان كان بشكل معنى الفعل الذي قبله نسقته عليه . وان رايته غير مشاكل لمعناه استأنفته فرفعته)[5] .

فتراه يقرر قاعدة لغوية وكذلك يبين موضـع الـكلمات من الاعـراب وكيفية مجانستها .

ويذكر القراءات ويعتبرها وجها من وجوه تركيب الجملة وهو كذلك فعلا .

ثم انه يوجه احتمالات وضع اللفظ توجيها لغويا .

فيقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ لو كان المحدث نصبا او رفعا لكان صوابا : النصب على الفعل : ما يأتيهم محدثا . والرفع على الرد على تأويل الذكر ، لانك لو الغيت (من) رفعت الذكر وهو كقولك ما من احد قائم وقائم وقائما . النصب في هذه على استحسان الباء وفي الاولى على الفعل) وقوله (لاهية قلوبهم) منصوبة على العطف على قوله (وهم يلعبون) لان قوله وهم يلعبون بمنزلة لاعبين ، فكانه : الا استمعوه لاعبين لاهمية قلوبهم . ونصبه ايضا من اخراجه من الاسم المضمر في (يلعبون) يلعبون كذلك لاهية قلوبهم . ولـو

---

(١) سورة التوبة اية ١١١ .

(٢) معاني القرآن ـ الفرار ص ٦٧ جـ ٢ .

(٣) سورة الحج اية ٥ .

(٤) سورة التوبة اية ١٤ .

(٥) معاني القرآن ـ الفراء ص ٦٨ جـ ٢ .

رفعت (لاهية) تتبعها يلعبون كان صوابا ، كما تقول : عبدالله يلهو ولاعب ومثله قول الشاعر :

يقصد في اسواقها وجائر

ورفع ايضا على الاستئناف لا بالرد على يلعبون)[1]

هكذا تنمو جميع التفاسير اللغوية او الدراسات اللغوية الاولى فانها تجعل اللفظ القرآني محورا للدرس لانه اصل في التراكيب والالفاظ العربية .

كما ان بعض العلماء يستدل على معنى الاداة او المعاني التي تحتملها بالكيفية التي وردت في القرآن

والادوات او حروف ربط الجمل اكثر الالفاظ العربية فاعلية في الجملة العربية .

واحسن مثال على ذلك كتاب معاني الحروف الذي الفه ابو الحسن علي ين عيسى الرماني النحوي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ فهو يعدو الحروف والادوات ثم يدلل على معانيها بما وردت في القرآن الكريم ، مثال :

قوله في معنى (الهمزة - منها الهمزة وهي تستعمل في موضوعين في النداء والاستفهام فاذا استعملت في النداء فلا ينادى بها الا القريب دون البعيد . لان مناداة البعيد تحتاج الى مد الصوت وليس في الهمزة مد .

واذا استعملت في الاستفهام فانها تأتي فيه على اوجه منها ان يكن انكارا : ازيد امرك ؟ امثل عمرو يقول ذلك ؟

كقوله تعالى : ﴿ الله اذن لكم ام على الله تفترون ﴾[2] ، ﴿ الذكرين حرم ام الانثيين ﴾[3] .

ومنها ان يكون توبيخا كقوله تعالى : ﴿ اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ﴾[4] هذا توبيخ لعيسى عليه السلام في اللفظ)[5] .

وكذلك قوله في معنى (بل)

---

(١) معاني القرآن - الفراء - جـ ٢ ص ١٩٨ .

(٢) سورة يونس الاية ٥٩ .

(٣) سورة الانعام اية ١٤٣ واية ١٤٤ .

(٤) سورة المائدة اية ١١٦ .

(٥) معاني الحروف - الرماني - ص ٣٢ .

(بل وهي من الحروف الهوامل ، ومعناها الاضراب عن الاول ، والايجاب للثاني تقول من ذلك : ما قام زيد بل عمرو ، وخرج اخوك بل ابوك تقع بعد النفي والايجاب جميعا هذا مذهب البصريين .

واما الكوفيون فلا يجيزون ان تقع بعد الايجاب ، وانما يقع عندهم بعد النفي او ما يجري مجراه . واذا جاءت في القرآن كانت تركاً لشيء واخذا في غيره . واكثر ما تأتي بعد الانكار ، نحو قوله تعالى : ﴿ ام خلقوا السماوات والارض بل لا يؤمنون ﴾[1] ولقوله تعالى : ﴿ وما يشعرون ايان يبعثون بل ادّارك علمهم في الاخرة ﴾[2]و[3] .

---

(۱) سورة الطور الاية ۳٦ .

(۲) سورة النمل الآيتان : ٦٥ و٦٦ .

(۳) معاني الحروف ـ الكرماني ص ۹٤ .

تفسير البحر المحيط

لأبي حيان النحوي

التعريف بمؤلف هذا التفسير

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الامام اثير الدين ابو حيان الاندلسي الغرناطي[1] .

ولد بمطخشارش ـ من حصون غرناطة سنة (٦٥٤ هـ ـ ١٢٥٦ م) وطلب العلم منذ صباه ورحل الى المشرق وتتلمذ على كبار العلماء ، وحين رجع اشتهر اسمه واخذ عنه اكابر عصره وخلف عددا من الكتب النافعة في مختلف العلوم والفنون واستقر به المطاف في القاهرة ، وأضرّ في اخريات ايامه . توفي في سنة ٧٤٥ هـ ـ ١٣٤٤ م ودفن في القاهرة .

تفسير البحر المحيط :

الف ابو حيان هذا التفسير حين عين مدرسا للتفسير في جامع ابـن طولـون وبالقبة المنصورية التي انشأها السلطان الملك المنصور بمصر ، وهو كاسمه محيط كبير يجد فيه اهل العلم ضالتهم ويشفي غليل من يريد ان يقف على وجـوه الاعـراب لالفاظ القرآن الكريم اذ غلبت عليه الصناعة النحوية . وقد طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ طبعة احتوت عليه وعلى تفسيرين اخرين في حواشيه هما : « النهر المادّ

(١) انظر ترجمة ابي حيان في : طبقات الشافعية الكبرى : ٩/ ٢٧٦ ـ ٣٠٧ رقم ١٣٣٦ ، طبقات الشافعية للاسنوي : ١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩ رقم ٤١٤ ، وفي هامشها مصادر ، الدرر الكامنة (دار الكتب الحديثة) : ٥/ ٧٠ ـ ٧٦ رقم ٤٦٩٣ ، الاعلام : ٨/ ٢٦ ، معجم المؤلفـين : ١٢/ ١٣٠ ـ ١٣١ ، التفسير والمفسرون : ١/ ٢١٧ ، خديجة الحديثي : ابو حيان النحوي .

من البحر » لأبي حيان ايضا ، و « الدر اللقيط من البحر المحيط » لابن مكتوم[1] (المتوفي ٧٤٩) تلميذ ابي حيان .

وعن هذه الطبعة اخذت طبعات مصورة بالاوفست في بيروت وغيرها .

نهجه في التفسير :

وقد سار في هذا الكتاب وفق خطوات اجملها في مقدمة كتابه اذ قال :

« وترتيبي في هذا الكتاب : اني ابتدىء اولا بالكلام على مفردات الآية التي افسرها لفظة لفظة فيما يحتاج اليه من اللغة والاحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، واذا كان للكلمة معنيان او معان ذكرت ذلك في اول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه ، فيحمل عليه ، ثم اشرع في تفسير الآية ، ذاكرا سبب نزولها اذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها ، وارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات ، شاذها ، ومستعملها ، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلا اقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلما على جليها وخفيها ، بحيث اني لا اغادر منها كلمة وان اشتهرت ، حتى اتكلم عليها مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ودقائق الآداب ، من بديع وبيان ، مجتهدا أني لااكرر الكلام في لفظ سبق ، ولا في جملة تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسرت ، بل اذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة او الجملة او الآية ، وان عرض تكرير فبمزيد فائدة ناقلا اقاويل الفقهاء الاربعة وغيرهم في الاحكام الشرعية بما فيه تعلق باللفظ القرآني ، محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه ، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية احيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو . وربما اذكر الدليل اذا كان الحكم غريبا ، او خلاف مشهور ما قال معظم الناس ، بادئا بمقتضى الدليل ، وما دل عليه ظاهر اللفظ ، مرجحا لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب اخراجه به عنه منكبا في الاعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها ، مبينا انها مما يجب ان يعدل عنه ، وانه ينبغي ان يحمل على احسن اعراب واحسن تركيب ، اذ كلام الله تعالى افصح الكلام ، فلا يجوز فيه

---

(١) انظر ترجمته في بغية الوعاة : ١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩ رقم ٦٢٢ .

جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما ، من سلوك التقادير البعيدة ، والتراكيب القلقة ، والمجازات المعقدة ، ثم اختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها افرادا وتركيبا ، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا ، ثم اتبع آخر الآيات بكلام منثور ، اشرح به مضمون تلك الآيات على ما اختاره من تلك المعاني ، ملخصا جملها في احسن تلخيص ، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير ، وصار ذلك انموذجاً لمن يريد ان يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن ، وستقف على هذا المنهج الذي سلكته ان شاء الله تعالى ، وربما الممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ ، وتجنبت كثيرا من اقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الالفاظ[1] وتركت اقوال الملحدين الباطنية ، المخرجين الالفاظ الغريبة عن مدلولاتها في اللغة الى هذيان افتروه على الله تعالى . . . »[2] .

قيمة البحر المحيط وما يتميز به :

« البحر المحيط » تأليف عالم غزير المادة ، عميق الثقافة ، بحافظة ذكية ، وبصر حاذق ناقد ، ولذلك كان تفسيره قيمة بين كتب التفسير بما تميز به من مميزات جعلته بهذه المنزلة منها :

١ - اهتمامه باللغة والنحو والصرف ، اذ كان تفسيره ديوانا ضخما لشواهد تفسر الكلمات المعجمية التي حواها التفسير ، وشواهد على انماط التعبير العربي ووجوهه الاعرابية .

٢ - وهو في دراساته النحوية واللغوية وان كان متأثرا بمدرسة أهل البصرة[3] اذ اعجب بسيبويه واعتمد عليه ونقل عن (كتابه) وكان كثير الثناء عليه ، الا انه

---

(١) انظر مثلا ما تعقب به تفسير القشيري للآية ١١٤ من سورة البقرة : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه . . . ﴾ انظر تفسير البحر المحيط ١/ ٣٦٠ ، وما تعقب به تفسير ابن العربي الطائي الحاتمي للآية ٦٥ من سورة الكهف : ﴿ فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . . . ﴾ انظر تفسير البحر المحيط : ٦/ ١٥٦ ، وينظر جـ ٤ ص ١٧٤ منه ايضا ، وينظر رأي ابي حيان في المتصوفة في كتاب (مصرع التصوف) : ١٥٦ - ١٥٧ ، وكتاب (ابو حيان النحوي) : ٢٢٧ - ٢٣٠ .

(٢) انظر مقدمة تفسير البحر المحيط : ١/ ٤ - ٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ١/ ١٤ ، ٣٠٨ ، ٣٤٣ ، ٣/ ٣١٣ ، ٥/ ٤١٢ ، وغير ذلك وانظر د . خديجة الحديثي : ابو حيان النحوي : ٢٨٥ - ٢٩٤ .

قد يخالفهم اذا قامت الشواهد الصحيحة من الشعر أو من الكلام الموثوق به ، وقد صرح بذلك فقال : « وليس العلم محصورا ولا مقصورا على ما نقله وقاله البصريون »[1] وقال : « ولسنا متعبدين بأتباع مذهب البصريين ، بل نتبع الدليل »[2] وحاول ان يستفيد من مدارس النحو كلها [3] .

٣ـ ولم يقتصر اهتمامه على اللغة والنحو والصرف بل كان مهتما بالقراءات واللهجات ، اذ كان عالما بها ، ألّف فيها كتبا كثيرة .

٤ـ وكان الى ذلك معنياً بعلوم البلاغة والتأكيد على نواحي الاعجاز في كلام الله تعالى .

٥ـ وكان كثيرا ما يرد على أهل الفرق واهل الاهواء والنحل ، مما يصوّر النقاش الفكري الذي يحفل به مجتمعه الذي خاض غمار الجدل فيه عدد كبير من الجماعات ، كالمعتزلة ، والصسوفية ، واهل الفلسفة ، والكلام ، والملحدين والباطنية ، والحشوية والكرامية والمجسمة والمشبهة .

٦ـ وهو تأليف اديب كبير ، وشاعر مكثر ، فلم يخل تفسيره من النكت الادبية ، والقطع النثرية والشعرية الجميلة ، لأنّه « كان يجري على مذهب أهل الادب » [4] .

٧ـ وفضلا عن ذلك فقد احتوى على فوائد أخرى غير التفسير والقراءات والبلاغة والنحو واللغة والصرف والادب ، ففيه « معلومات تاريخية ، وقصص ، وروايات عن الناس والممالك ، واحاديث كثيرة عن البلدان التي رآهاوالآثار التي شاهدها ، واخبار عن عادات أهل زمانه في الامصار المختلفة » [5] وفيه معلومات عن « كروية الارض » والاستدلال عليها والرد على أنكر ذلك [6] . وغير ذلك .

---

(١) البحر المحيط : ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨ .
(٢) النهر الماد من البحر (على هامش البحر المحيط) : ٢/ ١٤٦ .
(٣) ابو حيان النحوي : ٣٨٩ .
(٤) البدر الطالع : ٢/ ٢٩١ .
(٥) ابو حيان النحوي : ٢٣٣ ـ ٢٣٤ وفيه احالات الى مواطن ذلك فلتنظر .
(٦) البحر المحيط : ١/ ٩٧ ،وابو حيان النحوي : ٢٣٣ .

٨ ـ وكان يتحاشى التطويل والخروج عما رسمه ، لاسيما في العلوم والموضوعات التي أخذت تبحث مستقلة ، فأنه يحيل الى كتبها ولا يطيل فيها . قال في تفسير الآية « ما ننسخ من آية »[١] .

« وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ الشرعي ، واقسامه ، وما اتفق عليه منه ، وما اختلف فيه ، وفي جوازه عقلا ، ووقوعه شرعا ، وبماذا ينسخ ، وغير ذلك من أحكام النسخ ، ودلائل تلك الاحكام ، وطولوا في ذلك ، وهذا كله موضوعه علم اصول الفقه ، فيبحث ذلك كله فيه ، وهكذا جرت عادتنا أن كل قاعدة في فن من العلوم يرجع في تقريرها الى ذلك العلم . . . »[٢]

(١) البقرة : ١٠٦ .

(٢) البحر المحيط : ٢٤١/١ .

المبحث الثاني
التفاسير الفقهية

غاية القرآن الكريم هي تصحيح العقيدة وتقويم السلوك فتصحيح العقيدة تكفل به آيات التوحيد واركان العقيدة الاسلامية وتقويم السلوك تتبناه آيات الاحكام .

وهذان الركنان في القرآن الكريم يستحوذان على جل آياته وقد نرى الآيات التي تتعلق بالقصص والامثال وغيرها تتكلم عن هذين الركنين او هما غايتها الملموسة من السياق الذي بني القرآن الكريم اسلوبه عليه .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرعى هذين الجانبين رعاية تامة فيصحح عقيدة المسلمين في كل مناسبة وينقيها من كل الشوائب التي قد تصيبها من جراء قرب عهدهم بالجاهلية .

ويضبط سلوكهم ويراقبه مراقبة تامة فلم يدع لسائل ان يسأل عن شيء في الشريعة الاسلامية الا ويجده كاملا يضبط السلوك الانساني في الجانب الذي يتكلم عنه ويتطرق اليه بالصورة التي لا يمكن ان يتوصل اليها تشريع منذ ان عرف الانسان التشريع والى قيام الساعة .

فشمل بهذه الاحاطة جميع سلوك الانسان في جميع اوجه نشاطه منذ ان يخلق والى ان يلاقي ربه .

وكان هذا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم واضحا وسهل المأخذ فلما تقدم العصر بالمسلمين وانقطع الوحي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم احتاج الناس الى من حفظ توضيح الاحكام التي في القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم وكثر التساؤل بين الصحابة عن الاحكام وكان فيمن يعدهم اكثر .

ذلك لان الاحكام لايختص بها القرآن الكريم وحده وانما اعتمادها على السنة

النبوية يساوي القرآن الكريم وكلا النصين يتعاونـان على اداء الحـكم في صورتـه النهائية .

ومن المعلوم ان السنة تتفاوت في درجة ثبوتها عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما ان دلالة القرآن الكريم لا تدل بصورة قطعية على الاحكام في بعض الاحوال . فالسنة تخصصه ان كان قد ورد عاما والحكم المراد منه خاصا كما تطلقه ان كان لفظ القرآن مقيدا وحقه الاطلاق وعكس ذلك يصح في علاقة القرآن بالسنة .

وهذه الاختلافات في دلالة النصوص القرآنية وفي علاقة السنة بها فسح مجالا لتحكيم العقل واستنبـاط الاحـكام به بعـد جمـع النصـوص الشرعية من الكتـاب والسنة .

وتحكيم العقل سمي الاجتهاد بعدئذ واخـذ الاحـكام من دلالات النصـوص لتحكيم العقل سمي قياسا .

والعلم الذي نشأ منهما سمي فقها .

والفقه نشأ في ايام الصحابة ثم تطور حتى اصبح اختلاف وجهات النظـر في الفروع كبيرا نشأت لكل منهج في الاستنباط مدرسة فقهية لهـا قواعدهـا واصولهـا ومنهجها في الاستنباط .

اتضح هذا في منتصف القرن الثاني الهجري بتكون المدارس الفقهية المستقلة . اهم هذه المدارس :

مدرسة أبي حنيفة[1] : وهو ابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام الاعظم ولد سنة ٨٠هـ في الكوفة ورحل الى المدينة . رجل حاد الذكاء عالما في اوجه العلم الشرعي جميعا توفي في سنة ١٥٠ هـ .

تمتاز مدرسته بقوة الحجة والبرهان فالاحكام التي تحتاج الى احكام العقـل لا يضاهي المذهب الحنفي فيها احد فهم اهل مدرسة الرأي او القياس .

والمدرسة الثانية التي نشأت هي مدرسة :

الامام مالك[2] : وهو مالك بن انس بن عامر الاصبحي ولد سنة ٩٣ هـ في المدينة

---

(١) ابو حنيفه حياته وعصره ـ اراؤه الفقهية ـ محمد ابو زهرة ـ دار الفكر العربي ص ١٤ .

(٢) الامام مالك ـ محمد ابو زهرة ـ دار الفكر العربي ص ٢٣ .

وجلس للفتيا مبكرا في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، اجمع الناس على امامته في الفقه والحديث وتوفي سنة **١٧٩هـ** .

اهم ما تمتاز مدرسته به وفرة النصوص وثرائها في السنة النبوية حتى سميت مدرسة الحديث .

ومن هاتين المدرستين نشأت مدرسة :

الامام الشافعي : وهو الامام محمد بن ادريس بن العباس الشافعي المطلبي القرشي[١] ولد بغزة في الشام ثم رحل الى العراق ثم الى مصر ثم توفي فيها سنة **٢٠٤ هـ** .

تمتاز مدرسته بوضوح منهجها وقوة بنائها الاصولي واستفادتها من المدرستين السابقتين مدرسةابي حنيفةحيث ان الامام الشافعي تتلمذ لمحمد بن الحسن تلميذ ابي حنيفة وصاحبه وتتلمذ للامام مالك بن انس . كما ان للشافعي شخصية قوية بين الفقهاء وذكاء خارق وعلم واسع .

وهناك مدرسة فقهية نشأت من بين علماء الحديث وهي مدرسة

الامام احمد[٢] : هو الامام احمد بن محمد بن حنبل الشيباني ولد ببغداد سنة **١٦٤ هـ** سكن بغداد ورحل الى البصرة والامصار الاسلامية الاخرى طالبا للعلم . وتوفي في سنة **٢٤٤ هـ** .

من اركان علماء الحديث ومن دعاة السنة النبوية المطهرة وله فيها مسند عظيم قدر ما روي فيه باكثر من اربعين الف حديث ، تلميذ الامام الشافعي وصاحبه .

امتازت مدرسته بانتهاج نهج المحدثين في استنباط الاحكام فكان فقهه فقه الحديث غالبا وقد وضحت اصوله فيما بعد على يد تلاميذه .

وهناك مدارس ظهرت بعدها او اندثرت اراؤها في هذه المدارس الاربعة كمدرسة الليث وابن ابي ليلى والاوزاعي والطبري فيما بعد والمدرسة الظاهرية .

اما مدرستي الشيعة الامامية والشيعة الزيدية فان ظهورهما السياسي سبق ظهورهما العلمي الفكري بوقت بعيد جدا فلم يكن لهما فقه واضح ومنهج فكري محدد الا بعد هذه المدارس جميعا .

---

(١) الامام الشافعي ـ محمد ابو زهرة ـ دار الفكر العربي ص ١٤ .

(٢) الامام احمد بن حنبل ـ محمد ابو زهرة ـ دار الفكر العربي ص ١٢ .

اما نسبة المدرسة الامامية الى الامام جعفر الصادق ونسبة المدرسة الزيدية للامام زيد بن علي زين العابدين رضي الله عنهم جميعا . فان صدق نسبتهما اليهما كصدق نسبة الفقه الحنفي الى الامام جعفر وكذلك المالكي وغيرهما من المدارس الفقهية الاسلامية .

فان الفقهاء جميعا تتلمذوا عليهما واخذوا منهما ولم يختلفوا عليهما في شيء ابدا . ونجد الروايات في المذهب الحنفي الى الامام جعفر الصادق كثيرة جدا وفي غير المذهب الحنفي ايضا .

فظهور المدارس الفقهية بالنسبة للمدرستين الشيعيتين كان متأخرا عن المذاهب بينما فقه الامامين المذكورين رضي الله عنهما سبق جميع المدارس الفقهية والاختلاف بين المدارس الاول والمتأخرة واضح جدا والاختلاف في نسبة الاراء واضح ايضا .

الذي يعنينا ان كل مدرسة من هذه المدارس لها تفاسير للقرآن الكريم تظهر فيها اراؤهم الفقهية واختلافهم مع غيرهم واضح جدا .

والتفسير الفقهي هو جزء من التفسير بالاجتهاد ولكن بموجب وجهة نظر فقهية بحتة تختلف عن العقائدية واللغوية . وسندرس لكل مذهب من المذاهب المذكورة تفسيرا نوضح فيه اصول المذهب في التفسير ان شاء الله .

نماذج من التفاسير الفقهية :

١ ـ احكام القرآن ـ الجصاص (حنفي)
٢ ـ احكام القرآن ـ ابن العربي (مالكي)
٣ ـ احكام القرآن ـ الكبا الهراسي (شافعي)
٤ ـ زاد المسير ـ ابن الجوزي (حنبلي)
٥ ـ مجمع البيان ـ الطبرسي (شيعي امامي)
٦ ـ فتح القدير ـ الشوكاني (شيعي زيدي)

تفسير احكام القرآن
للجصاص

مؤلف هذا التفسير

مؤلف هذا التفسير هو احمد بن علي ابو بكر الرازي المعروف بالجصاص[1] .

ولد سنة (٣٠٥هـ = ٩١٨ م) وورد بغداد ودرس على ابن الحسن الكرخي ثم ارتحل في طلب العلم وجدّ في ذلك الى ان بلغ مرتبة جعلته امام الحنفية في وقته فارتحل اليه المتفقهة ، وكان مشهورا بالزهد والورع والتقشف متفرغا للعلم ميالا الى العزلة حتى انه خوطب بان يلي قضاء القضاة فامتنع تحرزا عن الشبهات ، وضع عددا من الكتب الفقهية والشروح على مختصرات الحنفيه توفي سنة (٣٧٠ = ٩٨٠ م) .

تفسير احكام القرآن :

تفسير الجصاص المسمى (احكام القرآن) تفسير فقهي لآيات الاحكام في القرآن وفق المذهب الحنفي .

ويقصد بآيات الاحكام الآيات التي نصت على الاحكام الفقهية والا فان في آيات الامثال والقصص والتاريخ والوعد والوعيد كثيرا من الاحكام الشرعية .

طبع احكام القرآن في استانبول ١٣٣٨ في ثلاثة مجلدات كبار وعليها كانت احالاتنا . وطبع في المطبعة البهية بمصر ١٣٤٧ وهي ايضا في ثلاثة مجلدات .

---

(١) انظر ترجمته واخباره في الفهرست : ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، تاريخ بغداد : ٤/ ٣١٤ ، رقم الترجمة : ٢١١٢ ، الجواهر المضية : ١/ ٨٤ ـ ٨٥ رقم ١٥٦ ، تذكرة الحفاظ : ٣/ ٩٥٩ رقم ٩٠٣ ، الفوائد البهية : ٢٧ ـ ٢٨ ، التفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٤ ، معجم المؤلفين : ٢/ ٧ .

طريقته في التفسير :

١ ـ لما كان تفسير احكام القرآن للجصاص معنياً بآيات الاحكام الفقهية فقد تناول في تفسيره الآيات التي تضمنت تلك الاحكام فقط دون التطرق الى ما سواها من الآيات الاخرى الا بما يتصل بالحكم الشرعي لحادثة معينة .

٢ ـ وفضلا عن ذلك فهو وان رتب تفسيره حسب ترتيب السور القرآنية ، نجده يبوب هذا التفسير كتبويب الكتب الفقهية ، ويضع لكل باب عنوانا تندرج تحته المسائل والاحكام التي يتعرض لها المؤلف .

٣ ـ ونتيجة لهذين السببين نجده لا يتناول بالتفسير كثيرا من الآيات ، بل سورا كاملة ، اما لان ما فيها من الاحكام قد تناوله في ما مضى ، أو لان تلك السور لا تنص على الاحكام نصا ، ومن هنا خلا كتابه من تفسير اثنتين وثلاثين سورة هي :

الحجر ، النمل ، الدخان ، التغابن ، الملك ، الحاقة ، نوح ، الجن ، النبا ، النازعات ، عبس ، التكوير ، الانفطار ، المطففين ، البروج ، الطارق ، الغاشية ، الفجر ، الشمس ، الليل ، التين ، العلق ، الزلزلة ، العاديات ، القارعة ، التكاثر ، العصر ، الهمزة ، الفيل ، قريش ، الاخلاص ، الناس .

٤ ـ وقد استوعب تفسير السور الخمس الاولى : (الفاتحة ، البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة) جزأين من اصل الكتاب ، وذلك لاجتماع الاحكام الشرعية تحت الابواب التي عقدها في هذين الجزئين ، اذ يضم كل باب الاشباه من الآيات والنظائر من الاحكام ، وكان الجزء الثالث لما بقي من سور القرآن .

٥ ـ وهو حين يتعرض لباب من الابواب يبين معاني آية الباب كسائر المفسرين بشرح المفردات اللغوية ، ويستشهد عليها بالشواهد من المنظوم والمنثور ، وعماده في الغالب القرآن والحديث والشعر ، ويبين ما في الجمل من الاتصال والانفصال ، فيقول هذا كلام قائم بذاته ، وما فيها من الحقيقة والمجاز ، والتعميم والتخصيص ، والناسخ والمنسوخ ، واسباب النزول ، مما لا يستغني المفسر عن بيانه .

الا انه يتميز عنهم ببيان ما يستنبطه منها المجتهدون من المسائل الاصولية والفروع الفقهية ، والادلة الدالة على ما اتفقوا عليه ، فيعزز القول بالآيات التي ترد تحت هذا الباب مثلا ، ويدعم ذلك بالاحاديث التي يرويها هو عن مشايخه .

لذلك كان كتابا أقرب الى الكتب الفقهية .

٦- وحين يجد في النص متسعا للرأي والاجتهاد والاختلاف ، يتناول آراء المجتهدين ، وما استدلوا به على آرائهم من ادلة سمعية وعقلية ، فيناقش تلك الادلة ، ويتوسع في الاحتجاج لمذهب ابي حنيفة وينتصر له ، ويتلمس له الادلة التي تعززه ، وتقويه ، لهذا كان من أهم كتب التفسير الفقهي ، خصوصا عند الحنفية ، لانه « يقوم على تركيز مذهبهم والترويج له والدفاع عنه »[١]

ولانه حوى آراء علمائهم ، وتفصيل الاقوال المجملة المنقولة عنهم ، وتعزيز ذلك بالادلة ، والحرص على توهين آراء المذاهب الاخرى .

بل يبلغ به الامر الى حد التعصب لمذهبه ، والتعسف فيه ، مع ظهور ادلة المذاهب الأخرى وصلاحها للاستدلال :

فمن ذلك تعسفه في جعل الآية « ثم اتموا الصيام الى الليل »[٢] دالة على ان من دخل في صوم التطوع لزمه اتمامه .[٣]

وحين يفسر قوله ﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن . . ﴾[٤] نجده يحاول ان يستدل بالاية من عدة وجوه على ان للمرأة ان تعقد على نفسها بغير الولي وبدون أذنه .[٥]

وحين يفسر قوله تعالى ﴿ فأن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا ، او لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل ﴾[٦]

---

(١) التفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢) البقرة : ١٨٧ .

(٣) احكام القرآن : ١/ ٢٣٤ ،والتفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٦ .

(٤) البقرة : ٢٣٢ .

(٥) احكام القرآن : ١/ ٤٠٠ ،التفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٦ .

(٦) البقرة : ٢٨٢ .

وبعد ان يبين آراء الفقهاء في الحجر على السفيه يذهب مذهب ابي حنيفة في أن الاية ليس فيها دليل على ان السفيه يستحق الحجر أو لا ،[1] ومن ثم يذهب الى أن الاظهر من دلالتها بطلان الحجر وجواز التصرف .[2]

وحين يفسر قوله تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴾[3] يتطرق الى مسألة القضاء بالشاهد واليمين ويرجح رأي الحنفية في أنه لا يحكم الا بشاهدين ، ولا يقبل شاهد ويمين[4] ، مع كثرة النصوص المعتمدة الواردة في هذا الشأن .[5]

وحين يفسر قوله تعالى : ﴿ وَإنْ كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضةٌ ﴾[6] ينتصر لائمة الحنفية في أنه لا يجوز رهن المشاع فيما يقسم ولا فيما لا يقسم[7] .

٧- وهو في بعض الاحيان على مخالفيه بشدة ، حتى يبلغ به الحد أن يرمي فضلاء العلماء بعبارات لاذعة لا تليق بمقامهم :

من ذلك ما ذكره عن الشافعي في مناظرته لاحدهم في باب ما يحرم من النساء حول موضوع هل يحرم الحرام الحلال ؟ وذكر تلك المناظرة في حديث طويل ، ثم قال : « فقد بان أن ما قاله الشافعي وما سلمه له السائل كلام فارغ لا معنى تحته في حكم ما سئل عنه »[8] .

وقوله في نفس الموضع : « قال ابو بكر - اي الجصاص - ما ظننت أن

---

(١) احكام القرآن : ١/ ٤٨٩

(٢) احكام القرآن : ١/ ٤٩٠ .

(٣) البقرة : ٢٨٢ .

(٤) احكام القرآن : ١/ ٥١٤ .

(٥) انظر الاحاديث الواردة في هذا الشأن في صحيح مسلم (تحقيق فؤاد عبد الباقي) ٣/ ١٣٣٧، رقم ١٧١٢ ، ورقم ٣ من كتاب الاقضية ، وصحيح مسلم بشرح النووي : ١٢/ ٣ - ٤ وسنن ابي داود : ٣/ ٣٠٨ رقم ٣٦٠٨ ، وابن ماجة : ٢/ ٧٩٣ رقم ٢٣٧٠ .

(٦) البقرة : ٢٨٣ .

(٧) احكام القرآن : ١/ ٥٢٤ .

(٨) احكام القرآن : ٢/ ١١٨ والتفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٧ .

أحدا ممن ينتدب لمناظرة خصم يبلغ به الافلاس من الحجاج الى ان يلجأ الى مثل هذا مع سخافة عقل السائل وغباوته »[1] .

وغير ذلك .[2]

٨ - ويبدو لاول وهلة أنه تأثر بما حوله من المذاهب العقلية كالمعتزلة وغيرهم[3] ، خصوصا في مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى حين تفسيره لآية : ﴿ لا تدركه الابصار ﴾[4] مثلا ، أو غير ذلك من الآيات ، الا انه الادلة لم تقم على ذلك ، ولو ثبت ذلك لذكره المترجمون له .

---

(١) احكام القرآن : ٢/ ١١٨ ،التفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٧ .

(٢) التفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٧ ـ ١٠٩ .

(٣) شرح الازهار : ١/ ٤ والتفسير والمفسرون : ٣/ ١٠٤ ، ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٤) الانعام : ١٠٣ وانظر تفسيرها في احكام القرآن : جـ ٣ ص ٤ ـ ٥ .

تفسير أحكام القرآن
لابن العربي

مؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الاشبيلي المعروف بابن العربي الحافظ ، وهو غير الشيخ محيي الدين ابن عربي الحكيم الصوفي .

ولد أبو بكر المعافري باشبيلية سنة (٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م) في أسرة حظيت بمركز علمي واجتماعي كبير . ورحل به أبوه الى المشرق فتلقى الفقه والحديث وغير ذلك في الشام والعراق ومصر، ولما رجع الى الاندلس رجع بعلم وفير. تتلمذ عليه الكثير من الاعلام . تولى القضاء باشبيلية ، ثم تحول الى قرطبة ، وبلغت تآليفه نحواً من أربعين كتاباً ، توفي بالعدوة في عودته من مراكش سنة (٥٤٣ هـ = ١١٤٨ م) ودفن في فاس[١]

تفسير أحكام القرآن

كتاب « أحكام القرآن » لابن العربي تفسير فقهي للقرآن يتناول آيات الأحكام فقط فيشرحها ويبين الاحكام الشرعية المأخوذة منها وفق المذهب المالكي ، فهو يشبه كتاب « أحكام القرآن » للجصاص في أنهما يهتمان بآيات الاحكام فقط . ولذلك خلا كتاب ابن العربي من تفسير ثماني سور من القرآن هي : القمر والحاقة والنازعات

---

(١) انظر ترجمته في : وفيات الاعيان : ٤/ ٢٩٦ ، نفح الطيب : ٢/ ٢٥ ، الوافي بالوفيات : ٣/ ٣٣٠ ، الديباج المذهب : ٢/ ٢٥٢ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٢/ ١٦٢ .

والتكوير والانفطار والقارعة والهمزة والكافرون ، لأنه يرى أن آياتها لا تدخل تحت باب الاحكام الفقهية وان كان فيها أحكام أخرى ، ومع ذلك فقد توسع كثيراً في عدد آيات الاحكام اذ جعلها (٨٢٧) آية كما يظهر من مجموع الأرقام التي وضعها في بداية كل سورة يفسرها . في حين يذهب كثير من أئمة التفسير إلى أن آيات الاحكام في القرآن خمسمائة آية [1] ، بل يذهب بعضهم الى أنها مائتا آية أو قريب من ذلك [2] . والسبب في توسع ابن العربي في ذلك انه ـ لسعةعلمه واطلاعه وخبرته بمواطن الاجتهاد الفقهي ـ أخذ يستنبط كثيرا من الاحكام الشرعيةحتى من آيات العظة والقصص ، فكانت آيات الاحكام عنده بهذا المقدار .

وهو في تفسيره يتناول السور القرآنية بالتسلسل فيبدأ أولاً بذكر عدد آيات الاحكام في تلك السورة ، ثم يبدأ بذكر تلك الآيات آية آية ، فيقول مثلاً الآية الاولى ويبدأ بشرحها وحين يريد شرحها يبدأ بقوله : فيها مسألتان مثلاً أو فيها أربع مسائل فيذكرها ثم ينتقل الى الآية الثانية من آيات الاحكام حتى يستنفد تلك الآيات كلها في السورة الواحدة ، وهي طريقة تحصر موطن الاهتمام وتبعد الكتاب عن الحشو والتطويل .

وهو في أثناء ذلك يشرح الكلمات مفردة ومركبة ، وما يستنبطمن ذلك من معان واحكام لغوية وفقهية وبلاغية موثقاً ما يقول بالشواهد والنصوص ، محافظاً على البلاغة ، متحرزاً عن المناقضة في الاحكام محافظاً على جانب اللغة مقابلا لها بما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة منبّهاً على الاحاديث الضعيفة [3] ، متحريا وجه الصواب في ما يستنبطه ، الا أنه في بعض الاحيان قد يتعصب لمذهبه المالكي فيضعف مذهب غيره ويوهنه بتضعيف ادلته ، ويبلغ تعصبه ذلك مبلغاً يجعله يحمل على مخالفيه ويقسو عليهم احيانا بل ويسخر منهم ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ . . . وان كنتم مرضى او على سفر او جاء أحد منكم من الغائط او لامستم النساء

---

(١) الماوردي : ادب القاضي : ١/ ٢٨٢ ، ١/ ٥١٤ ، وقد نسب الزركشي هذا القول الى الغزالي والفخر الرازي انظر البرهان في علوم القرآن : ٢/ ٣ ، وانظر محمد شفيق العاني : الفقه الاسلامي : ١٨ .

(٢) صديق حسن خان القنوجي النواب : نيل المرام من تفسير آيات الاحكام (ط٢ ، ١٩٦٣) : ٢١ .

(٣) احكام القرآن : ٢/ ٥٨٣ ، التفسير والمفسرون : ٣/ ١٢٢

فلـم تجدوا ماء . . . ﴾[1] الآية . قال : « المسألة الثامنة والعشرون قوله تعـالى : ﴿ ماء ﴾ قال ابو حنيفـة : هذا نفـي في نكرة وهـو يعـم لغـة فيكون مفيداً جواز الوضوء ، بالماء المتغير وغير المتغير لانطلاق اسم الماء عليه . قلنا استنوق الجمل ! الآن يستدل اصحاب ابي حنيفة باللغات ويقولون على ألسنة العرب وهم ينبذونها في اكثر المسائل بالعراء ، واعلموا أن النفي في النكرة يعم كما قلتم ولكن في الجنس ، فهو عام في كل ما كان من سماء أو بئر أو عين أو نهر او بحر عذب او ملح فاما غير الجنس فهو المتغير فلا يدخل فيه كما لم يدخل فيه ماء الباقلاء . . »[2] .

وقال عن الشافعي في تفسيره لقوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنـوا اذا قمتـم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم . . . ﴾[3] : « وظن الشافعي ـ وهو عند اصحابه معد بن عدنان في الفصاحة بله ابي حنيفة وسواه أن الغسـل صب الماء على المغسول من غير عرك . . . »[4] .

وقال في شأن ابي بكر الرازي الجصاص حين فسر قوله تعالى ﴿ ومن لـم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم . . . ﴾[5] : « المسألة الخامسة : قال ابو بكر الرازي امام الحنفية في كتاب احكام القـرآن : ليس نكاح الامة ضرورة ، لأن الضرورة ما يخاف منـه تلف النفس او تلف عضـو وليس في مسألتنا شيء من ذلك . قلنا هذا كلام جاهل بمنهاج الشرع او متهكم لا يبالي بما يرد القول . . . الخ »[6]

قال الشيخ محمد حسين الذهبي عن ابن العربي :

« ان الرجل ليس عف اللسان مع الائمة ولامع اتباعهم ، وهذه ظاهـرة من ظواهر التعصب المذهبي الذي يقود صاحبه الى ما لا يليق به ويدفعه الى الخروج عن حد اللطافة والكياسة »[7] .

---

(١) النساء : ٤٣ وانظر تفسيرها في احكام القرآن ١/ ٤٣٢ وما بعدها
(٢) احكام القرآن : ١/ ٤٤٦ ، التفسير والمفسرون : ٣/ ١١٩
(٣) المائدة : ٦
(٤) احكام القرآن : ٢/ ٥٩٢ والتفسير والمفسرون ٣/ ١١٩
(٥) النساء : ٢٥
(٦) احكام القرآن : ١/ ٣٩٤ ، التفسير والمفسرون : ٣/ ١٢٠
(٧) التفسير والمفسرون : ٣/ ١٢٠ ـ ١٢١

وعلى الرغم من كل ذلك فقد احتل تفسيره مكانة متميزة بين المفسرين والفقهاء المالكية ، جعلته يحظى باعتمادهم وثقتهم ، فعوّل فقهاؤهم ومفسروهم عليه بل نجد القرطبي صاحب تفسير الجامع لاحكام القرآن ينقل فقرات كاملة وينسبها اليه .

تفسير احكام القرآن
لالكيا الهراسي

مؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو علي بن محمد بن علي بن الامام شمس الاسلام ، أبو الحسن ، إلكيا الهراسي ، عماد الدين الطبري الشافعي .

وإلكيا بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الكاف لعلها معربة عن الفارسية بمعنى الكبير القدر المقدم بين الناس ، والهرّاسي براء مشددة فارسية بمعنى الذعر .

ولد الكيا الهراسي سنة (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م) وتفقه ببلدة طبرستان ثم رحل الى نيسابور ، ولازم ابا المعالي الجويني ، وتخرّج به الى أن أصبح معيداً في نظامية نيسابور ، وصار من وجوه الشافعية ، وولي القضاء عند السلاجقة ، ثم انتهى به المطاف الى العراق فتولى التدريس في النظامية بعد الغزالي ، حتى توفي سنة (٥٠٤ هـ = ١١١٠ م) ودفن بمقبرة باب أبرز . ترك الكيا الهراسي بضعة مؤلفات[١] .

تفسير احكام القرآن لالكيا الهراسي :

تفسير (احكام القرآن) لالكيا الهراسي تفسير فقهي لآيات الاحكام وفق المذهب الشافعي ولا يزال مخطوطاً .

يسير المؤلف في هذا التفسير على منهج يتلخص في أنه لما كان يعني بآيات

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٣/ ٢٨٦ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٧/ ٢٣١ طبقات الاسنوي : ٢/ ٥٢٠ ، علماء النظاميات : ٥٥ ، تبيين كذب المفتري : ٢٨٨

الاحكام الفقهية وفق طريقة الامام الشافعي وعلى اصوله وقواعد مذهبه التي راها قد ترقت عن حد الظن والتخمين الى درجة الحق واليقين كما يقول في مقدمته[1] ـ لم يخلُ من روح التعصب الذي أملته ظروف التنافس الفكري القائم بين المذاهب آنذاك ، فرد على منافسيه لاسيما الجصاص من الحنفية اذ اقتص للشافعي منه فرماه بالعبارات الساخرة والالفاظ المقذعة حين تعرض للمسألة التي اثارها الجصاص في موضوع المحرمات من النساء والتي مرت بنا فقال عنه انه « لم يفهم كلام الشافعي رضي الله عنه ولم يميز بين محل ومحل ولكل مقام مقال ، ولتفهم معاني كتاب الله رجال ، وليس هو منهم »[2] ، الا أنه مع تعصبه لمذهبه الشافعي نجده يختلف عن الجصاص في أنه كان عف اللسان والقلم مع ائمة المذاهب الاخرى .

وقد اراد الكيا الهراسي لتفسيره أن يكون على نمط عال من البيان والصنعة ؛ فلم يضعه للمبتدئين بل وضعه لأهل العلم والنظر الذين توفروا على حظّ من المعقول والمنقول ، وتبحّر في الفروع والاصول مع الفكر الوقاد والذهن الثاقب . قال في مقدمة التفسير :

« ولا يعرف قدر هذا الكتاب وما فيه من العجب العجاب ولباب الالباب الا من وفر حظه من علوم المعقول والمنقول وتبحّر في الفروع والاصول ، ثم انكب على مطالعة هذه الفصول بمسكة صحيحة وقريحة همة غير قريحة . . . »[3] .

ولما كان الكيا الهراسي قد خاض غمار المناظرة وبرع فيها نجد يكثر الرد على مخالفيه ردا سديداً محكماً ، ولذلك لم يجانب استاذه امام الحرمين الحقيقة حين وصفه من بين تلاميذه بانه أسدٌ مخرّق[4] ، او بانه شيخ البيان[5] في المناظرة ، ولذلك فهو وان كان يميل الى الاختصار تراه يؤيد أقواله بالدليل من قرآن أو سنة او غير ذلك ،

---

(١) احكام القرآن ـ مخطوط دار الكتب المصرية : ص ٢
(٢) احكام القرآن ص ٢١٣ ،والتفسير والمفسرون : ٣/ ١١١ ـ ١١٢ .
(٣) احكام القرآن : ص ٢
(٤) طبقات السبكي : ٦/ ١٩٦
(٥) طبقات السبكي : ٦/ ٢٠٢

ويتحرى التحقيق في رواياته وينبذ ما ضعف من الاحاديث والاخبار ، انظر اليه حين فسرّ قوله تعالى : ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب . . . ﴾[1] فانه تحرى قول المحققين لأن في هذا الموضوع كثيرا من الروايات الاسرائيلية التي املأت بها بطون كتب التفسير[2] .

(١) سورة ص : ٢١ وانظر تفسيرها في احكام القرآن الورقة ٢٩٤ ب من المخطوطة رقم ١٤٤ تفسير (في دار الكتب المصرية)

(٢) اشار الى ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣١) والخازن في تفسيره ايضا (٦/ ٣٨)

تفسير زاد المسير
لابن الجوزي

المؤلف :

مؤلفه هو جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبدالله بن حمّادى القرشي التيمي البكري الفقيه الحنبلي الواعظ المعروف بابن الجوزى[1] .

ولد ببغداد سنة (٥١٠ هـ = ١١١٦ م) في اسرة تعمل بالتجارة وتوفي ابوه وله من العمر ثلاث سنين فتولت عمته الصالحة تربيته . تتلمذ على الشيخ ابي الفضل بن ناصر فاعتنى به واسمعه الحديث منذ صغره تبركا ، وحفظ القرآن وبرع في الوعظ والتذكير ، وكان زاهدا متقللا لطيف الصورة رخيم النغمة مما جعله يؤثر في سامعيه كثيرا فتزداد حلقاته الوعظية حتى ان الخليفة كان يسمعه ويجلس في حلقته . امتحن في آخر عمره فسجن ثم اخرج من السجن فلم يلبث الا قليلا ، توفي سنة (٥٩٧ هـ - ١٢٠١ م) وترك عددا غفيرا من الكتب والرسائل .

تفسير زاد المسير

كتاب (زاد المسير في علم التفسير) تفسير للقرآن اختصره مؤلفه من التفسير

---

(١) انظر ترجمته في : وفيات الاعيان : ٣/ ١٤٠ - ١٤٢ ، رقم ٣٧٠ ، مرآة الزمان : جـ ٨ ق : ٢ ص ٤٨١ - ٥٠٣ ، ذيل طبقات الحنابلة : ١/ ٣٩٩ - ٤٣٣ رقم ٢٠٥ ، تذكرة الحفاظ : ١٣٤٢ - ١٣٤٨ رقم ١٠٩٨ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١٧ رقم ٥٠ ، طبقات المفسرين للداوودي : ١/ ٢٧٠ - ٢٧٤ رقم ٢٦٠ ، معجم المؤلفين : ٥/ ١٥٧ - ١٥٨ .

الكبير الذي الفه هو وسماه (المغني في تفسير القرآن) . وزاد المسير وان كان مختصرا الا انه يحتوي على تفسير كامل للقرآن الكريم ويتناول ذكر معاني الايات واحكامها ويؤكد على فقه الامام احمد بن حنبل فهو تفسير فقهي وفق المذهب الحنبلي .
وقد طبع بدمشق ١٩٦٤ في تسعة اجزاء .

منهج ابن الجوزي في زاد المسير

١ ـ يتميز تفسير زاد المسير بكونه موجزا اشد الايجاز مع احتوائه على النفائس والاراء التفسيرية معزوة الى اصحابها ، فهو مختصر يسير منطو على العلم الغزير كما قال صاحبه عنه ، لخص فيه آراء ا لسابقين بعبارة مختصرة غاية الاختصار .

٢ ـ وقد وفى باكثر مقاصد التفسير وفنونه فبين اسباب النـزول اولا ثم ما هو مكي ومدني ثم اللغة والشواهد عليها ثم معنى الكلمـة ومذاهـب المفسرين فيهـا والاحكام المأخوذة من تلك الآية والناسخ والمنسوخ والقراءات وما يقع من اشكال في الآية وغير ذلك مما لا بد منه للمفسر .

٣ ـ وهو يقوم على انتخاب الاقوال المروية في تفسير الآية او بيان سبب النزول او بيان المعنى اللغوي او البلاغي او غير ذلك فينتخب ما تقرب صحته عنده ولو كان لعلماء المذاهب الأخرى واستيعاب تلك الاقوال والاحاطة بها مع بيان اصحاب تلك الاقوال في اختصار بالغ وترك ما تبعد صحته منها ، مما يدل على نصفته واعتداله في عرض الاحكام والمعاني للآيات قال : « ولم اغادر من الأقوال التي احطت بها الا ما تبعد صحته مع الاختصار البالغ . . . ثم قال : وقد انتقى كتابنا هذا انقى التفاسير فاخذ منها الاصح والأحسن والأصون منظمه في عبارة الاختصار . . . »[١]

٤ ـ وهو نتيجة لهذه الخطة في استيعاب الاقوال الصحيحة المعزوة الى اصحابها قد اولع بالتقسيم والترتيب متأثرا في ذلك بمنهج خاص في التفسير ساد في القرن الخامس الهجري وما بعده انتهجه مفسر مشهور هو الامام ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب

---

(١) زاد المسير : ٧/١

الماوردي البصري الشافعي (المتوفى ٤٥٠ هـ) في كتابه (النكت والعيون في التفسير)[١] فقد ظهر ذلك جليا في طريقته في عرض الآراء التفسيرية الكثيرة كأن يقول : وفي قوله تعالى كذا اربعة أقوال الاول كذا وبه قال فلان وفلان والثاني كذا وبه قال فلان وفلان . . . وهكذا ، ويظهر هذا التأثر بما يكثر من نقله عنه في مواضع عديدة من كتابه[٢] فقد ينقل الصفحة عنه بكاملها منسوبة اليه .

٥ ـ وتمشيا مع خطته في الايجاز الشديد لم يعلل الاحكام والآراء المستنبطة ولم يناقش ما يحكيه من اقوال ائمة التفسير الا في مواضع قليلة[٣]

٦ ـ ومما يتميز به من بين التفاسير الأخرى أنه يعرض الآراء الفقهية من بين ما يعرض من آراء بعبارة منصفة لا تلمس فيها روح التعصب في الظاهر ، وانما يظهر تعصبه لمذهبه الفقهي (وهو المذهب الحنبلي) في :

أ ـ كثرة النقل عن اصحاب الامام احمد

ب ـ وفي عدهم ـ وان كانوا متأخرين ـ بين أئمة التفسير المتقدمين من الصحابة والتابعين .

حـ ـ وفي استدلاله لرأي اصحابه من ائمة المذهب الحنبلي على خلاف ما جرت به عادته في هذا التفسير ، انظر الى قوله في تفسير سورة البقرة ، في قوله ﴿ فان كان الذي عليه الحق سفيها . . . ﴾[٤] فقد نقل فيه عن الامام ابي يعلى الحنبلي خمس مرات اولاً ـ ولست اغضّ من شأن أبي يعلى ـ ثم ذكر اسمه بين اعلام المفسرين من الصحابة والتابعين (وهو من علماء القرن الخامس اذ توفي سنة ٤٥٨ هـ) ، ثانيا ، ثم علل له في بعض الوجوه ثالثا[٥] .

---

(١) لا يزال مخطوطا ولم يطبع انظر مقدمة ادب القاضي : ١/ ٤٤ ـ ٤٦

(٢) انظر نقله عن الماوردي على سبيل المثال في زاد المسير جـ ٣ ص ٣ ، ١٢٤، ١٦٥، ١٧٧، ١٨٧، ٢٩٤، ٣١٦، ٣٤٣، ٣٨١، ٣٩٥، ٤٢٠، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٦٧، ٤٧٨، ٤٨٢ .

(٣) من ذلك رده على المعتزلة مثلا في تفسير قوله « والله لا يحب الفساد » في زاد المسير ١/ ٢٢٢

(٤) البقرة : ٢٨٢

(٥) زاد المسير : ١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨

٧ ـ ولم يخل تفسيره من الاستشهاد ببعض الاحاديث الضعيفة التي لم تصح ومن ايراد بعض الأخبار الاسرائيلية التي اغنانا الله عنها بما هو أنفع [١]

٨ ـ وعلى كل حال فيعد تفسيره سجلاً لآراء أئمة التفسير وستبقى له مكانته بين كتب التفسير .

---

(١) انظر على سبيل المثال زاد المسير ١/ ٦٧ ، ٢/ ١٨ ، ١١١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢١٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٩ وتعليقات المحقق عليها في الحاشية .

تفسير مجمع البيان
للطبرسي

مؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي أمين الدين المشهدي الرضوي السبزواري الشيعي .

ولد بطبرستان سنة (**٤٧٢** هـ = حوالي ١٠٨٠ م) وتتلمذ على مشايخ كبار وانتقل لطلب العلم الى المشهد الرضوي ، ثم الى سبزوار ، وبقي فيها الى أن توفي سنة (**٥٤٨** هـ = **١١٥٣** م) ثم نقل نعشه الى المشهد الرضوي وكان له مقام جليل بين علماء الشيعة ، وتتلمذ عليه كثير من علمائهم ، وخلف بضعة وعشرين كتابا[1] .

تفسير مجمع البيان

كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) كما سماه مؤلفه وفي المطبوع (مجمع البيان في تفسير القرآن) كتاب جليل تناول فيه تفسير آيات القرآن واستخراج معانيها واحكامها الفقهية وفق المذهب الشيعي ، استمده من تفسير (التبيان) لشيخ الطائفة الطوسي الذي سنعرف به ولكنه فاق عليه في الترتيب والتهذيب والاختصار .

قدم في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها والاختلاف في عدد آياتها ثم ذكر فضل تلاوتها ، والاختلاف في القراءات والادلة والاحتجاجات ، ثم اللغة

---

(١) انظر ترجمته في روضات الجنات ٥١٢ ، اعيان الشيعة : ٤٢/ ٢٧٦ ، الكنى والالقاب : ٤٠٩ ، معجم رجال الحديث ١٣/ ٣٠٩ ، معجم المؤلفين : ٨/ ٦٦ ـ ٦٧ .

والاعراب ثم المعنى ثم نظمها ، ولا يغفل عن اسباب النزول وكونها منسوخة او غير منسوخة فجاء كتابه معجماً ضخماً في اللغة وديوانا للشعر والقراءات ومرجعاً للنحو والاعراب ودليلاً لاساليب النظم والبلاغة فضلا عن كونه كتابا فقهيا يستنبط الاحكام وفق الاصول التي سار عليها المذهب الشيعي .

ولكن الامام الطبرسي مع جلالة قدره وعلو منزلته في العلم لم ينج من التعصب الفقهي ، ويظهر تعصبه في تفسيره الآيات التي تتناول الموضوعات الخلافية بين اهل السنة والشيعة . كتفسيره كلمة « أهل البيت » الواردة في قوله تعالى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾[1] بأنها مختصة بالنبي (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين فقط ليصل الى ان الأئمة معصومون كالانبياء . مع قيام الادلة على ان الكلام سابقا ولاحقاً موجه الى نساء النبي (ص) .

وتفسيره لكلمة « الذين آمنوا » في قوله تعالى ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾[2] فيجعلها « من اوضح الدلائل على صحة امامة علي رضي الله عنه بعد النبي ﷺ ، واستدل على ذلك بكلام طويل يدور حول حديث ان الامام عليا قد تصدق بخاتمة في الصلاة وقد تكلم ابن تيمية على هذا الحديث كلاماً طويلا خلاصته انه حديث موضوع لا أصل له[3] .

ومن تفسيره لقوله تعالى ﴿ فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن . . . ﴾[4] على ان المراد حل نكاح المتعة وقد قامت الدلائل على نسخه .

وهكذا شأنه في مسألة مسح الرجلين في الوضوء[5] والقول بالمهدي[6] والخمس[7] وحجية الاجماع[8] وغير ذلك وهي كثيرة نجده يرجح رأي الامامية في

(١) الاحزاب : ٣٣ ، وانظر تفسيرها في مجمع البيان : ٨/ ٣٥٦ ، التفسير والمفسرون : ٢/ ١١٠
(٢) المائدة : ٥٨ وانظر تفسيرها في مجمع البيان : ٣/ ٣١١ ، التفسير والمفسرون : ٢/ ١٠٥ .
(٣) منهاج السنة : ٣/٤ ، التفسير والمفسرون : ٢/ ١٠٩ .
(٤) النساء : ٢٣ ، وانظر تفسيرها في مجمع البيان : ٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤
(٥) مجمع البيان : ٣/ ١٦٣
(٦) مجمع البيان : ١/ ٣٨
(٧) مجمع البيان : ٤/ ٥٤٣
(٨) مجمع البيان : ٣/ ٦٤

ذلك مع قيام الادلة على خلاف ذلك عند المذاهب الاخرى .

ولكنه كان مع ذلك عف اللفظ مع من يخالفه في الرأي .

وقد نجد لديه تفسيرا رمزيا شاع استعماله عند الشيعة ، وهو وان كان ناقلا له الا أنه لا يرد عليه بل في بعض الاحيان يؤيده بكلامه كالذي نقله في تفسير قوله ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾[1] من ان البحرين علي وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام ، ثم قال معقبا على ذلك : « ولا غرو ان يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما . . » وكالذي نقله في تفسير قوله تعالى : ﴿ الله نور السماوات والارض . . . ﴾[2] مما ينسبونه الى ابي جعفر الباقر في قوله : ﴿ كمشكاة فيها مصباح ﴾ قال : نور العلم في صدر النبي (ص) « المصباح في زجاجة » الزجاجة صدر علي . . . الى ان يقول : « نور على نور » اي امام مؤيد بنور العلم والحكمة في اثر امام . . . ثم عقب على ذلك بما يحقق هذه الجملة عنده فانظره[3] .

---

(١) الرحمن : ١٩ ـ ٢٠ وانظر تفسيرها في مجمع البيان : ٩/ ٢٠١

(٢) النور : ٣٥

(٣) مجمع البيان : ٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤

تفسير فتح القدير
للشوكاني

المؤلف :

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني .

ولد في سنة (١١٧٣ هـ = ١٧٦٠ م) في شوكان ، ونشأ بصنعاء وتربى في حجر والده على العلم والادب والعفاف والتدين ، وطلب العلم فتتلمذ على كثير من الشيوخ ، وتقدم حتى اشتهر علمه وفضله ، واخذ يفتي أهل صنعاء والوافدين اليها ، وكان لا يأخذ على الفتيا أجراً ، ثم نصب لفصل الاحكام ، فولي القضاء الاكبر في صنعاء وبقي فيه حتى توفي سنة (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م) وكان احد العلماء المجددين والمجتهدين في المذهب الزيدي وقد خلف مكتبة ضخمة امتازت بالخصب والتنوع[١] .

تفسير فتح القدير ومنهج المؤلف فيه

(فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) كما سماه مؤلفه الشوكاني ـ تفسير كامل للقرآن الكريم وضعه ليبين فيه معاني آياته واحكامه الشرعية

---

(١) انظر ترجمته في البدر الطالع : ٢/ ٢١٤ وهي ترجمة كتبها هو بنفسه . نيل الوطر : ٢/ ٢٩٧ التاج المكلل : ٤٤٣ . المجددون في الاسلام : ٤٧٢ . الفتح المبين في طبقات الاصوليين : ٣/ ١٤٤

جمعاً بين الرواية والدراية وفق احكام المذهب الزيدي ، فضمنه احكامهم الفقهية وجملا من اجتهاداته الشخصية مبينا المعاني اللغوية والاعرابية والبيانية مشيراً الى ما في اسناده ضعف من الروايات ، مستوعبا لما يحتاج اليه مما يتعلق بالتفسير ، مستمداً ذلك من تفاسير السابقين ، مع فوائد اخرى تتصل بمحاربة البدع ، وبالتجديد وذم التقليد ، فهو ينعى باللائمة على المقلدين للمذاهب الفقهية في كل مناسبة وفي كل آية تنعى على المشركين تقليدهم :

قال في تفسير الآيتين : ﴿ وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ﴾[1] « . . . وهذا من اعظم الادلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه فان هؤلاء المقلدة في الاسلام انما يعملون بقول اسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم . . . »[2]

وقد كرر هذا النكير في مواضع عديدة من تفسيره[3]

وتحقيقا لدعوته هذه نجده غير جامد على مذهبه الزيدي ، فهو وان ينقل عن علماء مذهبه في الفقه كابن القاسم والمهدوي والهادي وغيرهم نجده يكثر من النقل عن فقهاء المذاهب الاخرى كالشافعي وابي حنيفة ومالك واحمد وابن جرير وغيرهم .

وهو يرى ان من التكلف أن يسعى المفسر الى ايجاد مناسبة لكل آية من آيات القرآن لما يسبقها او يتلوها من الآيات ، اذ لا يعود ذلك بكثير فائدة ، ولأن القرآن لم ينزل على الترتيب الموجود في المصاحف ولأنه نزل منجماً حسب الحوادث[4] .

وعلى كل حال فقد اختط لنفسه في هذا الجمع والتوفيق بين الدراية والرواية منهجا يعتمد على التثبت والاناة قال : « ولا اعتبار بما لا يصح كالتفسير المنقول

---

(١) الزخرف : ٢٣ ـ ٢٤

(٢) فتح القدير : ٤/٥٥٢

(٣) انظر فتح القدير : ١/١٦٧ وما بعدها ، ٢/١٩٨ ، ٢/٣٥٢ ، ٣/٤١١ .

(٤) فتح القدير : ١/ ٧٢ ـ ٧٣ .

باسناد ضعيف ولا بتفسير من ليس بثقة منهم وان صح اسناده اليه »[1] لكنه مع ذلك قد يأتي بالحديث معزواً الى روايه من غير بيان حال الاسناد لأنه يجده في الاصول التي نقل منها كتفسير ابن جرير وابن كثير والقرطبي والسيوطي وغيرهم ، ومن هذا الطريق دخلت في تفسيره احاديث ضعيفة وموضوعة على الرغم من حرصه على استبعادها[2] .

وهو حين يعرض للمتشابه[3] يقف موقف السلف الصالح الذين ابقوا الالفاظ التي من هذا النوع على ما هي عليه دون نقاش فيها ، ذلك أن في القرآن الفاظاً توهم التشبيه مثلا كالاستواء المفهوم من قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾[4] فقد قال الشوكاني : « قد اختلف العلماء في معنى هذا على اربعة عشر قولاً واحقها واولاها بالصواب مذهب السلف الصالح انه استوى سبحانه عليه بلا كيف ، بل على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه . . . »[5] وكتفسيره لكلمة « الكرسي »[6] وكلمة « اليد »[7] وغير ذلك من الالفاظ التي تشتمل على صفات الله يصور لنا معتقده فهو سلفي يرى ان صفات الباري الواردة في القرآن والسنة يجب ان تحمل على الظاهر من غير تأويل ولا تحريف[8] .

---

(١) فتح القدير : ١/ ١٣

(٢) التفسير والمفسرون : ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(٣) فسر الشوكاني المتشابه بانه ماله دلالة غير واضحة (ارشاد الفحول : ٣١)

(٤) الاعراف : ٥٤

(٥) فتح القدير : ٢/ ٢١١ ،التفسير والمفسرون : ٢/ ٢٩٥

(٦) انظر فتح القدير : ١/ ٢٧٢

(٧) انظر فتح القدير : ٥/ ٤٧ ـ ٤٨

(٨) الفتح المبين في طبقات الاصوليين : ٣/ ١٤٥ .

المبحث الثالث

التفاسير العقائدية (الفلسفة وعلم الكلام)

١ ـ تفاسير الفلاسفة

نصوص من ابن رشد وابن سينا

٢ ـ تفاسير اهل السنة والجماعة

مفاتيح الغيب ـ الفخر الرازي

تاويلات اهل السنة ـ ابو منصور الماتريدي

٣ ـ تفاسير المعتزلة

تنزيه القران عن المطاعن ـ القاضي عبد الجبار

الكشاف عن اسرار التأويل ـ الزمخشري

٤ ـ الصوفية

لطائف الاشارات ـ ابو القاسم القشيري

حقائق التفسير ـ السلمي

٥ ـ تفاسير الشيعة

البيان ـ الطوسي

الصافي ـ الفيض الكاشاني

المبحث الثالث

التفاسير العقائدية (الفلسفة وعلم الكلام)

من العلوم التي اخذها المسلمون من الحضارات التي سبقتهم هي المنطق والفلسفة او الحكمة .

فالمنطق : (هو العلم الذي يعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية والتصديقية من معلوماتها)[1] .

ويسمى احيانا الميزان ويعتبره العلماء للفكر كالنحو للسان فيقولون ان المنطق يقوم الفكر او هو الذي يمنح الفكر الطريقة السليمة للتفكير والاستنتاج .

وقد اختلف العلماء في حكم الاشتغال به حتى حرمه بعضهم ويعتبره قسم من العلماء ضروري لكل من يريد الاشتغال بالعلوم فأثير الدين الابهري[2] يقول في مقدمة رسالته لتعليم المنطق : (فهذه رسالة في المنطق اوردنا فيها ما يجب استحضاره لمن يبتدىء في شيء من العلوم) وقال عبد الرحمن الاخضري في منظومته[3] .

وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان
فيعصم الافكار عن غي الخطأ وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

---

(١) مفتاح السيادة جـ ١ ص ٢٩٥

(٢) اثير الدين المفضل بن عمر الابهري توفي سنة ٦٣٠ (مجموع مهمات المتون)

(٣) عبد الرحمن بن محمد الصغير الاخضري عاش في القرن العاشر الهجري (مجموع مهمات المتون ص ٢٦٢ وص ٢٧٢) .

ثم يفصل الاقوال رحمه الله في حكم الاشتغال به في نفس المنظومة فيقول :

والخلف في جواز الاشتغال به على ثلاثة اقوال
فابن الصلاح والنواوى حرما وقال قوم ينبغي ان يعلما
والقولة المشهودة الصحيحة جوازه لكامل القريحة

والذي يهمنا في الموضوع ان المنطق من العلوم التي اشتغل بها المسلمون وكتبوا فيها التآليف الكثيرة المطولة فقد الف فيه ابن سينا[1] (منطق الشفا) كما الف فيه الارموي[2] كتاب بيان الحق ، ومطالع الانوار والمناهج .

وغيرها من الكتب الكثيرة والشروح وكان للمنطق اثر بليغ في العلوم الاسلامية جميعا فقد نظمت اغلب العلوم بعد دخول المنطق الفكر الاسلامي تنظيما منطقيا بديعا ووصلوا الى مستويات من الصعب الوصول اليها فضلا عن تخطيها من قبل اي حضارة اخرى فالعلوم الاسلامية والكتب الاسلامية تدل على منهجية في تأليفها وموضوعية في بحثها يجعل القارىء امام مناهج بحث عالية في مستواها .

فاصبحت العلوم الاسلامية مادتها القرآن والسنة وافكار المسلمين ومنهجها المنطق وقد سبقت الحضارات السابقة بمادتها وغزارة موضوعاتها واستفادتها من المنطق الاستفادة العملية الملموسة .

على كل حال ظهر المنطق في التفكير الاسلامي في البوادر الاولى للترجمة حيث ترجمت في اخر ايام الامويين واول ايام العباسيين كتب المنطق اليوناني ولكنها نضجت بعد حين حيث تجد اثر المنطق في اغلب العلوم الاسلامية في القرنين الثالث والرابع .

والمنطق هو بمثابة حروف الهجاء للفلسفة او الحكمة او العلم الالهي حيث ان المنطق يسوق الانسان الى التفكير الحر السليم والفلسفة هي : (علم يبحث فيه عن

---

(١) ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور ولد سنة ٣٧٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ (مفتاح السعادة) .

(٢) محمود بن ابي بكر احمد الارموى الشيخ سراج الدين ابو التقاء ولد سنة ٥٩٤ هـ وتوفي سنة ٦٨٢ هـ .

الموجـودات من حيث هي موجـودات)[1] او (انهـا العلـم بالموجــودات بمــا هي موجودة)[2] وهذا تعريف الفارابي .

فهي محاولة لتكوين فكرة عن العلم والانسان والعلاقة المتبادلة بينهما وللكشف عن القوانين الكلية التي تسيطر على الطبيعة سيطرتها على الفرد والمجتمع)[3] .

ولما كان المنطق هو ميزان العلوم او هو الميزان الذي يزن فيه الفكر الاستنبـاط والاستدلال والبرهان او هو الذي يتعرف به على الطريقة السليمة للتفكير فانه يقود الى التفـكير الحـر والاستنبـاط السـليم من الظواهـر الـطبيعية والاقيسـة الفـكرية والمسلمات العقلية وهذه هي الفلسفة او التفلسف حيث انه بطريقة التفكير السليم يستطيع الوصول الى اكتشاف العلاقة الحقيقية بين الانسان والموجودات وصانعهما .

ولا بد للدارس للفلسفة من اتقان المنطق اتقانا جيدا ولكن لا يعني هذا ان دراسة المنطق لا تجدي الا في دراسة الفلسفة .

فكما ذكرت ادت دراسة المنطق ومناهج البحث المنطقية الى تنظيم العلوم تنظيما جيدا سليما مشوقا ولذا فقد اثر عن الغزالي انه قال : من لا علم له بالمنطق لا يوثق بعلمه .

والكلمة وان كان فيها بعض المقالات ولكن من الواضح ان دارس المنطق اقدر على التأليف والكتابة المجدية النافعـة وايصـال المعلومـات التـي يريدهـا من غـير الدارس .

وقد حرم كثير من العلماء الاشتغال في الفلسفة واغلبهم على حضرها عن العامة وعدم تدريسها او جدوى دراستها الا للعلماء وكما ذكرنا في شرعية المنطق جوازها للعالم المتمكن المتمرس في علوم القرآن والسنة المطهرة ليستفيد منها ولا تضله كالذي لا يملك منها ما يغنيه عن التفلسف بعلوم اليونان والرومان وغيرها ممـا لا يجـدي المسلم ولا يوصله الى الطريق الحق .

وقد دافع عن شرعيتها الفلاسفة ومنهم ابن رشد حيث قال : (فنقول ان كان فعل الفلسفة ليس شيئا اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على

---

(١) مفتاح السعادة جـ ١ ص ٣١٣

(٢) الفلسفة في الاسلام ص ٤٤

(٣) دروس في الفلسفة . د . كمال جعفر ص ٨ .

الصانع اعني من جهة ما هي مصنوعات فان الموجودات انما تدل على الصانع بمعرفة صنعها وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم كانت المعرفة بالصانع اتم .

وكان الشرع قد ندب الى اعتبار الموجودات وحث على ذلك فبين ان ما يدل عليه هذا الاسم اما واجب بالشرع واما مندوب اليه[1] .

والذي دعا المسلمين او بعض علمائهم لتحريم المنطق والفلسفة هي ان المسلمين نظروا نظرة ارتياب وحذر لكل علم لم يكن مصدره القرآن والسنة ، هذا من جانب ومن الجانب الاخر ان الفلسفة نظرة مستقلة لا تنضبط بضابط النظرة الاسلامية للكون كما ان الفلاسفة اليونانيين يخالفون النظرة الاسلامية لواجب الوجود وصفاته سبحانه وتعالى وقد سلك اكثر الذين تفلسفوا من المسلمين نفس سلوك الفلاسفة اليونان واعتبر الفلاسفة في الاسلام المعلم الاول ارسطو ولهذه الاسباب حرم الاشتغال بالفلسفة بعض علماء المسلمين والذين اجازوه شرطوا لمن يشتغل به من المسلمين ان يكون صافي الذهن لا يخاف عليه الضلال وان يكون متمكنا من فهم الكتاب والسنة .

ولا ينكر ان الاشتغال بالفلسفة اضل بعض علماء المسلمين الذين كان لهم مكانا عاليا بين علماء المسلمين كالراوندي . ولا يخلو بقية المشتغلين بالفلسفة من نظرات تخالف القرآن والسنة احيانا ، واهم الفلاسفة المسلمين :

ابن رشد :[2]

هو محمد بن احمد بن محمد بن رشد ابو الوليد ولد في بيت علم ووجاهة ودين سنة ٥٢٠ في قرطبة في الاندلس .

كان ابوه من قضاة الاندلس وكان جده كذلك ولقد تولى هو القضاء في قرطبة واستقل بقضاء اشبيلية فترة من الزمن . اضطهد في حياته من قبل المنصور الخليفة وقضى اخر ايام عمره في مراكش وتوفي فيها سنة ٥٩٥ هـ .

من ابرز الفلاسفة في الاسلام وصاحب مذهب جديد في الفلسفة بالنسبة للفلاسفة في الاسلام . لان الفلاسفة الذين سبقوه نهجوا نفس منهج ارسطو عدى الغزالي فانه قال بكثير مما يخالفها ويخالف جميع الفلاسفة .

---

(١) فصل المقال ص ٢٢

(٢) تاريخ فلاسفة الاسلام ص ١١٤ .

ولكن ابن رشد والفلاسفة في الاسلام اضافوا الى فلسفة ارسطو قولهم بالمذهب (الاليثاقي) اي ان العالم ينبثق عن العقل الاول . وعدم حلول العقل الاول بصورة لانه يجب عليه ادراك الصور جميعا .

١ ـ بعض تفسيرات الفلاسفة لمفاهيم قرآنية ونصوص

تكلم الفلاسفة في جميع المناهج القرآنية وفسروا ايات عرضت لهم تصف هذه المفاهيم او تتكلم عنها ولمن لم يكن تفسيرهم للايات تفسيرا منهجيا مقصودا لذاته بل تعرضوا لما يدور حوله النص فقط او نصوص كثيرة ، فمثلا تكلم عن الله سبحانه وتعالى وعن ذاته وصفاته وتكلموا عن الرسالة وعن اليوم الاخر اي البعث والعذاب والجزاء او الثواب .

لم يقصدوا في كلامهم ايات معينة او نصوص قرآنية مشار اليها ولكنهم تكلموا عن هذه الامور وقد تكلم القرآن عنها كثيرا ، او بعبارة اخرى هي محور حديث القرآن في اصول الايمان والاركان التي يقوم عليها الاسلام .

قد تتفق وجهة نظر الفلاسفة في بعض الاحيان مع حقيقة الدين وقد تحد الفلسفة حلا لما اشكل في اذهان المسلمين لبعض هذه المفاهيم . وغالبا ما تشرق بهم وتقرب حتى يتيه الفكر فيما ظن ان عندهم به الهداية .

يذكر ابن رشد في مناهج الادلة اغلب هذه المفاهيم ، اكتفي بذكر شيء منها .

فقد تكلم عن الجهة وهل يجوز تعيين الجهة التي فيها الباري سبحانه وتعالى قال : ﴿ واما هذه الصفة فلم يزل اهل الشريعة من اول الامر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة وثم تبعهم على نفيها متاخروا الاشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله وظواهر الشرع كلها تقتضي اثبات الجهة مثل قوله تعالى ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾[١] ومثل قوله : ﴿ يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ﴾[٢].

ومثل قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح اليه ﴾ [٣] ومثل قوله تعالى: ﴿ أأمنتم

---

(١) آية (١٧) الحاقة

(٢) آية (٥) السجدة

(٣) آية (٤) المعارج

من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور﴾[1] الى غير ذلك من الايام التي ان سلط عليها التأويل عاد الشرع كله مسؤولا وان قيل فيها انها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابها ، لان الشرائع كلها مبنية على ان الله في السماء وان منه تنزل الملائكة بالوحي الى النبيين وان من السماء نزلت الكتب واليها كان الاسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى وجميع الحكماء قد اتفقوا ان الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك .

والشبهة التي قادت نفاة الجهة الى نفيها هي انهم اعتقدوا ان اثبات الجهة يوجب اثبات المكان واثبات المكان يوجب اثبات الجسمية ونحن نقول ان هذا كله غير لازم فان الجهة غير المكان وذلك ان الجهة هي : اما سطوح الجسم نفسه المحيطة به وهي ستة وبهذا نقول ان للحيوان فوق واسفل ويمينا وشمالا وامام وخلف واما سطوح جسم اخر محيط بالجسم ذي الجهات الست فاما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم نفسه اصلا . اما سطوح الاجسام المحيطة به فهي له مكان مثل سطوح الهواء المحيطة بالانسان وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء هي ايضا مكان للهواء . وهكذا الافلاك بعضها محيطة ببعض ومكان له . واما سطح الفلك الخارجي فقد تبرهن انه ليس خارجه جسم لانه لو كان كذلك لوجب ان يكون خارج هذا الجسم جسم اخر ويمر الامر الى غير نهاية . فاذا سطح اخر اجسام العالم ليس مكانا اصلا اذ ليس يمكن ان يوجد فيه جسم ، لان كل ما هو مكان يمكن ان يوجد فيه جسم . فاذا قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة فواجب ان يكون غير جسم . فالذي يمتنع وجوده هنالك عكس ما ظنه القوم وهو موجود هو جسم لا موجود ليس بجسم .

وليس لهم ان يقولوا : ان خارج العالم خلاء . وذلك ان الخلاء قد تبين في العلوم النظرية امتناعه لان ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيئا اكثر من ابعاد ليس فيها جسم ، اعني طولا وعرضا وعمقا ، لانه ان رفعت الابعاد عنه عاد عدما . او ان كان الخلاء موجودا لزم ان تكون اعراض موجودة في غير جسم وذلك ان الابعاد هي اعراض من باب الكمية ولابد . ولكنه قيل في الاراء السالفة القديمة والشرائع

---

(١) آية (١٦) تبارك

الغابرة ان ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين يريدون الله والملائكة . وذلك ان ذلك الموضع ليس هو بمكان ولا يحويه زمان : وذلك ان كل ما يحويه الزمان والمكان فاسد . فقد يلزم ان يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن وقد تبين هذا المعنى مما اقوله[1] .

وجاء في اثبات النبوة والرسالة في الالهيات لابن سينا : (ونقول الان : انه من المعلوم ان الانسان يفارق سائر الحيوانات بانه لا يحسن معيشته لو انفرد وحده شخصاً واحدا يتولى تدبير امره من غير شريك يعاونه على ضرورات حاجاته وانه لا بد من ان يكون الانسان مكتفيا باخر من نوع يكون ذلك الاخر ايضا مكتفيا به وبنظيره فيكون مثلا هذا يبقل لذلك ، وذاك يخبز لهذا وهذا يخيط لاخر والاخر يتخذ الابرة لهذا حتى اذا اجتمعوا كان امرهم مكفيا ولولا هذا . اما اضطروا الى عقد المدن والاجتماعات فمن كان منهم غير محتاط في عقد مدينته على شرائط المدينة وقد وقع منه ومن شركائه الاقتصار على اجتماع فقط فانه يتحيل على جنس بعيد الشبه من الناس وعادم لكمالات الناس ومع ذلك فلا بد في وجود الانسان وبقائه من مشاركته ولا تتم المشاركة الا بمعاملة كما لا بد في ذلك من سائر الاسباب التي تكون له ولا بد في المعاملة من سنة وعدل ولا بد للسنة والعدل من مسان ومعدل ولا بد من ان يكون هذا بحيث يجوز ان يخاطب الناس ويلزمهم السنة ولا بد من ان يكون هذا انسانا ولا يجوز ان يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ما له عدلا وما عليه ظلما ، فالحاجة الى هذا الانسان في ان يبقى نوع الانسان ويتحصل وجوده اشد من الحاجة الى انبات الشعر على الحاجبين وتقعير الاخمص من القدمين واشياء اخرى من المنافع التي لا ضرورة فيها في البقاء ، بل اكثر ما لها انها تقع في البقاء ووجود الانسان الصالح لان يسن ويعدل ممكن كما سلف منا ذكره فلا يجوز ان تكون العناية الاولى تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هذه التي هي اسسها ولا ان يكون المبدأ الاول والملائكة بعده يعلم ذلك ولا يعلم هذا ، ولا ان يكون ما يعلمه في نظام الخير الممكن وجوده الضروري حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد[2] .

هـذه بعض التفاسير الفلسفية او بعض تفاسير الفلاسفة لبعض المفاهيم

(١) الشفاء (الالهيات (٢) ص ٤٤٢ .
(٢) مناهج الادلة في عقائد الملة ص ١٧٩ .

القـرآنية ، نجـد فيهـا اسلوبـا مغـايرا لاسلـوب الفقهـاء وعلماء السنـة . فانهـم، يستخدمون المنطق والقواعد الفلسفية لاثبات ما تحصل عندهم بأنه حقائق ثم انهم لم يتقيدوا بظاهر النصوص ولا تأويلها القريب ولا البعيد في اثبات حقائقهم .

ولكنهم حينما يجدون نصا في القرآن الكريم يتفق مع شرحهم استدلوا به عند محاجتهم لمخالفيهم او عند اثبات اباطيلهم وقد ضل كثير من المسلمين بالاشتغال بهذا العلم وخرجوا على الجادة ومن جراء الاشتغال بهذا العلم انقسم المسلمون الى فرق كلامية بقي قسم منها على الطريق المستقيم وضـل اكثرها وسوف تدرس اوسعهـا انتشارا واكثرها تأثيرا في المجتمع الاسلامي والثقافة الاسـلامية مع اهـل الطـريق المستقيم الذين هم اهل السنة والجماعة ان شاء الله .

وهذه الفرقة هي فرقة المعتزلة . . والحقيقة ان المعتزلة لم تكن كل افكارهـم باطلـة ولـكن تعنتهـم ومصادمتهـم لمخالفيهـم هو الباطـل اضف الى ان قسما من افكارهم باطل ايضا كما سنرى ان شاء الله في الفصل التالي .

نشأة علم الكلام في التفكير الاسلامي :

بعد ان غزت الافكار اليونانية العالم الاسلامي واتقنها المثقفـون في المجتمـع واصبحت من الظواهر العلمية الواضحة ، كان لا بد للعلماء المسلمين من امتشاق اقوى الاسلحة فتكا للدفاع عن عقيدتهم ضد هذا التيار الجارف والاسلام كما هو معلوم لم يحارب التفكير ولا حرية الاستنتاج وانما دعى للتدبر والاجتهاد في ظواهر الكون فما على المسلمين اذن الا اتقان هذا النوع من العلـم حتى يأخذوا العدو من الجهة التي جاء منها .

فاتقنوا المنطق والفلسفة اتقانا فاق اليونان حتى ان قسما من الفلاسفة المسلمين عدلوا نظرية ارسطو عن نشوء الكون والايجاد وقالوا بنظرية (الانبثاق) وعدلوا غير هذا كثيرا من وجهات نظر اليونـانيين في واجـب الوجـود والـكل الـذي لا يتجـزأ وهكذا .

ولكن الخوض في المنطق والفلسفة لا يكفي في الدفاع عن الاسلام لان الفلاسفة المسلمين لم يلبثوا ان انغمسوا في الفلسفة والمنطق واخذوا يطلبوها لذاتها . فكان لا بد من جعل العقيدة الاسلامية واركانها وقواعدهـا هي الاصـل في البحـث وهـي موضوعة ، فكان نتيجة ذلك (علم الكلام) .

فعلم الكلام : كما عرفه اغلب الفلاسفة والمتكلمين هو : (علم يقتدر معه على اثبات الحقائق الدينية بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها)[1] .

فهو بعبارة اخرى صياغة اسس العقيدة الاسلامية صياغة منطقية وفلسفتها فلسفة عقلية .

اذ لما كانت الفلسفة هي النظرة الحرة للكون والحياة والانسان والعلاقة بينهما او هي النظر للموجودات من حيث هي موجودات ومحاولة ايجاد علاقة بينها . قام علم الكلام على اساس ربط الموجودات بعضها ببعض بالروابط التي اشار اليها الشرع ووفق وجهة نظر القرآن والسنة في علاقة اجزاء الكون فيما بينها فالفلسفة توصلت بنتيجة الاستقراء الى وجود الله ولكنها عجزت عن التوصل بالعقل الى كثير من صفاته لانها مما لا يمكن التوصل اليها الا توقيفا فجاء علم الكلام ولديه علم من القرآن والسنة بوجود الله وصفاته واليوم الاخر والرسل والملائكة فصاغ هذه الحقائق صياغة منطقية وفق الاقيسة التي يستعملها الفلاسفة ثم ساق البراهين على صحة النظرة الاسلامية الموحاة من قبل الله بواسطة الرسول ﷺ للموجود الاعظم وهو الله سبحانه وتعالى والرسول واليوم الاخر ثم صفات الله سبحانه وتعالى وذاته .

لم يجد المتكلمون المسلمون صعوبة في صياغة هذه المبادىء وهذه الحقائق صياغة منطقية وعقلية لان الاسلام هو دين العقل والفطرة السليمة واهم مميزاته هو قبول العقل السليم لحقائقه ثم ان الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يجعل معجزة الاسلام حسية تذهب بذهاب وقتها بل جعلها معجزة عقلية تعيش مع الناس الى يوم لقائهم مع الله سبحانه وتعالى . فالقرآن الكريم هو الذي يدعو للتفكير والاعتبار وهو الذي يكون النظرة الفلسفية الصحيحة عند الانسان .

نشأ علم الكلام مع دخول اول طلائع الفلسفة اليونانية واول علاماتها حيث ان دخول المنطق والفلسفة اليونانيين احدث بين المسلمين تساؤلا عن امور دينهم او حتى في جواز الاشتغال بها وعدمه ثم كان قسم من النصارى في الشام يسأل المسلمين بعض الاسئلة الفلسفية ويحاجوهم فلم ير المسلمون بدا من تعلم الالة التي يحاجونهم بها .

---

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة جـ ٢ ص ١٥٠ .

فتعلموا المنطق كما اسلفنا وصاغوا عقيدتهم وفق أقيسته وبراهينه ونشأ من هذه المحاولة علم الكلام وانقسم المسلمون عند ظهور علم الكلام الى فرق كلامية وكان انقسامهم هو اختلاف في وجهات النظر التي كان يقصد اصحابها المختلفون خدمة الاسلام .

واول الفرق الاسلامية الكلامية نشوءا المعتزلة الذين خرجوا على اهل السنة والجماعة نتيجة كلامهم في الذات والصفات ثم تكونت فرقة المرجئة ثم خرج علماء من المعتزلة وبعض رجالها الذين عادوا الى اهل السنة والجماعة فصاغوا وجهة نظر اهل السنة صياغة فلسفية كلامية يحاججون المعتزلة على طريقتهم ولكن استنادهم على النقل والنصوص الشرعية اكثر من المعتزلة فكانوا اقوى من المعتزلة حجة حيث معهم عقل المعتزلة ونصوص القرآن والسنة التي يخالفها احيانا المعتزلة او يخالفون ظاهرها .

هؤلاء الذين خرجوا على المعتزلة هم الاشعرية والماتريدية ويتزعم الفرقتين كل من الاشعري والماتريدي .

ثم ان الشيعة ايضا صاغوا عقيدتهم وفق مقاييس علم الكلام وكان من المعتزلة كثير من الشيعة وكذلك فعل الخوارج فاصبحت فرق المسلمين خمسة هم اهل السنة والمرجئه ونافحهم بكتبه التي ذكرتها .

والفرق الاسلامية الكلامية التي اثرت في الفكر الاسلامي ولا تزال اثارها الى اليوم هي ثلاثة اهل السنة والمعتزلة والشيعة سأبدأ بأهل السنة لانهم الاصل الذي خرج عليه الغلاة وان كانت نظرتهم الفلسفية ظهرت متأخرة عن المعتزلة ولكن المعتزلة خرجوا عليهم وكل الفرق كذلك .

اهل السنة وتفاسيرهم ـ٢

فاهل السنة هم جمهور المسلمين وعقيدتهم هي عقيدة المسلمين من غير محسنات منطقية ولا دلائل فلسفية فهي عقيدة الاسلام خالية من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، وهي العقيدة التي عليها الصحابة الكرام والسلف الصالح لهذه الامة الذين لم يجادلوا في ايمانهم ولم يكثروا التساؤل عنها .

اما الصياغة الفلسفية لها والتي جاءت كرد فعل لما حدث في الامة الاسلامية من عقائد فقد مثل عقيدة اهل السنة فيه الماتريدية والاشاعرة وسنبدأ الكلام عن الفرق الكلامية بالكلام عن هؤلاء مع انهم كما ذكرت بعد المعتزلة من ناحية الظهور التاريخي .

الماتريدية والاشاعرة (اهل السنة) :

ينسب المذهب الى اثنين من اساطين علم الكلام والحقيقة انهما فرقتان ولكنهما يتفقان في فلسفة مبادىء اهل السنة فلسفة عقلية .

فاما الفرقة الاولى فهي الماتريدية ونسبتها الى :

ابي منصور محمد بن محمود الماتريدي[1] : امام من ائمة اهل السنة برع في علم الكلام والف فيه التصانيف القيمة منها كتاب التوحيد وكتاب الغالات وكتاب تأويلات القرآن وكتاب مآخذ الشرائع في اصول الفقه وكتاب الجدل في اصول الفقه . وهو حنفي المذهب من الناحية الفقهية توفي في سمرقند سنة ٣٣٣ هـ رحمه الله .

جاهد في الذب عن عقائد اهل السنة وكان يعتمد على العقل والنقل كثيرا واعتماد فرقته على العقل اكثر من الاشاعرة .

كون فرقة الماتريدية التي تنسب له وهي فرقة كلامية حاجج هو واتباعه المعتزلة والروافض وامنحهم بكتبه التي ذكرتها .

واما الفرقة الثانية فنسبتها الى :

ابي الحسن علي بن اسماعيل بن ابي بشر اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي برد ، عامر بن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري[2] امام اهل السنة شافعي المذهب انتمى الى فرقة المعتزلة حينا من عمره

---

(١) مفتاح السعادة الجزء ٢ ص ١٥٢

(٢) مفتاح السعادة الجزء ٢ ص ١٥٢ ومقدمة مقالات الاسلامين ص ٣ ط

ولكنه رأى ان اصلح العقائد هي عقيدة السلف فانبرى يدافع عنها ويذب عنها شبه المعتزلة بادلتهم وبنافحهم ببراهينهم وطريقتهم له التآليف الكثيرة اهمها مقالات الاسلاميين والابانة في اصول الديانة . توفي سنة ٣٣٠ هـ رحمه الله وكان اكثر اعتمادا على النقل في حجاجه من الماتريدي وكان لفرقة الاشاعرة شأن كبير في فرق الكلام .

هاتان الفرقتان هما عبارة عن فرقة اهل السنة والجماعة الكلامية والماتريدي والاشعري هما مؤسسا هاتين الفرقتين او مؤسسة فرقة اهل السنة والجماعة الكلامية .

اسس عقيدتهم :

قد ذكرنا في اول الباب اصول عقيدة اهل السنة بصورة عامة ونذكرها الان على انها رأى فرقة كلامية لها صدى في التفسير حيث ان كثيرا من المفسرين التزموا هذه النظرة على تفاوت فيما بينهم في تفسير قسم من الاركان التي تقوم عليها عقيدة اهل السنة .

فقد عدد البغدادي اركان عقيدة اهل السنة فقال : (قد اتفق جمهور اهل السنة والجماعة على اصول اركان الدين كل ركن فيها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته . ولكل ركن منها شعب وفي شعبها مسائل اتفق اهل السنة فيها على قول واحد وضللوا من خالفهم فيها واول الاركان التي رأوها من اصول الدين اثبات الحقائق والعلوم على الخصوص والعموم .

والركن الثاني : هو العلم بحدوث العالم في اقسامه من اعراضه واجسامه .
والركن الثالث : في معرفة صانع العالم وصفات ذاته .
والركن الرابع : في معرفة صفاته الازلية .
والركن الخامس : في معرفة اسمائه واوصافه .
والركن السادس: في معرفة عدله وحكمته .
والركن السابع : في معرفة رسله وانبيائه .
والركن الثامن : في معرفة معجزات الانبياء وكرامات الاولياء .
والركن التاسع : في معرفة ما اجمعت عليه الامة من اركان الاسلام .
والركن العاشر : في معرفة احكام الامر والنهي والتكليف .
والركن الحادي عشر : في معرفة فناء العباد واحكامهم في المعاد .

والركن الثاني عشر : في معرفة الخلافة والامامة وشروط الزعامة .
والركن الثالث عشر : في احكام الايمان والاسلام في الجملة .
والركن الرابع عشر : في معرفة احكام الاولياء ومراتب الائمة الاتقياء .
والركن الخامس عشر : في معرفة احكام الاعداء من الكفرة واهل الاهواء .

فهذه اصول اتفق اهل السنة على قواعدها وضللوا من خالفهم فيها . وفي كل ركن منها مسائل اصول ومسائل فروع وهم يجمعون على اصولها وربما اختلفوا في بعض فروعها اختلافا لا يوجب تضليلا ولا تنسيقا[1] .

ثم فصل البغدادي ماذا يعني كل ركن من الاركان وبرهن على صحة وجهة نظر اهل السنة في نظرتهم لكل ركن واورد براهينهم وذكر من خالفهم في كل ركن من الاركان .

وذكر الشهرستاني رأي الاشعري بخاصه واصحابه عند خلافهم له في تفسير بعض الاركان فقال : (قال ابو الحسن الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر قال وهذه صفات ازلية قائمة بذاته لا يقال هي هو ولا غيره ولا لا هو ولا لا غير والدليل على انه متكلم بكلام قديم ومريد بارادة قديمة قال قام الدليل على انه تعالى ملك والملك من له الامر والنهي فهو آمر ناه فلا يخلو اما ان يكون آمر بامر قديم او بامر محدث فان كان محدثا فلا يخلو اما ان يحدثه في ذاته او في محل والذي في محل يستحيل ان يحدثه في ذاته لانه يؤدي الى ان يكون محلا للحوادث وذلك محال ويستحيل ان يكون في محل لانه يوجب ان يكون المحل به موصوفا ويستحيل ان يحدثه لا في محل لان ذلك غير معقول متعين انه قديم قائم به . . والواجبات كلها سمعية والعقل ليس يوجب شيئا ولا يقتضي تحسينا وتقبيحا فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل وبالسمع تجب قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[2] وكذلك شكر المنعم واثابة المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل ، لا يجب على الله تعالى شيء ما بالعقل لا الصلاح ولا الاصلاح[3] .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣١٠ .
(٢) الاسراء : آية ١٥
(٣) الملل والنحل جـ ١ ص ١٤١ و ص ١٥٥

هذه الاركان التي تقرر ذات الله وصفاته ولاهل السنة فيها مذهب خاص ظهرت في تفسير القرآن واكثر التفاسير استعمالا لعلم الكلام في تبني مذهب اهل السنة والدفاع عنه هو تفسير الامام فخر الدين الرازي ونرى تعرضه لبعض هذه الاركان او فروعها وتناولها .

من المسائل التي كثر الجدل حولها بين اهل السنة والمعتزلة هي مسألة خلق افعال العباد فقال الرازي فيها في تفسير قوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب ﴾[1] اعلم انه تعالى لما ذكر في الاية المتقدمة ان الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء وان الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نسبه على ان الامر الذي لاجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو ان وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان ترجحة الشهوة والنفس من حيث انهما يأمران بتحصيل اللذة الحافزة واتباع احكام الخيال والوهم ولا شك ان حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل وحكم الحس والشهوة والنفس يوقعان الانسان في البلاء والمحنة فكان حكم الحكمة والعقل اولى بالقبول فهذا هو الاشارة الى وحيه النظم بقي في الاية مسائل المسألة الاولى : المراد بالحكمة اما العلم واما فعل الصواب يروى عن مقاتل انه قال تفسير الحكمة في القرآن على اربعة اوجه احدها مواعظ القرآن . . . وثانيها الحكمة بمعنى الفهم . . . وثالثها الحكمة بمعنى النبوة . . . ورابعها القرآن بما فيه من عجائب الاسرار . . . واما الحكمة بمعنى فعل الصواب فقيل في حدها انها التخلق باخلاق الله بقدر الطاقة البشرية . . . المسألة الثانية : احتج اصحابنا بهذه الاية على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى وذلك لان الحكمة ان فسرناها بالعلم لم تكن مفسرة بالعلوم الضرورية لانها حاصلة للبهائم والمجانين والاطفال وهذه الاشياء لا توصف بانها حجم فهي مفسرة بالعلوم النظرية . وان فسرناها بالافعال الحسية فالامر ظاهر وعلى التقديرين فيلزم ان يكون حصول العلوم النظرية والافعال الحسية ثابتا من غيرهم وبتقدير مقدر غيرهم وذلك الغير ليس الا الله تعالى بالاتفاق[2] .

ومن المسائل التي كثر الجدل حولها ايضا واختلف فيها اهل السنة والمعتزلة

---

(١) الاية

(٢) مفاتيح الغيب جـ ٢ ص ٣٤٢ .

وكذلك اهل السنة فيما بينهم مسألة الجهة وهل الله موجود في جهة واين هي واذا لم يكن في جهة فاين يكون يجيب الرازي حسب وجهة نظر اهل السنة ووجهة نظره هو بقوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير ﴾[1] قال (المشبهة استدلوا بهذه الاية على انه تعالى موجود في الجهة التي فوق العالم وهو مردود يدل عليه وجوه (الأول) انه لو كان موجودا فوق العالم لكان اما ان يكون في الصغر بحيث لا يتميز جانب منه من جانب واما ان يكون ذاهبا في الانظار متمددا في الجهات والاول يقتضي ان يكون الصغر والحفارة كالجوهر الفرد فلو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يكون اله العالم بعض الذرات المخلوطة بالهيآت الواقعة في كوة البيت وذلك لا يقوله عاقل وان كان الثاني متعضا متجزئا وذلك على الله محال (والثاني) اما ان يكون غير متناه من كل الجوانب فيلزمَ كون ذاته مخالطا للقاذورات وهو باطل او يكون متناهيا من كل الجهات وحينئذ يصح عليه الزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بمقداره المعين لتخصيص مخصص فيكون محدثا او يكون متناهيا من بعض الجوانب دون البعض فيكون الجانب الموصوف بكونه متناهيا غير الجانب الموصوف بكونه غير متناه وذلك يوجب القسمة والتجزئة (والثالث) اما ان يفسر المكان بالسطح الحاوي او بالبعد والخلاء فان كان الاول فنقول اجسام العالم متناهية فخارج العالم لا خلال ولا مكان ولا حيث ولا جهة فيمتنع حصول ذات الله تعالى فيه وان كان الثاني فنقول الخلاء متساوي الاجزاء في حقيقته ولو كان كذلك لكان حصوله فيه بتخصيص مخصص وكل ما كان واقعا بالفاعل المختار فهو محدث فحصول ذاته في الجزء محدث وذاته لاتنقل عن ذلك الحصول وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث فيلزم كون ذاته محدثه وهو محال[2] .

---

(١) سورة الانعام اية

(٢) مفاتيح الغيب ـ جـ٤ ص ١٩ ـ ٢٠

التفسير الكبير
للفخر الرازي

المؤلف :

ومؤلفه هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الاصل الرازي المولد المعروف بابن خطيب الري الامام فخر الدين الرازي[1] الفقيه الشافعي .

ولد بالري سنة (٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م) في اسرة اشتهرت بالعلم والفضل ونشأ اول امره فقيرا ثم واصل مثابرته ودأبه ، فطلب العلم وصبر حتى فتحت عليه ابواب العلم والرزق وقصد من اطراف الارض ، وكان كثير المناظرات مع المعتزلة وكان كثير الازراء على الكرامية فقيل انهم وضعوا عليه من سقاه سماً فمات (سنة ٦٠٦ هـ - ١٢١١ م) بهراة . ترك عددا كبيرا من المؤلفات .

تفسير الفخر الرازي

تفسير الفخر الرازي واسمه (مفاتيح الغيب في تفسير القرآن) او (التفسير الكبير) احد التفاسير الضخمة للقرآن الكريم وفق معتقدات اهل السنة والجماعة ، طبع طبعات آخرها بالمطبعة البهية ١٣٥٣ - ١٣٥٧ هـ ١٩٣٤ - ١٩٣٨ م وعليها احالاتنا

---

(١) انظر ترجمته في : وفيات الاعيان : ٤/ ٢٤٨ - ٢٥٢ رقم ٦٠٠ ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين : ٦٨ ، الوافي بالوفيات : ٤/ ٢٤٨ - ٢٥٩ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٣٩ رقم ١١٩، طبقات المفسرين للداوودي : ٢/ ٢١٣ - ٢١٧ رقم ٥٥٠ ، طبقات ابن السبكي : ٨/ ٨١ - ٩٦ رقم ١٠٨٩ ، طبقات الاسنوي :/ ٢٦٠ - ٢٦١ ، رقم ٨٧٤ ، د . محسن عبد الحميد : الرازي مفسرا (بغداد ١٩٧٤) ، خليف : فخر الدين الرازي (دار المعارف ١٩٦٩) ، د . ماهر مهدي هلال : الرازي بلاغيا (بغداد ١٩٧٧) .

وقد وقعت في اثنين وثلاثين جزءا . وقد اختلفوا في كونه اكمله او لا ، والراجح انه اكمله هو بنفسه .

منهج الفخر الرازي في تفسيره :

١ ـ يتميز تفسير الفخر الرازي عن غيره من التفاسير بأنه تفسير مبسوط يجد فيه طالب العلم ابحاثا مستفيضة عن كل جزئية من جزئيات الايات ، بل احيانا قد يفيض في بحثه حول حرف من الحروف ما يملأ الصفحات العديدة ، ويفرع عليه المسائل المتعددة عقلية كانت او نقلية ، فهو لا يدع أمرا يتصل بالنص الا ذكره : كأسباب النزول مثلا ، ومناسبة السورة لما قبلها ، او الآية لما قبلها ، والاحكام الفقهية واللغة والاعراب ، والبلاغة والتأريخ ، والمسائل العقلية المتعلقة بالنص والادلة التي يستدل بها في الموضوع ومناقشة الادلة .

٢ ـ ولما كان الفخر الرازي من اهل السنة والجماعة وقد وجد أن الفرق الاخرى اخذت تغلو في مذاهبها ، وتعزز افكارها بما كانت تضع من مفاهيم جديدة في فهم الايات والاعتماد في ذلك على المنطق والجدل ، وما حققته من الانتشار في ربوع البلاد المشرقية التي تجول فيها ورأى خطورة تغلغلها عن طريق ذلك الجدل والادلة الفلسفية التي اصطبغت بها تفاسير اصحاب تلك الفرق ، رأى انه لا بد لمن يريد أن يخوض غمار التفسير في هذا العصر ـ عصر الفتن والاضطرابات الفكرية والعسكرية ان يتسلح بسلاحهم ويعتد بعدتهم ليقرع الحجة بالحجة ويدفع البرهان بالبرهان . وتم له ذلك فعلا ، فانت تجده في هذا التفسير مطلعا اطلاعا تاما على آراء الفلاسفة الاسلاميين وغيرهم وآراء الفرق الاخرى كالمعتزلة والكرامية والخوارج والرافضة وطوائف عديدة منهم[1] ، فيأخذ ببيان مذاهبهم في المسألة التي يبحثها عند الاية المناسبة لها مستقصيا جميع ادلتهم ، ثم يبدأ بتفنيدها شيئا فشيئا ، حتى انه لفرط استقصائه في ادلتهم وجه اليه حاسدوه والناقمون عليه كثيرا من الاباطيل ، وعزوا اليه كثيرا من التهم ، قال ابو شامة المقدسي :

---

(١) ذكر ابن السبكي اسماء كثير منها في الطبقات الكبرى : ٨ ـ ٨٢ ـ ٨٥ .

« كان يقرر في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم وشبههم بأتم عبارة فاذا جاء الى الاجوبة اقنع بالاشارة »[1] .

قال ابن حجر : « وكان يعاب بايراد الشبه الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة : يورد الشبه نقدا ويحلها نسيئة وقد ذكره ابن دحية بمدح وذم »[2] .

وقال ايضا : « ورأيت في الاكسير في علم التفسير للنجم الطوفي ما ملخصه : ما رأيت في التفاسير اجمع لغالب علم التفسير من القرطبي ومن تفسير الامام فخر الدين الا أنه كثير العيوب . . . وينقل عن بعضهم ان الرازي كان يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء . . . »[3] .

٣ ـ وغرضه من ولوج هذه الموضوعات المعقدة وتعرضه لفتن الخصومة والجدال انما كان لغرض تقوية الدين وتوريث اليقين وازالة الشكوك والشبهات وابطال الجهالات والضلالات[4] .

فكان فيه مدافعا عن القرآن مبررا ما جاء فيه في ضوء القوانين العقلية وتأييد استدلالاته في العقيدة بها واجابة الطاغين والرد عليهم حتى لا يبقى شك عند احد في كونه من الله سبحانه وتعالى[5] .

٤ ـ وفضلا عن ذلك تراه يستطرد كثيرا الى موضوعات قريبة الصلة او بعيدة عن الموضوع فيعرج على المسائل الاصولية والنحوية والبلاغية والفلسفية وغير ذلك .

فمن الموضوعات التي هي قريبة الصلة بحثه الصوفي المستفيض عن الحسد حين فسر قوله تعالى : ﴿ ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم ﴾[6]

---

(١) ذيل الروضتين : ٦٨

(٢) لسان الميزان : ٤/ ٤٢٧

(٣) لسان الميزان : ٤/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(٤) تفسير الرازي : ١٧/ ١١٤ ، والرازي مفسرا : ٦٤

(٥) تفسير الرازي : ١٣/ ٤٦ ـ ٥٦ ، ١٦/ ٣٢ ، والرازي مفسرا : ٦٤

(٦) البقرة : ١٠٩

فقد تكلم عن الحسد وعن ذمة واتى بالاخبار الكثيرة على ذلك ، وحقيقته ومراتبه واسبابه السبعة وسبب كثرته ، وفي الدواء المزيل له ، والنفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود ثم حكمه . . . وغير ذلك[1] .
ومن الموضوعات البعيدة ما استطرد اليه في تفسير قوله تعالى : ﴿ واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما ﴾[2] فقد تطرق الى موضوع فلسفي يخص البحث في علم الله وهل يكون على سبيل التفصيل منذ الازل او عند وقوع الجزئيات[3] . . .

هذه الاستطرادات جعلته يوزع ذهن القارىء حتى عاب عليه ابو حيان النحوي حين قال فيه : انه جمع مختلف العلوم واطال في الكلام عليها والاستدلال لها مما اخرج الكتاب من علم التفسير[4] . وقد نقل عن ابن تيمية انه قال في تفسير الرازي : « فيه كل شيء الا التفسير »[5] وتلك مغالاة بلا شك حتى ان الصفدي حين رد على ذلك قال : « فيه كل شيء حتى التفسير »[6] .

٥ ـ وقد تغلب عليه النزعة العقلية في تعليله للاحكام الشرعية :

« قال في تفسيره قوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾[7] .

الحكمة في ان الله تعالى ذكر هذه الالفاظ الثلاثة لا ازيد ولا انقص ، وهو قوله : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ هي انه قد ثبت في العلوم العقلية ان الانسان فيه قوى اربعة : قوة شهوانية بهيمية ، وقوة غضبية سبعية ، وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية ، والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاثة ، اعني القوة الشهوانية والغضبية والوهمية ، فقوله ﴿ فلا رفث ﴾ اشارة الى قهر القوة الشهوانية ، وقوله : ﴿ ولا فسوق ﴾ اشارة الى قهر

---

(١) تفسير الرازي : ٣/ ٢٣٦ ـ ٢٤٥
(٢) البقرة : ١٢٤
(٣) تفسير الرازي : ٤/ ٣٦ ـ ٤٩
(٤) البحر المحيط : ١/ ٣٤١
(٥) الوافي بالوفيات : ٤ / ٢٥٤
(٦) الوافي بالوفيات : ٤/ ٢٥٤
(٧) البقرة : ١٩٧

القوة الغضبية التي توجب التمرد والغضب وقوله : ﴿ ولا جدال ﴾ اشارة الى قهر القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الجدال في ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه ، وهي الباعثة للانسان على منازعة الناس ومجاراتهم ، والمخاصمة معهم في كل شيء ، فلما كان منشأ الشر محصورا في هذه الامور الثلاثة لا جرم قال : ﴿ فلا رفث ولافسوق ولا جدال في الحج ﴾ فمن قصد معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله والانخراط في سلك الخواص من عبادة، فلا يكون فيه هذه الامور »[1] .

٦ ـ وهو غالبا ما يعرض عن الموضوعات التي ليست ذات فائدة ولا جدوى حتى ولو كانت قد وردت فيها اخبار آحاد: فحين فسر قوله ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾[2] وذكر الاختلاف في العصا هل كانت من الاس أو من غيره وطولها واوصافها قال : « واعلم ان السكوت عن امثال هذه المباحث واجب ، لانه ليس فيها نص متواتر قاطع ، ولا يتعلق بها عمل حتى يكتفي فيها بالظن المستفاد من اخبار الآحاد فالاولى تركها . . . »[3] وهكذا كان موقفه من صفات « الدابة » التي تعرض لتفسيرها في تفسير الاية : ﴿ واذا وقع عليهم القول اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾[4] فذكر ما نقل عن طولها واوصافها ثم قال : « ولا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الامور فان صح الخبر فيه عن الرسول (ص) قبل والالم يلتفت اليه . . »[5]

---

(١) تفسير الرازي : ٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣

(٢) البقرة : ٦٠

(٣) تفسير الرازي : ٣/ ٩٥

(٤) النمل : ٨٢

(٥) تفسير الرازي : ٢٤/ ١٧ ،والرازي مفسراً : ٨١

تفسير الماتريدي
المسمى بتأويلات أهل السنة

المؤلف :

مؤلفه هو محمد بن محمد بن محمود ابو منصور الماتريدي[1] امام الهدى السمرقندي .

ولد قبل سنة (٢٤٨ هـ - ٨٦٢ م) في محلة ماتريد من مدينة سمرقند ، واخذ في طلب العلوم الشرعية والعقلية فدرسها درسا عميقا متقنا حتى اصبح كما لقبوه امام المتكلمين ثم انصرف الى التدريس والتصنيف وكرس حياته لحماية الاسلام ونصرة عقيدة اهل السنة والجماعة ، ناظر المعتزلة كثيرا ، وكان له رأي وسط بينهم وبين الاشعرية في القول بحسن الافعال وقبحها ، فذهب الى ان لها حسنا وقبحاً في ذاتها وان الاحكام الشرعية تابعة لذلك الحسن او القبح ضرورة ان الشارع حكيم لا يوجب غير الحسن ولا يحرم غير القبيح ، وان الحكم لا يتعلق بافعال المكلفين قبل ورود الشرع ، وغير ذلك من المسائل حتى لقب بمصحح عقائد المسلمين .

توفي سنة (٣٣٣ هـ - ٩٤٤ م) وقبره بسمرقند . وترك عددا من المؤلفات النافعة .

تفسير الماتريدي :

تفسير الماتريدي المسمى عند اصحاب الطبقات والتراجم باسم (تأويلات

---

(١) انظر ترجمته في الجواهر المضية : ٢/ ١٣٠ - ١٣١ ، رقم ٣٩٧ ، ٢/ ٢٤٤ رقم ٦٦٧ ، الفوائد البهية : ١٩٥ ، تاج التراجم : ٥٩ رقم ١٧٣ ، طبقات الحنفية لعلي القاري (مخطوط مكتبة الاوقاف العامة ببغداد) الورقة ٤٧ ب ، الفتح المبين : ١/ ١٨٢ - ١٨٣ ، تاريخ الادب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) : ٤/ ٤١ - ٤٣ ، الاعلام : ٧/ ٢٤٢ ، معجم المؤلفين : ١١/ ٣٠٠ .

القرآن) وفي المطبوع باسم (تأويلات أهل السنة) وضعه مؤلفه على وفق عقائد اهل السنة والجماعة . وقد طبع جزؤه الاول في السلسلة التي يصدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة بتحقيق د . ابراهيم عوضين والسيد عوضين في مطابع الاهرام ١٣٩١ / ١٩٧٠ وهو تفسير جليل قال عنه القرشي : « وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لايدانيه شيء ، من تصانيف من سبقه في ذلك الفن »[١]

منهج ابي منصور الماتريدي في تفسيره :

١ ـ نقلوا عن ابي منصور الماتريدي أنه قال في التفريق بين التفسير والتأويل : « إنّ التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله انه عنى باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح والا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله . . . »[٢] .

فاذا اوضح ذلك علمنا علة تسمية الماتريدي لكتابه باسم (التأويلات) لأنه يسير في ذلك تبعا لرأيه في التأويل والتفسير .

٢ ـ وهو حين يورد الآية يتعرض للمعنى الاجمالي لها ويذكر التفسير المأثور دون ذكر سند في الغالب بل دون ذكر القائل له ، ثم يبين ما كان في هذه الاية من آراء للمتكلمين ، ويدحض آراءهم بالحجة ، ثم ينتصر لمذهبه الذي يتمشى مع اعتقادات أهل السنة والجماعة بادلته الساطعة من النقل والعقل ، وقد يورد اسباب النزول ، كل ذلك على وجه الايجاز .

٣ ـ ويكاد يكون غرض الكتاب منصباً على تصحيح الاعتقادات في المسائل التي يخوض فيها اصحاب الجدل من أهل الفرق على وفق عقيدته ومذهبه الذي ذكرناه ، ولهذا لم يلقب بلقب « مصحح عقائد المسلمين » ، الا لأنه قومها على وفق هذا الطريق .

فقد اكثر من التعرض لاراء الملل والنحل في المسائل التي تثيرها الآيات القرآنية والرد عليها :

---

(١) الجواهر المضية : ٢/ ١٣٠ ونقل هذه العبارة حاجي خليفة في كشف الظنون : ١/ ٣٣٦ وعلي القاري في طبقات الحنفية الورقة ٤٧ ب وابن الحنائي في طبقاته الورقة ١٧آ وكذا في طبقات الفقهاء المنسوب خطأ الى طاش كبرى زادة : ٥٦

(٢) مفتاح السعادة : ٢/ ٥٧٤ ، الاتقان في علوم القرآن : ٢/ ١٧٣ ، كشف الظنون : ١/ ٣٣٤

فقد رد على المعتزلة في هذا الجزء مثلا في بضع وعشرين مسألة[1] كما رد على الكرامية[2] ، والمجبرة[3] ، والجهمية[4] والمشبهة[5] ، والقـدرية[6] ، والمرجئـة[7] ، والمنجمة[8] ، والخوارج[9] والباطنية[10] .

فكان يناقش هؤلاء و« يستخلص المسائل الاعتقادية من الآيات بمهـارة فائقـة لاتكاد تصادفها في اي تفسير سبقه ، ولعل هذا هو ما اراده القرشي بقوله انه لا يوازيه فيه كتاب ولا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك العصر »[11]

٤ ـ وهـو ذو حافظـة غزيرة بمـا يستشهـد به من الايات المتـواردة على المعنـى الواحد ، والاحاديث ، (وان كان في بعض الاحيان يأتي بمعاني تلك الاحـاديث دون نصوصها) ، واقوال الائمة السابقين ، ويرى في القرآن والحديث مستغنى عما سواهما ، فاكتفى بهما ، ولم يستشهد بالابيات الشعرية كما يفعل غيره .

٥ ـ وهو في اثناء تفسيره يستنبط الاحكام الشرعية ويستخلص المسائل الفقهية من تلك النصوص مؤيدا بها مذهبه الفقهي وهو المذهب الحنفي :

قال في تفسير قوله تعالى :

﴿ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾[12]

قال : اي اختاروا الضلالة على المدعو اليه وهو الهدى من غير أن كان عندهم الهدى فتركوه بالضلالة .

---

(١) انظر رده على المعتزلة في تأويلات اهل السنة : ١/٢٢ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٠ .

(٢) تأويلات اهل السنة ١/٤٤

(٣) ١/٦٣ ، ١٠٠

(٤) ١/٧٦

(٥) ١/٨٣

(٦) ١/١٠٠

(٧) ١/١٠٠

(٨) ١/٩٥

(٩) ١/١١٦

(١٠) ١/٢٢٨

(١١) مقدمة تأويلات اهل السنة : ٢٧ ،وقد مر ذكر موضع كلام القرشي في الجواهر المضية

(١٢) البقرة : ١٦

وهو كقوله : « يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات»[1] من غير ان كانوا فيه ، فكذلك الاول تركوا الهدى بالضلالة .

وقيل الضلالة الهلاك اي اختاروا ما به يهلكون على ما به نجاتهم ، وان كانوا لا يقصدون شراء الهلاك بما به النجاة كقوله : ﴿ فما اصبرهم على النار ﴾[2] لا يقدر احد ان يصبر على النار ولكن فما اصبرهم على عمل يستوجبون به النار .

وكذلك قوله ﴿ بئسما اشتروا به انفسهم ﴾[3] اي بئسما اختاروا ما به هلاك انفسهم على ما به نجاتهم .

وفي هذه الاية دلالة جواز البيع بغير لفظة البيع ، لانهم ما كانوا يتلفظون باسم البيع ، ولكن كانوا يتركون الهدى بالضلالة وكل من ترك لاخر شيئا له ببدل يأخذه منه فهو بيع وان لم يتكلموا بكلام البيع .

وكذلك قوله : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم »[4] الآية وهو على بذل الاموال والانفس له بالوعود الذي وعد لهم وهو الجنة . . . [5]

وهو الى جانب ذلك يناقش مخالفيه فيوهن ادلتهم ، كالذي فعله في رده على الامام الشافعي[6] وغيره .

---

(١) البقرة : ٢٥٧

(٢) البقرة : ١٧٥

(٣) البقرة : ٩٠

(٤) التوبة : ١١

(٥) تأويلات اهل السنة ١/ ٥٢ ــ ٥٣

(٦) تأويلات اهل السنة ١/ ٢٠٨، ٢٦٢

المعتزلة وتفاسيرهم

عرضت في حلقة الحسن البصري رحمه الله مشكلة عقائدية شرعية اثارها الخوارج في تكفيرهم فاعل الكبيرة خلافا لبقية المسلمين الذين يرونه مسلما عاصيا يستحق العقاب كما يستحق المغفرة ولا يخلد بالنار .

فقام احد افاضل تلاميذ الحسن البصري ليعرض رأيا وسطا قائلا : انه لا يرى فاعل الكبيرة مسلما ولا كافرا وانما منزلة بين المنزلتين ، فاحتدم النقاش بينه وبين شيخه حتى ادى الى خروج التلميذ واصل بن عطاء معتزلا حلقة الحسن فتبعه تلميذ فاضل ايضا هو عمرو بن عبيد .

التف حول هذين التلميذين الفاضلين جماعة واخذا يلقيان عليهم الدروس في ناحية ثانية من المسجد اطلق المسلمون على هذه الجماعة اسم (فرقة المعتزلة) واصبحت فيما بعد لها قواعد ، واصول ، وطريقة متميزة في التفكير ومنهج خاص في تحليل المسائل الشرعية .

اهم ما تتميز به فرقة المعتزلة هو نظرتهم العقلية للنصوص الشرعية وتحكيمهم العقل في تفسير هذه النصوص الى اقصى الحدود .

انتشر المعتزلة في الامة الاسلامية وحملوا انفسهم عبء الدعوة الاسلامية ولاقوا نجاحا لا يستهان به في نشر الاسلام بين غير المسلمين ونشر مذهب الاعتزال بين المسلمين .

واهم عوامل نجاحهم هو انضمام افذاذ المفكرين والادباء والبلغاء الى صفوفهم في كل طبقة من طبقاتهم .

كما صادف اعتناق قسم من الخلفاء العباسيين فكرة المعتزلة وتحمسهم لها وحرصهم على نشرها في كل الطرق التي يستطيعونها .

اسس عقيدة المعتزلة :

اشتهر المعتزلة بالاصول الخمسة وهي : التوحيد والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . يجد ربنا شرحها من وجهة نظر المعتزلة انفسهم :

١ ـ التوحيد :

يريد المعتزلة من التوحيد هو نفي القدماء اي لا قديم مع الله ، واغلب كلام المعتزلة في التوحيد يدور حول افكار الصفات الازلية واعتبار الله سبحانه وتعالى لا يملك صفة خارجة عن ذاته فقالوا ان جميع الصفات هي هو اي ذاته .

قال القاضي عبد الجبار : (الكلام في كيفية استحقاقه تعالى لهذه الصفات ، والاصل في ذلك ، ان هذه المسألة خلاف بين اهل القبلة .

فعند شيخنا ابي علي انه تعالى يستحق هذه الصفات التي هي كونه قادرا عالما حيا موجودا لذاته .

وعند شيخنا ابي هاشم يستحقها لما هو عليه في ذاته .

وقال ابو الهذيل : انه تعالى عالم بعلم هو هو ، واراد به ما ذكره الشيخ ابو علي ، الا انه لم تتلخص له العبارة . الا نرى ان من يقول : ان الله تعالى عالم بعلم ، لا يقول : ان ذلك العلم هو ذاته تعالى .

وبعد ان ذكر اراء المعتزلة اخذ يذكر اراء المختلفين ثم يرد عليها .

وتحرير الدلالة على ما نقول في ذلك هو انه تعالى لو كان عالما بعلم لكان لا يخلو ، اما ان يكون معلوما او لا يكون معلوما . فان لم يكن معلوما لم يجز اثباته لان اثبات ما لا يعلم يفتح باب الجهات . وان كان معلوما فلا يخلو ، اما ان يكون قديما ، او محدثا ، والاقسام كلها باطلة ، فلم يبق الا ان يكون عالما لذاته على ما نقوله . . .

ثم انه رحمه الله عاد الى الكلام في انه تعالى لا يجوز ان يستحق هذه الصفات لمعان قديمة (الرد على عقيدة اهل السنة) .

والاصل في ذلك انه تعالى لو كان يستحق هذه الصفات لمعان قديمة وقد ثبت ان القديم انما يخالف مخالفة بكونه قديما ، وثبت ان الصفة التي تقع بها المخالفة عند الافتراق بها تقع المماثلة عند الاتفاق وذلك يوجب ان تكون هذه المعاني مثلا لله تعالى حتى اذا كان القديم تعالى عالما لذاته قادرا لذاته وجب في هذه المعاني مثله ولوجب ان يكون الله تعالى مثلا لهذه المعاني تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، لان الاشتراك في صفة من صفات الذات ، بل كان يجب ان يكون كل واحد مثلا لصاحبه وكان يلزمهم العلم بصفة الحياة والقدرة وغيرها حتى يقع الاستغناء بواحدة منها عن سائرها[1] .

ولو اعدنا النظر في كلام اهل السنة في اثبات بعض الصفات لله تعالى او اثبات الصفات بمعان قديمة لوجدنا حجتهم ابلغ من حجة المعتزلة التي يذكرها عبد الجبار ويحكيها عن اصاطينهم .

لانه ليس من الضروري ان تكون الصفات مماثلة للذات اذا كانت خارجة عنها بمعان قديمة قائمة بالذات وليست هي الذات .

٢ ـ العدل :

ووجهة نظر المعتزلة في هذه الصفة هي ان الله سبحانه وتعالى لا يجوز او لا يليق به ان يخلق افعال العباد ويعذبهم على قبيحها .

والعدل ان لا يريد لاحد من الناس الخير ولا يريد لغيره الشر ، فلا يهدي شخص فيدخله الجنة ويضل اخر فيدخله النار .

وتفصيل ذلك كما شرحه كبيرهم في زمانه قائلا :

(واما الاصل الثاني من الاصول الخمسة وهو الكلام في العدل وهو كلام يرجع الى افعال القديم تعالى جل وعز وما يجوز عليه وما لا يجوز فلذلك اوحينا تأخير الكلام في العدل على الكلام في التوحيد .

وقبل الاشتغال بالدلالة على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها ، نذكر حقيقة العدل .

---

(١) شرح الاصول الخمسة ـ القاضي عبد الجبار ـ تحقيق عدنان زرزور ـ مكتبة وهبة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٥ م ـ ص ١٨٢ وما بعدها .

اعلم ان العدل مصدر عدل يعدل عدلا ، ثم قد يذكر ويراد به الفعل ، وقد يذكر ويراد به الفاعل .

فاذا وصف به الفعل ، فالمراد به كل فعل حسن يفعله الفاعل لينفع به غيره او ينصره ، الا ان هذا يقتضي ان يكون خلق العالم من الله تعالى عدلا ، لان هذا المعنى فيه . وليس كذلك ، فالاولى ان نقول : هو توفير حق الغير واستيفاء الحق منه .

فاما اذا وصف به الفاعل ، فعلى طريقة المبالغة ، كقولهم : للصائم صوم وللراضي رضا ، وللمنور نور ، الى غير ذلك . ونحن اذا وصفنا القديم تعالى عن كل قبيح[1] .

ويتفرع عن هذا عند المعتزلة قولهم ان الافعال مخلوقة للمكلفين ، وان الحسن ما حسنه العقل وامر الشرع موافقا للعقل والقبح ما قبحه العقل ونهي الشرع بناء على ذلك . وان الامر من قبل الله سبحانه وتعالى لا يكسب العمل حسنا كما لا يكسبه النهي قبحا .

ويبرهن المعتزلة على ذلك بقولهم من كلام طويل : (وبعد فلو حسن الفعل للامر وقبح للنهي لكان يجب كما لا يقبح من الله تعالى فعل لفقد النهي ان لا يحسن منه فعل لفقد الامر[2] .

ويقول قائلهم : (انه لو كان كذلك (الحسن والقبح للامر والنهي) لوجب اذا نهى الله تعالى عن العدل والانصاف ان يكون قبيحا ومتى امر بالظلم والكذب ان يكون حسنا لان العلة فيهما واحدة ، والمعلوم خلافه[3] .

اما بخصوص خلق الافعال فقد قال المعتزلة : (فصل في خلق الافعال - والغرض به ، الكلام في ان افعال العباد غير مخلوقة فيهم وانهم المحدثون لها ، والخلاف في ذلك مع المجبرة .

فان منهم من ذهب الى ان هذه الافعال مخلوقة لله تعالى فينا لا تعلق لها بنا اصلا

---

(١) شرح الاصول الخمسة - القاضي عبد الجبار - ص ٣٠٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣١١

(٣) نفس المصدر السابق ص ١١٢

لا اكتسابا ولا احداثا ، وانما نحن كالعزوف لها وهم الجهمية اصحاب جهم بن صفوان .

ومنهم من ذهب الى ان لها بنا تعلقا من جهة الكسب وان كانت مخلوقة فينا من جهة الله تعالى .

واذ قد فرغنا من بيان اقسام الفعل وما يتصل به نعود الى الدلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة فيهم وانهم هم المحدثون لها .

والذي يدل على ذلك ان نفصل بين المحسن والمسيء وبين حسن الوجه وقبيحه ، فنحمد المحسن على احسانه ونذم المسيء على اساءته ، ولا تجوز هذه الطريقة في حسن الوجه وقبيحه ولا في طول القامة وقصرها حتى لا يحسن منا ان نقول للطويل لم طالت قامتك ، ولا للقصير لم قصرت ، كما يحسن ان نقول للظالم لم ظلمت ؟ وللكاذب لم كذبت ؟ فلولا ان احدهما متعلق بنا وموجود من جهتنا بخلاف الاخر والا لما وجب هذا الفصل ، ولكان الحال في طول القامة وقصرها كالحال في الظلم والكذب ، وقد عرف فساده[1] .

٣ ـ الوعد والوعيد :

يرى المعتزلة ان الله اوجب واجبات ونهى عن اعمال ذكرها ووعد من اطاعه في امره وانتهى عما نهى بالجنة والنعيم ، وتوعد من خالف امره او ارتكب ما نهى عنه بتعذيبه بالنار او بادخاله جنهم .

ولا يجوز على الله الخلف بالوعد ولا بالوعيد فالعاصي يستحق العقوبة حتى يتوب والطائع يستحق الجنة الا ان يكفر او يعصي .

واستحقاق النعيم او العذاب لا يخرج المؤمن عن ايمانه ولا الكافر عن كفره فقالوا بان العاصي مخلد بالنار مع انه مسلم وقال بعضهم (ان طلحة والزبير كافران من اهل الجنة)[2] لانهما من اهل بدر وان الله غفر لاهل بدر ما تقدم وما تأخر من ذنوبهم ووعدهم بالجنة على لسان نبيه ﷺ ولا يخلف الله وعده . ولكنهما (طلحة

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٣٢

(٢) الفصل في الملل والنحل ـ ابن حزم ـ مطبعة محمد علي صبيح جـ ٢ ص ٦٨ .

والزبير كفرا بحرب علي يوم الجمل ، فهما كافران من اهل الجنة .

قال صاحب شرح الاصول الخمسة : وجملة الكلام في هذا الباب يقع في ثلاث مواضيع :

احدها : الكلام في المستحق بالافعال .

والثاني : الكلام في الشروط التي معها تستحق .

والثالث : الكلام في كيفية الاستحقاق اهو على طريق الدوام ام على طريق الانقطاع .

اما المستحق بالافعال فهو المدح والذم وما يتبعهما في الثواب والعقاب ولكل واحد في هذه الالفاظ معنى .

اما الذم فهو قول ينبيء عن اتضاع حال الغير وهو على ضربين :

ضرب يتبعه العقاب من جهة الله تعالى ، وذلك لا يستحق الا على المعصية ، وحقيقة المعصية فعل ما يكرهه الغير من نوع من الرتبة . وهو ان يكون العاصي دون المعصي ، ولهذا لا يقال عصى الامير فلانا كما يقال عصى فلان الامير ، ولا يفهم من اطلاق هذه الكلمة غير معصية الله تعالى حتى انك لو اردت غيرها لقيدت فقلت : عصى فلان اباه او جده او الامير ، الى غير ذلك .

وضرب لا يتبعه العقاب من جهة الله تعالى .

واما المدح فمعناه ، قول ينبيء عن عظم حال الغير وينقسم ايضا الى : ما يتبعه الثواب من جهة الله تعالى فانه لا يستحق الا على الطاعة .

واما ما لا يتبعه الثواب فهو المدح المقابل للنعمة ، المستحق ، فهذه هي حقيقة هذه الالفاظ .

واما الكلام في الشروط التي تستحق هذه الاحكام فاعلم : انا قد ذكرنا ان الذم ينقسم الى ما يتبعه العقاب من جهة الله والى ما لا يتبعه العقاب ، وما تبعه العقاب فالشرط في استحقاقه شرطان : احدهما يرجع الى الفعل ، والاخر يرجع الى الفاعل . ما يرجع الى الفعل فهو ان يكون قبيحا ، وما يرجع الى الفاعل فهو ان يعلم قبحه . او يتمكن من العلم بذلك . .

فكذلك المدح ايضا قسمان على ما ذكرنا ، فقسم يتبعه الثواب من جهة الله تعالى والشرط في استحقاقه شرطان : احدهما يرجع الى الفعل وهو ان تكون له منفعة زائدة

على حسنه والاخر يرجع الى الفاعل وهو ان يكون عالما بان له صفة زائدة على حسنه ، فلا بد من اعتبارهما معا[1] .

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين :

اغلب الذين يؤرخون للمعتزلة يقررون بأن قول المعتزلة في المنزلة بين المنزلتين هو سبب خروجهم من حلقة الحسن البصري وتكوين فرقة المعتزلة .

ويعنون بالمنزلة بين المنزلتين : ان المسلم اذا ارتكب ذنبا كبيرا فانه لا يعتبر مسلما كما لا يعتبر كافرا فاذن هو بمنزلة بين المنزلتين .

وندعهم يوضحون رأيهم في هذا الاصل : (اعلم ان هذا الفصل كلام في الاسماء والاحكام ، هو انه كلام في ان صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه اسم المؤمن ولا يكون اسمه اسم الكافر وانما يسمى فاسقا . وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن ، بل بفرد له حكم ثالث وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين فان صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن بل له منزلة بينهما[2] . ثم يستطرد ويطيل كما في جميع الاصول على صحة ما ذهب اليه والمهم هنا ان نثبت هذه الاصول ومفهومها عندهم .

٥ ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : [3]

من اهم مميزات الاسلام هو امره بالمعروف ونهيه عن المنكر وعدم تركه الناس على ما هم عليه من سوء او غيره .

واول عمل قام به الرسول ﷺ هو تبليغ الناس ، بالمعروف وتنبيههم الى اوضاعهم الفاسدة وضرورة اصلاحها .

كما ان الاسلام اتبع طريقا بدعا من الاديان هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع الوسائل المجدية ، حتى لو ادى الى القتال ، وقد وقع فعلا .

في هذا الاصل يرى المعتزلة ما يراه المسلمون من وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٦١١ ـ ٦١٣

(٢) شرح الاصول الخمسة ص ٦٩٥

(٣) نفس المصدر السابق ص ٧٣٩

والكلام في هذا الموضوع يجرهم كما جر غيرهم الى ابداء ارائهم في السياسة والامير وصفاته . ورأيهم في اولياء امور المسلمين وحسناتهم وسيآتهم لأنهم القائمين على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فتكلموا في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ومن هو أفضل الصحابة وما هي الشروط الواجب توفرها في الخليفة .

هذه الاصول لا يختلف بقية المسلمين معهم في ظاهرها ولكنهم كما رأينا يفسرونها تفسيرا يختلف عن عقائد اهل السنة والجماعة .

اضف الى ذلك انهم فرق متعددة ولا يتفقون .

تفسيرهم القرآن الكريم :

التزم المعتزلة جميعا بمنهجهم في تفسير القرآن الكريم على خلاف بينهم ولكن لا نجد معتزليا تعرض للتفسير الا واظهر منهج المعتزلة واسسهم في تفسيره ولا يحيد عنها الى غيرها ابدا . في الوقت الذي نجد اغلب المفسرين ان لم نقل جميعهم تأثروا بالنظرة العقلية للنصوص القرآنية وتأويلها .

فقد تأثر التفسير بصورة عامة بمنهج مدرسة المعتزلة وخاصة عند تفسير الايات المتشابهات او التي ظاهرها التناقض ، وهذا التأثر لم يكن باسس عقيدتهم بل ناقشوها وفق نفس المنهج ونقضوا ما خالف روح الاسلام واسس الايمان والتسليم ، بل بالمنهج العقلي لتفسير القرآن .

ومنهجهم عقلي بحت لا يعتمد على القرآن نفسه في اثبات مبادئه وانما يعتمدون على الفعل في اثبات وجود الله وصدق الرسول ﷺ ومبادىء الاسلام ، فاعتمادهم على الادلة المنطقية اكثر من اعتمادهم على النصوص القرآنية في الحجاج واثبات المبادىء .

وقد علل المعتزلة هذا بقولهم : (اعلم ان كل فعل لا تعلم صحته ولا وجه دلالته الا بعد ان يعرف حال فاعله ، ولا يمكن ان يستدل به على اثبات فاعله ولا صفاته ، وانما يمكن ان يستدل به على ما سوى ذلك من الاحكام ، لانه ان دل على حال فاعله ، ولا يعلم صحته الا وقد علم فاعله ، ادى ذلك انه لا يدل عليه الا بعد المعرفة به ومتى علم الشيء استغنى عن الدلالة عليه .

ويبطل ذلك من وجه آخر : وهو انه يؤدي الى ان لا تعلم صحة القرآن الا بعد معرفة الله تعالى ، ولا يعرف تعالى الا بعد معرفة القرآن ، وذلك يوجب ان يدل كل

واحد منهما على ما عليه ، وان يكون دليلا على نفسه .

فان قيل : من اين . ان صحة القرآن لا تعلم الا بعد معرفة الله تعالى قيل : لان الخبر لا يعلم بصيغته انه صدق او كذب (حتى اذا علم حال المخبر صح ان نعلم ذلك) وقد علمنا ان ما اخبر جل وعز عنه في القرآن لم يتقدم لنا العلم بحال مخبره فيجب ان لا يعلم انه صدق الا بعد العلم بحال المخبر وانه حكيم والقول في الامر والنهي كالقول في الخبر)[1] .

ودراسة منهج المعتزلة في التفسير بدراسة تفاسير تنتمي لهذه المدرسة .

---

(١) متشابه القرآن ـ القاضي عبد الجبار ـ دار التراث ـ تحقيق عدنان زرزور القسم الاول ص ١ .

تفسير تنزيه القرآن عن المطاعن
للقاضي عبد الجبار المعتزلي

مؤلفه :

مؤلف هذا التفسير هو قاضي القضاة ابو الحسن عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار الهمذاني الاسد آبادي المعتزلي(1) . وهو المراد اذا اطلق لقب القاضي او قاضي القضاة عند المعتزلة .

ولد سنة (٣٥٩ هـ - ٩٧٠ م) وتنقل في طلب العلم ، وكان اول امره اشعريا في الاصول فمال الى مذهب المعتزلة متأثرا بشيوخه الذين درس عليهم ، وتقدم في طلب العلم حتى فاق اقرانه واشتهر امره ، فاستدعاه الصاحب بن عباد الى الري فولي قضاء القضاة ، وبقي مواظبا على التدريس والتصنيف حتى انتهت اليه رياسة المعتزلة حتى توفي سنة (٤١٥ هـ - ١٠٢٥ م) في الري وخلف كتبا كثيرة .

تفسير تنزيه القرآن عن المطاعن :

كتاب (تفسير تنزيه القرآن عن المطاعن) تفسير موجز للقرآن على وفق اصول المعتزلة وعقيدتهم . والكتاب مطبوع

منهج القاضي عبد الجبار في تفسيره :

١ - يهدف هذا التفسير في ما يحدده مؤلفه الى الفصل بين المحكم والمتشابه من

---

(1) انظر ترجمته في : تاريخ بغداد : ١١/ ١١٣ - ١١٥ ،رقم ٥٨٠٦ ،طبقات المعتزلة : ١١٢ - ١١٣ ، طبقات ابن السبكي : ٥/ ٩٧ - ٩٨ رقم ٤٤٣ ، طبقات الاسنوي : ١/ ٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٣١٩ ، طبقات المفسرين للداوودي : ١/ ٢٥٦ - ٢٥٨ رقم ٢٤٨ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١٦ رقم ٤٧ ،التفسير والمفسرون : ١/ ٣٩١ - ٤٠٣ ،معجم المؤلفين : ٥/ ٧٨ - ٧٩ . تاريخ الادب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٤/ ٣٣ - ٣٥

الآيات وبيان معاني ما تشابه من آيات القرآن ، مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها وهو مبحث دقيق عويص :

٢ ـ ونتيجة لهذا الهدف الذي وضعه في صدر الكتاب وضع القاضي عبد الجبار فقرات الكتاب على هيئة مسائل تبدأ بسؤال فيجيب عليه ، وهذه المسائل متماشية مع ترتيب السور والايات الا انها لم تستوعب الايات في السورة الواحدة وان كان قد تناول السور كلها ، الا انه يكتفي من السورة الواحدة فيها ببعض المسائل فضلا عن أن الكلام في تلك المسائل جاء بصورة موجزة جدا ، كقوله في بداية سورة مريم مثلا :

مسأله : وربما قيل في قوله تعالى ﴿ واجعله رب رضيا ﴾ أليس يدل على ان صلاحه من قبل الله تعالى ؟

وجوابنا ان الرضا قد يكون كذلك بامور يفعلها الله به من كمال العقل والحزم ومن النبوة وغير ذلك ، فلا يصح تعلقهم به[1] . . . ثم ينتقل الى مسألة اخرى .

٣ ـ ولو تتبعنا المسائل التي ذكرناها لوجدنا أنها تدور حول رسم فهم جديد للقرآن قائم على اصول المعتزلة ومعزز لمذهبهم فيسخر الآيات لهذا الغرض ويحملها اكثر مما تتحمله الفاظها بحجة انها آيات متشابهة كما مر .

ففي الايات التي تناولت خلق الافعال تجده يسلك بها مسلكا وعرا ليجعلها تتمشى مع مذهبه :

قال في تفسيره لسورة الانعام :

مسألة :

وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ ونقلب افئدتهم وابصارهم ﴾[2] ان ذلك يدل على انه تعالى يخلق في قلوبهم الكفر والايمان قالوا ويقوى ذلك قوله : ﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾[3] .

وجوابنا ان المراد بذلك انه يجعلهم كذلك في الاخرة فتقلب افئدتهم وابصارهم

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن : ٢٤٥

(٢) الانعام ، ١١٠

(٣) نفس الاية

في النار تنكيلا لهم ، واما قوله : ﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ فالمراد انه يخلي بينهم وبين ما اختاروه فلا يمنعهم كما تقول فيمن بصرناه برشده فلم يقبل : قد تركناه ورأيه ، لانا لم نكره ذلك منه ، وبين صحة ذلك قوله تعالى من بعد : ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء ، قبلا ما كانوا ليؤمنوا ﴾[1] فنبه بذلك على انهم خلاهم لعلمه بسوء فعالهم وانهم لا يعدلون الى الطريقة المثلى . ومعنى قوله ﴿ ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ﴾[2] ان يلجئهم الى الايمان ، لكن ذلك لا ينفع وانما ينتفعون بما يفعلونه اختيارا فيستحقون به الثواب[3] .

وقال في تفسيره للسورة نفسها في ما يتصل بالعدل .

مسألة :

وربما سألوا عن قوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾[4] كيف يصح ذلك عندكم وانتم تقولون : اراد من الكل الهدى ، وكيف يصح ذلك ونحن نعلم ان الكافر لا يكون ضيق الصدر بكفره ، بل ربما يكون اشرح بما هو عليه من المؤمن ؟

وجوابنا ان المراد « فمن يرد الله ان يهديه » بزيادات الهدى ، كقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾[5] لشرح صدره للاسلام ، لان زيادات الهدى احد ما يقوي صدر المؤمن على ايمانه . وقوله ﴿ ومن يرد أن يضله ﴾ اي عن هذه الزيادات من حيث يعلم انه لا ينتفع يجعل صدره ضيقا حرجا فتضطرب عليه اعتقاداته الفاسدة اذا فكر فيها . وهذا يدل على قولنا في العدل انه تعالى يفعل بالمؤمن ما يكون اقرب الى ثباته على الايمان من شرح الصدر بزيادات الادلة ويفعل بالكافر ما يكون اقرب الى ان يقلع عن الكفر عن ضيق الصدر ، والا فقد هدى الجميع بالادلة وازاح لهم العلة حتى لم يؤتوا الا من قبل انفسهم . وكل كافر اذا فتشت عنه متى نوظر وكلم يضيق صدره بما هو عليه من الكفر عند ايراد الادلة عليه لكنه يكابر

---

(١) الانعام : ١١١

(٢) نفس الاية

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن : ١٣٦

(٤) الانعام : ١٢٥

(٥) محمد : ١٧

ظاهرا ، ويوهم انه على بصيرة ، ولذلك قال تعالى من بعد : ﴿ كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾[1] .

وهكذا تجده يؤول كل الايات التي تتعارض مع اصولهم كآيات الاستواء[2] ، والمكر[3] ، والهداية[4] ، والرؤية[5] .

٤ - وهو كالمفسرين الاخرين لا يألو جهدا في تتبع ظواهر الصنعة اللغوية وما تثيره لفظة دون اخرى من معان وافكار .

قال في تفسير سورة البقرة

مسألة :

ومتى قيل : ولماذا قال تعالى ﴿ ذلك الكتاب ﴾[6] ولم يقل هذا الكتاب فجوابنا انه جل وعز وعد رسوله انزال كتاب عليه لا يمحوه الماء فلما انزل ذلك قال ﴿ ذلك الكتاب ﴾ والمراد ما وعدتك ولو قال هذا الكتاب لم يفد هذه الفائدة[7] .

وقال في تفسير سورة البقرة

مسألة :

ان قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾[8] ولعل انما يستعمله المتكلم بمعنى الشك . . . ثم يجيب على ذلك[9] وانظر الى ما أثاره في تفسيره لقوله ﴿ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ﴾[10] جوابا على من يقول ان ذلك لا يعرف من اللغة[11] .

---

(١) الانعام : ٢٥ وهذا الكلام في تنزيه القرآن عن المطاعن : ١٣٧

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن : ١٩٩

(٣) كذلك : ٢٠٤ - ٢٠٥

(٤) نفس المصدر : ٤٤٣

(٥) نفس المصدر : ٤٤٢

(٦) البقرة : ٢

(٧) تنزيه القرآن عن المطاعن : ١١

(٨) البقرة : ٢١

(٩) تنزيه القرآن عن المطاعن : ١٧

(١٠) الاسراء : ١٣ .

(١١) تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٢٦ .

تفسير الكشاف
للزمخشري

مؤلف الكشاف :

ومؤلفه هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي جار الله الزمخشري[1] المفسر المعتزلي .

ولد سنة (٤٦٧ هـ = ١٠٧٥ م) في زمخشر قرية من قرى خوارزم واعتنى به ابوه عناية كبيرة ، ورحل الى بخارى لطلب العلم ثم الى خراسان واصفهان وبغداد ثم جاور بمكة وتلقب بجار الله ثم رجع الى خوارزم ، اصاب رجله خراج فقطعها ،لقى الكبار وصنف التصانيف في الادب واللغة والبلاغة ، وكان معتزليا قويا في مذهبه مجاهرا به داعية اليه . وقد تتلمذ عليه عدد كبير من الطلبة ، وشدت اليه الرحال . توفي سنة (٥٣٨ هـ = ١١٤٤ م) بجرجانية خوارزم .

تفسير الكشاف :

كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل) تفسير للقرآن الكريم وفق اصول المعتزلة ومذهبهم فكان تراثا فكريا يمثل طريقة تفكيرهم . طبع طبعات عديدة منها في بولاق ١٢٨١ هـ وغيرها وآخرها طبعة مصطفى الحلبي بحاشيتين مع تنزيل الايات على الشواهد في القاهرة ١٩٦٨ وعليها احالاتنا .

---

(١) انظر ترجمته في معجم الادباء ١٩/ ١٢٦ ـ ١٣٥ رقم ٤١ ،وفيات الاعيان : ٥/ ١٦٨ ـ ١٧٤ رقم ٧١٤ ،الجواهر المضية : ٢/ ١٦٠ ـ ١٦١ رقم ٤٩٣ ،انباه الرواة ،٣/ ٢٦٥ ـ ٢٧٢ ،رقم ٧٥٣ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٢/ ٣١٤ ـ ٣١٦ رقم ٦٢٥ ،طبقات المفسرين للسيوطي : ٤١ رقم ١٣٧ معجم المؤلفين : ١٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧ وفيه مصادر ،اثر البلاغة في تفسير الكشاف للدكتور عمر ملا حويش (بغداد ١٩٧٠) ،منهج الزمخشري في تفسير القرآن للصاوي الجويني (دار المعارف ١٩٦٨) .

منهجه :

١ - يرى الزمخشري ان الصناعات والعلوم قد يتباين اربابها فيها تباينا يسيرا ، ولكن الذي يتباينون فيه تباينا كبيرا هو ما في تلك العلوم والصناعات من محاسن النكت الدقيقة ولطائف المعاني العميقة وغوامض الاسرار الخفية ، وان اغزر العلوم بما يشحذ الذهن ويشحنه بتلك الامور هو علم التفسير الذي لا يتأتى لكل واحد الخوض فيه وان كان احدهم قد برع في الفقه او الادب او الكلام او الوعظ او القصص والاخبار أو النحو واللغة فانه لا يستطيع استخلاص تلك المعاني العميقة والاسرار الخفية في الايات الا بعد ان يبرع في علمين هما علم المعاني والبيان[1] . . . ولا جل ذلك نجد الزمخشري يهتم بهذين العلمين في تفسيره اهتماما عظيما ، وعدت له مأثرة من مآثره ، ومفخرة من مفاخره ، اذ ضرب للناس مثلا بكرا لدراسة القرآن وطريقا جديدا لاستشفاف بلاغته واعجازه ، وهو امام البلاغة والاعجاز .

٢ - وهو حين يبدأ بتفسير سورة يذكر اسمها وعدد آياتها ، وقد يذكر سبب النزول ، ويبين معناها فقرة فقرة ، ويستعين على فهمها بالنحو واللغة والبلاغة ، ويبين نظم الايات ويشير الى المسائل الفقهية المستنبطة من الاية وآراء العلماء في ذلك ، ويستعين بالمأثور ان لم يعارض مذهبه ، ولاسيما في الاحكام الفقهية ، ويستعين كذلك بالقراءات لتوضيح المعنى ، وقد استمد من تفاسير الائمة الذين سبقوه ، لاسيما تفسير مجاهد وعمرو بن عبيد المعتزلي وابي بكر الاصم المعتزلي ، والزجاج النحوي ، والرماني المعتزلي والعلويين ، كما يستمد من تفاسير الفرق الاخرى ليرد عليها ويسمها باسم التفاسير البدعية كتفاسير المشبهة والمجبرة والخوارج والرافضة والمتصوفة وغير ذلك .

٣ - وهو ينتصر لرأي المعتزلة كثيرا ويوجه الايات توجيها يخدم هذا المذهب ويثبت اصوله :

أ - فهو يمجد العقل كثيرا ويرى ان العقل حجة لازمة تسبق السنة والاجماع والقياس :

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾[2] يحتاج اليه في

---

(١) الكشاف : ١/ ١٢ - ١٧ .

(٢) يوسف : ١/ ١١١

الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل[1] .

ب ـ وهو ينزه الله سبحانه تعالى عن كل ما من شأنه ان يوصف به العباد فكل آية ترد توحي بوصف من اوصاف العباد يحاول ان يؤولها كالاستواء وبسط اليد ، وبقاء الوجه ، والقبض واليمين والرؤية وغير ذلك .

قال في قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[2]

لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك ، فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة ، وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته (مَلَكَ) في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر[3] .

وغير ذلك من المسائل وهي كثيرة جدا وقد تكفل كتاب الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للامام ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي المطبوع على حاشية الكشاف ـ بذلك .

وقد استعان بكل ما في وسعه لتثبيت مبادىء المعتزلة واصولهم ، فقد استعان بالبيان واوجه المجاز في توجيه الايات نحو هدفه او توجيهها اذا كانت تعارض مذهبه .

واستعان بالنحو وباللغة وحتى بالاحاديث الضعيفة[4] ليتم له ذلك .

وهذه النقطة اعني حمله القرآن ليوافق آراء المعتزلة هي التي شنع بها عليه وجعلت الناس يتحرجون من قراءته .

قال الذهبي : « محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح لكنه داعية الى الاعتزال اجارنا الله فكن حذرا من كشافه »[5] .

ونقل ابن حجر عن الامام أبي محمد بن ابي حمزة في شرح البخاري له ، قال : « . . . والناظر في الكشاف ان كان عارفا بدسائسه فلا يحل له ان

(١) الكشاف : ٢/ ٣٤٨

(٢) طه : ٥

(٣) الكشاف : ٢/ ٥٣٠

(٤) منهج الزمخشري في تفسير القرآن : ١٤٩

(٥) ميزان الاعتدال : ٤/ ٧٨

ينظر فيه لانه لا يأمن الغفلة فتسبق اليه تلك الدسائس وهو لا يشعر . . . »[1]

قال علي القاريء : « وله دسائس خفيت على اكثر الناس فلهذا حرم بعض فقهائنا مطالعة تفسيره لما فيه من سوء تعبيره في تأويله وتعبيره . . . » [2]

وتجد لابي حيان النحوي قصيدة يذمه فيها ويبين زلاته[3] وابن خلدون تناوله ايضا في مقدمته[4] .

وكثير غيرهم نقدوه نقدا لاذعا لم يخل من مغالاة ؛ ذلك لان كتاب الكشاف اعترف بفضله القاصي والداني لولا هذه المسألة وحتى مع هذه المسألة فقد قال ابن حجر :

« واما التفسير فقد اولع الناس به وبحثوا عليه وبينوا دسائسه وافردوها بالتصنيف ، ومن رسخت قدمه في السنة وقرأ طرفا من اختلاف المقالات انتفع بتفسيره ولم يضره ما يخشى من دسائسه» [5] .

٤ ـ وقد اهتم كثيرا بالنحو واللغة لانه امام لغوي ونحوي كبير وما يزال الناس يقرأون كتابه المفصل في النحو وقد شرح كثيرا من الشروح وكتبه اللغوية كثيرة نافعة كالفائق واساس البلاغة وغيرهما وكتابه الكشاف كتاب لغة ونحو وأدب فضلا عن كونه تفسيرا .

٥ ـ ولم يخل تفسيره من الاحاديث الاسرائيلية والاحاديث الضعيفة .

---

(١) لسان الميزان : ٦/ ٤

(٢) طبقات الفقهاء الحنفية (مخطوط نسخة مكتبة الاوقاف المركزية) الورقة ٤٩ ب

(٣) البحر المحيط : ٧/ ٨٥

(٤) مقدمة ابن خلدون : ٤٩١

(٥) لسان الميزان : ٦/ ٤

التصوف والتفاسير الصوفية

من اعسر ما يواجه الكاتب عن التصوف ايجاد اصل لكلمة التصوف كاصطلاح علمي يطلق على مذهب انتحله جماعة لهم بالغ الاثر في الفكر الاسلامي .
ولصعوبة هذا المطلب فان جميع الكتاب شرقوا وغربوا في ايجاد اصل للتسمية من الناحية اللغوية في الاسم والنسبة .

وقد جنح كثير من الكتاب الى ان اصل الكلمة (تيوسوفيا) المصطلح اليوناني الذي يعني الحكمة جريا وراء المستشرق : (رينولد . نيكولسون) وجماعته الذين افاضوا في دراسة التصوف والصوفية .

فهذا المستشرق يحمل نفسه عبئا ثقيلا جدا بمحاولة ايجاد صلة بين الصوفية والفلسفة الافلاطونية الحديثة التي ترجمت كتبها الى العربية في القرن الثاني والثالث الهجريين ، حتى ليبدو متناقضا حينما يقرر ان لاصلة بين المتصوفة الاوائل والمسيحية مع صلتها بتشكيل التصوف الاول (ان اول خانقاه بنيت للصوفية كانت بالرملة في فلسطين وان الذي اسسها كان اميرا مسيحيا ولكنا مع اعترافنا بأن المسيحية كان لها اثر في تشكيل التصوف في صورته الاولى ، لا نرى ان في اقوال متصوفة الزهاد ، من امثال ابراهيم بن ادهم (المتوفى سنة ١٦١ هـ) وداوود الطائي (المتوفى سنة ١٦٥ هـ) والفضيل بن عياض (المتوفى سنة ١٨٧ هـ) وشقيق البلخي (المتوفى سنة ١٩٤ هـ) ما يدل على انهم تأثروا بالمسيحية او بأي مصدر اجنبي الا قليلا .

وان هذه الصلة التي يجدها الباحثون والتي صورها المستشرقون كمصدر

للصلة بين المسيحية والتصوف هي تشابه النزعات الانسانية في كثير من نشاطاتها اولا ووحدة مصدر الاديان جميعا ثانيا ، وليس الاول مصدراً للثاني وليس من الضروري ان يكون الثاني اخذ من الاول اخذ تعليم او اخذا مباشرا .

ومن تعاريف الصوفية التي عرفهم وعرف التصوف بها الرواد الاوائل ونقلت لنا مع بوادر التأليف في الفكر الصوفي لا نجد أي صلة اطلاقا بين نشأة التصوف والمسيحية وان كان لها او للمانوية اثر فانه جاء متأخرا على نشوئه . ولنستعرض التعاريفَ التي اوردها الكلاباذي في تعرفه فانه قال :

قولهم في الصوفية ولم سميت الصوفية صوفية قالت طائفة :

انما سميت الصوفية صوفية لصفاء اسرارها ونقاء اثارها .

وقال بشر بن الحارث . ان الصوفي من صفا قلبه لله .

وقال بعضهم : الصوفي من صفت لله معاملته ، فصفت له من الله عز وجل كرامته .

وقال قوم : انما سموا صوفية لانهم في الصف الاول بين يدي الله جل وعز بارتفاع هممهم اليه ، واقبالهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه .

وقال قوم : انما سموا صوفية لقرب اوصافهم من اوصاف اهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ .

وقال قوم : انما سموا صوفية للبسهم الصوف .

فقد اجتمعت هذه الاوصاف كلها ، ومعاني هذه الاسماء كلها في اسامي القوم والقابهم .

وان كانت هذه الالفاظ متغيرة في الظاهر فان المعاني متفقة لانها اخذت من الصفاء والصفوة كانت صفوية .

وان اضيفت الى الصف او الصفة كانت صفية ويجوز ان يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية وزيادتها في لفظ الصفية والصفية انما كانت من تداول الالسن[1] .

---

(١) التعرف لمذهب اهل التصوف ـ ابو بكر محمد الكلاباذي ـ تحقيق محمود امين النووي ـ مكتبة الكليات الازهرية ـ الطبعة الاولى ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ ص٢٩

ووجه الاستدلال ان التعاريف التي اوردها يعود قسم منها الى القرن الثالث او نهاية القرن الثاني وهو تعريف بشر بن الحارث وفي هذا التاريخ كانت المكتبة العربية تزخر بتراجم علوم اليونان ومنها ما يتصل بالمسيحية ومنها ما يتصل بالافلاطونية المحدثة ولم يظهر من اثارها شيء على التعريف . او التعاريف الاخرى . هذا اولا .

والاستدلال الثاني وهو الاهم ان الكلاباذى الف كتابه في منتصف القرن الرابع وهذا القرن من انشط القرون في الاقتباس من الثقافات اليونانية ولم يذكر الكلاباذي نسبة التصوف الى كلمة (الحكمة) اليونانية . مع العلم ان كتاب ذلك العصر (القرن الثالث والرابع الهجريين) لا يهملون ذكر اي اثر للثقافة اليونانية في علومهم وقد رأينا اكثرهم يفتخر بانه اقتبس هذا العلم او هذا الفن من اليونان او الرومان او الهنود وفي مؤلفات العصر الذي اشرنا اليه كثير من الالفاظ الاجنبية التي اخذ عنها المسلمون علومهم .

فانه لا يرى بأسا من ذكر نسبة الكلمة الى اصل يوناني لو كان لها ذلك الاصل بل ويحرص كل الحرص على ذكر هذا الاصل لو كان موجودا . كما ذكروا اصل كلمة فلسفة وكلمة كيمياء وهي اسماء لعلوم تعب في تحصيلها ودراستها المسلمون ويذكرون بفخر انهم اخذوا اصولها من اليونان وزادوا عليها او حسنوها .

هذا وقد لفت نظري ان (نيكولسون) لم يذكر الحارث المحاسبي في عرضه للمؤلفين والمتكلمين في الصوفية الاوائل بينما يعتبر المحاسبي اول من الف فيها التصانيف على الاطلاق في رأي اكثر المؤرخين للفكر الصوفي .

بينما يترجم لذنون المصري ويسهب في شرح آرائه وتعريفاته للصوفية والتصوف وذنون كانت وفاته بعد المحاسبي حيث توفي سنة **٢٤٥** هـ والمحاسبي توفي سنة **٢٤٣** هـ ومع ان الفرق يسير وهو سنتين الا ان الثابت ان المحاسبي اسبق تأليفا من ذنون المصري .

اظن (وان الظن لا يغني عن الحق شيئا) ان صلة ذنون بالاديرة المسيحية ودراسته للكيمياء والسحر ، ودراسة المحاسبي للحديث وتتلمذه للمحدثين والفقهاء وعدم دراسته لعلم السحر والكيمياء ولم تثبت صلته بأي عنصر اجنبي على الثقافة الاسلامية ، هو الذي شد (نيكولسون) الى ذي النون وابعده عن المحاسبي .

نشأة التصوف والصوفية :

وبعد هذا فالصوفية هم : (الصنف السادس منهم (من اهل السنة والجماعة) الزهاد الصوفية ، الذين ابصروا فاقصدوا ، واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدور ، وقنعوا بالميسور وعلموا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك مسؤول عن الخير والشر ، ومحاسب على متاقيل الذر ، فاعدوا خير الاعتداد ليوم المعاد ، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والاشارة على سمت اهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون الخير رياء ولا يتركونه حياء . دينهم التوحيد ونفي التشبيه ، ومذهبهم التفويض الى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لامره والقناعة بما رزقوا والاعراض عن الاعتراض عليه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)﴾[1] [2]

واول بوادر ظهور الصوفية كفرقة لها تعاليم ومدرسة وتلاميذ كان في القرن الثاني الهجري ، لكثرة الفتن وتطاحن المسلمين فيما بينهم وضعف الوازع الديني عند عامتهم وضياع المقاييس الصحيحة للفرد والصالح في المجتمع الاسلامي ، كل هذه العوامل دفعت قسما من المسلمين للفرار بدينهم امام الدنيا التي كل ما فيها يدعو للافلات من ربقة الدين .

يذهب الصوفية الى ان اصول مذهبهم تعود الى التابعين ، والحق ان السلوك المستقيم والعزوف عن الدنيا واحتقار المغريات وبيع النفس لله والتسليم بالقضاء والقدر وعدم الاعتراض قولا ولا هوى على حكم الله وحمده عند المصائب كحمده عند النعم . هو سلوك الصحابة الكرام جميعاً ومن كان منهم يزاول اعماله في الدنيا ويأخذ منها بنصيب لم تكن لتملكه او نشغله عن ربه .

وعندما كثرت الفتن اتصف اناس بالزهد وعدم مخالطة الدنيا والاكتفاء بالضروري .

فوصف الصحابة بالزهد والرضا والتوكل لا يخص جماعة دون اخرى ولكن في التابعين ظهر الانشغال في الدنيا فانفرد منهم نفر ظهر عليهم العزوف عنها

---

(١) الفرق بين الفرق ـ البنداوي ـ

(٢) آية (٢١) الحديد

والانشغال بالعبادة ، وكانت في اتباع التابعين اكثر تمييزا وظهورا لكثرة المنشغلين بالدنيا والاستغراب من العزوف عنها مع كثرة مغرياتها ، فهؤلاء العازفين بدوا اكثر مخالفة للمجتمع وتمييزا عن افراده .

فاخذ يلتف بعضهم حول بعض وكونوا حلقات الدرس والذكر والعبادة . واهم ما يميز الصوفية مع العزوف عن الدنيا ومجانبة ملاذها والاستغناء عن فضلة متاعها والرضا بقضاء الله وقدره هوى وسلوكا والتوكل عليه في كل شؤون الحياة ، اهم ما يميزهم مع هذه الصفات هو علم الباطن .

هذا العلم الذي يبدو كأنه العلم بالمغيبات احيانا وحل الرموز والطلسمات احيانا اخرى .

كان ﷺ يتكلم بهذا العلم فكان المسلمون يعرفونها من معجزاته وقد تكلم بهذا العلم في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب فقال عنه الرسول ﷺ : (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء ، فان يكن في امتي منهم احد فعمر)[1] .

وقد كان عمر من العلماء الافذاذ الذين اتاهم الله ما لم يؤت غيرهم فقد روى عن رسول الله ﷺ انه قال : (بينما انا نائم شربت - يعني اللبن - حتى انظر الى الري يجري في ظفري - او في اظفاري - ثم ناولت عمر . قالوا فما اولته يا رسول الله ، قال : العلم)[2] .

وقد تحدث في هذا العلم (الباطن) كثير من الصحابة واكثر من تكلم فيه حذيفة بن اليمان[3] رضي الله عنه فقد كان يعرف المنافقين وقد علمه هذا العلم رسول الله ﷺ . وتكلم في هذا العلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

وجاء التابعون الذين تتلمذوا على حذيفة بن اليمان وعلي بن ابي طالب كالحسن

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري - جـ ٧ ص ٤٢ .

(٢) نفس المصدر السابق جـ ٧ ص ٤١

(٣) حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي صحابي جليل ، علمه رسول الله ﷺ اوصاف المنافقين فكان عمر لا يصلي على احد حتى يرسل حذيفة يصلي عليه سكن العراق وتوفي فيها ودفن في المدائن وتسمى الان (سلمان باك) .

البصري والحسن والحسين وعلى زين العابدين[١] وغيرهم فتكلموا في شيء من هذه العلوم .

ثم ان العلم الباطن صار من صفات الصوفية التي لا تفارقهم فكلامهم فيه على هيئة اشارات بالنسبة لتفسير القرآن لا يفهمه الا من سلك طريقهم وتعارف على مصطلحاتهم .

وعلى كل حال فانه بعد الصحابة والتابعين اصبحت حلقات الصوفية ومدارسهم لها مريدوها وطلابها . واول المصنفات في التصوف والصوفية ظهرت في القرن الثاني على يد ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي البصري .

اسس عقيدة الصوفية :

ذكرت في اول كلامي عن التصوف ان البغدادي عدهم من اهل السنة والجماعة وهذه حقيقة حالهم فرأيهم في صفات الباري عز وجل (ان لله صفات على الحقيقة ، هو بها موصوف من العلم والقدرة والقوة والعز وغيرها . وانها ليست باجسام ولا اعراض ولا جوهر وان له سمعا وبصرا ووجها ويدا على الحقيقة ليست كالاسماع والابصار والايدي والوجوه . . وانها ليست جوارح ولا اعضاء ولا اجزاء وانها ليست هي هو)[٢] . وهذا هو رأي اهل السنة والجماعة . وكل ما يراه اهل السنة في خلق الافعال والوعد والوعيد والرؤية وكلام الله يرونه هم . الا انهم قد اختلفوا مع المتكلمين من اهل السنة في التدليل على وجود الله ومعرفته فقالوا : (ان الدليل على الله هو الله وحده ، وسبيل العقل سبيل العاقل في حاجته الى الدليل ، لانه محدث والمحدث لا يدل الا على المحدث مثله وقال رجل للنوري ما الدليل على الله ؟ قال : الله قال فما العقل ؟ قال العقل عاجز والعاجز لا يدل الا على عاجز مثله .

وقال ابن عطاء البغدادي : العقل الة للعبودية لا للاشراف على الربوبية[٣] .

---

(١) علي زين العابدين : هو الامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الامام العالم الفاضل الزاهد . جعلته الشيعة الامامية الامام الرابع ولكنه لم يخالط شيئا من الفتن ولم يؤثر عنه مزاولته لنشاط سياسي قط . كان عالما في مختلف العلوم جميل الصورة متواضعا توفي سنة ٩٩ هـ ودفن بالبقيع .

(٢) التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٤٩

(٣) نفس المصدر السابق ص ٧٩

وقال ابن عطاء الله السكندري : (الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده)[1] وقال ايضا في مناجاته : (الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك)[2] .

وقد اختصوا في تفسير بعض المعاني وفي بعض الصفات السلوكية مثل / التوبه وهي الرجوع الى الله بعد ارتكاب الذنب ولكن عندهم ترك الدنيا والاعتقاد بأن مجرد التفكير فيها ذنب .

قال الجنيد[3] : التوبة هو نسيان ذنبك .

وقال سهل[4] : هي ان لا تنسى ذنبك .

ومعنى قول الجنيد ان تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك خروجا لا يبقى له في سرك اثر ، حتى تكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط .

وقال النوري : التوبه ان تتوب من ذكر كل شيء سوى الله عز وجل .

الزهد : قال علي بن ابي طالب : الزهد هو ان لا تبالي من اكل الدنيا من مؤمن او كافر .

وقال مسروق : الزاهد من لا يملكه مع الله سبب .

الصبر : قال سهل : الصبر انتظار الفرج من الله تعالى قال وهو افضل الخدمة واعلاها .

وقال غيره : الصبر ان تصبر في الصبر : معناه ان لا تطالع فيه الفرج .

---

(١) و(٢) حكم ابن عطاء الله السكندري ـ بشرح الشيخ الشرتوبي ـ مكتبة القاهرة ص ٢٦ وص ١٥١ .

(٣) سيد الطائفة الصوفية الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي ابو القاسم كان فقيها على مذهب ابي ثور ثم بلغ مرتبة من التصوف عالية جدا . توفي في بغداد سنة سبع وتسعين ومائتين (التعرف ص ٤٢) .

(٤) ابو محمد سهل بن عبد الله بن يونس احد ائمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضيات والاخلاص مات سنة ٢٨٣ هـ ثلاث وثمانين ومائتين (التعرف ص ٤١) .

الفقر : قال بعضهم : الفقر ان لا تطلب المعدوم حتى تفقد الموجود معناه : ان لا تطلب الارزاق الا عند خوف العجز عن القيام بالفرض .

التواضع : سئل الجنيد عن التواضع فقال : هو خفض الجناح وكسر الجانب

الخوف : الخائف من يخاف من نفسه اكثر مما يخاف من العدو .

قال سهل : الخوف ذكر والرجاء انثى ومنهما تتولد حقائق الايمان .

الاخلاص : قال الجنيد : الاخلاص ما اريد به الله من اي عمل كان .

قال ابو يعقوب السوسي : الخالص من الاعمال ما لم يعلم به ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده ولا النفس فتعجب به .

الشكر : قال بعضهم : الشكر : هو الغيبة عن الشكر برؤية النعم .

التوكل : قال سري السقطي : التوكل الانخلاع من الحول والقوة .

وقال مسروق : التوكل : الاستسلام لجريان القضاء في الاحكام .

الرضا : قال الجنيد : الرضا ترك الاختيار .

قال الحارث المحاسبي : الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم .

اليقين : قال الجنيد : اليقين ارتفاع الشك .

قال عبد الله : اليقين اتصال البين وانفصال ما بين البين .

الذكر : حقيقة الذكر ان تنسى ما سوى المذكور من الذكر .

قال بعضهم : الذكر طرد الغفلة ، فاذا ارتفعت الغفلة فانت ذاكر وان سكت .

الانس : سئل الجنيد عن الانس ما هو

فقال : الانس : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة .

القرب : قال بعضهم : القرب ان يتدلل عليه ويتذلل له لقوله عز وجل (واسجد واقترب)[1] .

الاتصال : ان ينفصل بسره عما سوى الله ، فلا يرى بسره بمعنى التعظيم غيره ، ولا يسمع الا منه . قال الحارثة : كاني انظر الى عرش ربي بارزا .

المحبة : قال الجنيد : المحبة ميل القلوب .

---

(١) سورة العلق اية ١٧

وقال غيره : المحبة هي الموافقة معناه الطاعة له فيما امر والانتهاء عما زجر والرضا بما حكم وقدر .

التجريد والتفريد :

التجريد : ان يتجرد بظاهره عن الاعراض وبباطنه عن الاعواض ، وهو ان لا يأخذ من عرض الدنيا شيئا ولا يطلب على ما ترك منها عوضا من عاجل ولا آجل بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلة غيره ولا لسبب سواه ، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يحلها والاحوال التي ينازلها ، بمعنى السكون اليها والاعتناق لها .

والتفريد : ان يتفرد عن الاشكال ، وينفرد بالاحوال ، ويتوحد في الافعال وهو ان تكون افعاله لله وحده .

الوجد : هو ما صادف القلب من نزع ، او غم او رؤية معنى من احوال الاخرة ، او كشف حالة بين العبد والله عز وجل .

وقال بعضهم : الوجد بشارات الحق بالترقي الى مقامات مشاهداته .

الغلبة : الغلبة حال تبدو للعبد لا يمكنه ملاحظة السبب ، ولا مراعاة الادب و يكون مأخوذا عن تمييز ما يستقبله . فربما خرج الى بعض ما ينكر عليه من لم يعرف حاله ويرجع على نفس صاحبه اذا سكنت غلبات ما يجده ، ويكون الذي غلب عليه خوف او هيبة ، او اجلال ، او احياء ، او بعض هذه الاحوال .

السكر : هو ان يغيب عن تمييز الاشياء ولا يغيب عن الاشياء . وهو ان لا يميز بين مرافقه وملاذه وبين اضدادها في مرافقة الحق ، فان غلبات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذه .

الغيبة والشهود : فمعنى الغيبة : ان يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها ، وهي اعني الحظوظ قائمة معه ، موجودة فيه ، غير انه غائب عنها بشهود ما للحق .

الجمع والتفرقة : اول الجمع جمع الهمة وهو ان تكون الهموم كلها هما واحدا والجمع الذي يعنيه اهله هو ان يصير ذلك حالا له ، وهو ان لا تتفرق همومه فيجمعها تكلف العبد . بل تجتمع الهموم فتصير بشهود الجامع لها هما واحدا ويحصل الجمع اذا كان بالله وحده دون غيره .

والتفرقة بعد الجمع : هو ان يفرق بين العبد وبين همومه في حضوضه وبين

طلب مرافقه وملاذه فيكون مفرقا بينه وبين نفسه فلا تكون حركاته لها .

التجلي والاستتار : قال سهل : التجلي على ثلاثة احوال :

تجلي ذات وتجلي صفات الذات وهي موضع النور وتجلي حكم الذات وهي الاخرة وما فيها . والاستتار : ان تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب .

الفناء والبقاء : الفناء : هو ان يفني عنه الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التمييز ، فناء على الاشياء كلها مشغلا بما فنى به كما قال عامر بن عبد الله : ما ابالي ، امرأة رأيت ام حائطا .

والبقاء : هو ان يغني بما له ويبقى بما لله[1]

هذه المعاني كلها ذكرها الكلاباذي في التعرف وقد لخصتها بما يفهم منها وجهة نظرهم .

ومع تفسيرهم لهذه المعاني فان الصوفية هي عبارة عن سلوك اولا ثم فكر ثانيا .

والفكر الذي كتبوا فيه جاء متأخرا عن السلوك ، كما ان التفسير الباطني للنصوص او الاشارى هو عبارة عن هذه المواجيد وعن هذه الاذواق التي تحصل لهم والتي نجد في تفسيرها صعوبة ، لانه لا يمكن لغير الصوفي فهم حال الصوفية . ولذا نجد عباراتهم هم في وصف افكارهم غير عبارة من وصفهم ولو كانت العبارات تكلم عن حالة واحدة او معنى واحد .

والمهم في التفسير وسوف نجد تفاسيرهم تعرض لهذه المعاني حسب مفاهيمهم التي ذكرناها .

ولا يفوتني ان اذكر ان وحدة الوجود فكرة دخيلة على التصوف الاسلامي ونجد في تفاسير الصوفية الاوائل والذين يعتبرون رؤساء الفرقة وائمتهم في زمانهم لا تحتوي الا على الاذواق والمواجيد التي ذكرناها .

والتفسير الاشاري هو عبارة عن المواجيد المذكورة ولا يعتبر اصلا في التفسير عندهم واجمعوا على ان المراد هو التفسير الظاهري الشرعي وليس الاشاري .

---

(١) التعرف لمذهب اهل التصوف من ص ١١١ الى ص ١٤٩ مختصرا .

تفسير لطائف الاشارات للقشيري

مؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري ، ابو القاسم القشيري[1] الملقب زين الاسلام الفقيه الشافعي المتصوف .

ولد في اسرة عربية في احدى قرى نيسابور سنة (٣٧٦ هـ = ٩٨٦ م) وانتقل الى نيسابور وانضم الى حلقة الشيخ ابي علي الدقاق ، فسلك طريق الارادة وقرأ الفقه والاصول وعلم الكلام حتى اتقن ذلك ، واشتهر امره الى ان بلغ مبلغا عظيما في خراسان فاخذ في التصنيف حتى بلغت مؤلفاته بضعة عشر كتابا وكانت له في الفروسية واستعمال السلاح مهارة ، امتحن بسعاية بعض الرؤساء حتى اضطرته الاحوال الى ترك مجلس الاملاء والوعظ ومفارقة الاوطان ، وورد على القائم بامر الله ولقي عنده قبولا ثم عاد الى نيسابور معظما وتوفي فيها سنة (٤٦٥ هـ = ١٠٧٣ م) .

تفسير لطائف الاشارات :

وهو تفسير كامل للقرآن وضعه الامام القشيري على طريقة الصوفية . طبع بتحقيق الدكتور ابراهيم بسيوني في دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٧٠ / ١٩٧١ في ستة اجزاء .

---

(١) له ترجمة في : تاريخ بغداد : ١١/ ٨٣ رقم ٥٧٦٣ ، انباه الرواة : ٢/ ١٩٣ رقم ٤٠٦ ، تبيين كذب المفتري : ٢٧١ ، طبقات ابن السبكي : ٥/ ١٥٣ ـ ١٦٢ رقم ٤٧١ ، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٣٨ ـ ٣٤٦ رقم ٣٠٢ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٢١ ـ ٢٢ رقم ٦٤ ، طبقات الاسنوي ٢/ ٣١٣ ـ ٣١٩ رقم ٩٤٠ ، معجم المؤلفين : ٦/ ٦ ـ ٧ .

منهج القشيري في تفسيره :

١ ـ يعتبر هذا التفسير من الكتب القيمة عند الصوفية ، لانه يحتوي على تفسير اشاري يحاكى القلوب والعقول باسلوب يتميز عن سائر مؤلفات الصوفية المتصفة بالتعقيد واللغز ، فاسلوبه اقرب الى التناول في الفهم من كثير من التفاسير الصوفية ، فهو سهل المأخذ واضح العبارة موجز اشد الايجاز :

قال في مقدمته : « . . . وكتابنا هذا يأتي على ذكر طرف من اشارات القرآن على لسان اهل المعرفة ، اما من معاني عقولهم ، او قضايا اصولهم ، سلكنا فيه طريق الاقلال خشية الملال . . . » .

٢ ـ ولما كان بهذه الصفة (اعنى يبتغي بتفسيره دقيق الاشارات وخفى الرموز على وفق ما يجري عليه أهل المجاهدة ودروب الارادة ، وناشدي طريق الحقيقة) نجده يعنى بهذه الجوانب عناية زائدة ، فهو « ينظر الى اللفظة القرآنية على انها جوهر يدق على الفهم العادي ، وأهل التجريد وحدهم هم الذين يتاح لهم بفضل الله ـ العلم الذي يكشفون به عن هذا الجوهر »[١] ولا يقف عند معاني تلك الالفاظ من الوجهة اللغوية ، حتى غلبت هذه الامور على تفسيره وطبعته بطابع خاص يتجلى في تفسيره الايات على ما يعزز تلك الجوانب الاشارية .

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ان تمسكم حسنةتسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون بصير ﴾[٢] قال : « الاشارة في هذه الآية الى المنصرفين عن طريق الارادة الراجعين الى أحوال أهل العادة ، لا يعجبهم ان يكون لمريد نفاذ ، واذا رأوا فترة لقاصد استراحوا الى ذلك ، وان الله بفضله ومنته يتم نوره على أهل عنايته ، ويذر الظالمين الزائغين عن سبيله في عقوبة بعادهم لا يبالي بما يستقبلهم »[٣] .

وتغلب عليه هذه الطريقة قال في تفسير قوله تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾[٤] : « الاشارة من الآية الى مجاهدات النفوس ، فان اعدى

---

(١) ابراهيم بسيوني : مقدمة لطائف الاشارات : ١/ ٣٤

(٢) آل عمران : ١٢٠

(٣) لطائف الاشارات : ١/ ٢٨٥

(٤) البقرة : ١٩٣

عدوك نفسك التي بين جنبيك . . . »[1] .

لكنه يختلف عما سواه من اصحاب التفسير الذين عنوا بالتصوف والذين اسرفوا في تحميل الالفاظ ما لا تحتمل كما يفعله أهل الكلام والفلسفة وأهل الباطن فاخضعوا النص القرآني لنصرة مذاهبهم وعقائدهم حتى ابتعدوا بالتفسير عن خطه الاصيل . وانما حاول ان يكون قريبا منه لانه يرى أن هناك لقاء كاملا بين الشريعة والحقيقة في ظل كلمات الله [2] .

٣ ـ ونتيجة لذلك لم يطل في ذكر الاحكام الشرعية والفروع الفقهية لانه كتابه ليس محلا لذلك ، وانما لهذه الاحكام كتب اخرى ، وهو اذا ذكر تلك الاحكام فهو يذكرها للحث على التغلغل في بواطنها ومعرفة جواهرها .

قال في تفسيره للصلاة الواردة في قوله تعالى ﴿ اقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾[3] :

« الصلاة قرع باب الرزق ، والصلاة الوقوف في محل المناجاة ، والصلاة اعتكاف القلب في مشاهد التقدير ، ويقال : هي الوقوف على بساط النجوى ، وفرّق اوقات الصلاة ليكون للعبد عود الى البساط في اليوم والليلة مرات . . . »[4]

وهكذا يفعل في سائر الفروض والاحكام الواردة في الايات .

٤ ـ وهو يرى ان في الفاظ القرآن بل في حروفه ـ فضلا عن آياته وسوره ـ معاني متجددة على الرغم من تكرار اللفظ أو الحرف او الاية .

وتبعا لذلك فهو يرى ان البسملة التي كررت مع كل سورة باستثناء التوبة لها دلالات واشارات الى معانٍ تخص السورة التي هي في مفتتحها .

قال في بداية تفسيره للفاتحة ، بعد ان فسر البسملة تفسيرا مستقصى :

« فلما اعاد الله سبحانه وتعالى هذه الاية اعني بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وثبت انها منها اردنا ان نذكر في كل سورة من اشارات هذه الاية

---

(١) لطائف الاشارات : ١/ ١٧٣

(٢) انظر ذلك بتفصيل في مقدمة لطائف الاشارات : ١/ ٣٦ ـ ٣٨

(٣) الاسراء : ٧٨

(٤) لطائف الاشارات : ٤/ ٣٦

كلمات غير مكررة واشارات غير معادة . . . »[1]

فالبسملة عنده آية وآية لها اشارات الى معان غير مكررة تختلف باختلاف السور :

ونكتفي هنا بذكر مثلين فقط لتوضيح هذا الامر :

قال في بداية تفسيره لسورة يوسف :

« بسم الله الرحمن الرحيم » الاسم من وسم ، فمن وسم ظاهره بالعبودية ، وسرائره بمشاهدة الربوبية فقد سمت همته الى المراتب العلية ، وازلفت رتبته من المنازل السنية .

او ان الاسم مشتق من السمة او من السمو .

وقدّم الله سبحانه اسم الله في هذا المحل على اسميه الرحمن والرحيم على وجه البيان والحكم ، فبرحمته الدنيوية وصل العبد الى معرفته الالهية .

والاشارة من الباء التي هي حرف التضمين والالصاق الى أن « به » عَرَفَ من عَرَفَ و« به » وَقَفَ من وَقَفَ فالواصل اليه محمول باحسانه والواقف دونه مربوط بخذلانه[2] .

وقال في بداية تفسيره لسورة الشمس :

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » : « بسم الله » اخبار عن وجود الحقّ بنعت القدم . « الرحمن الرحيم » اخبار عن بقائه بوصف العلاء والكرم ، كاشف الارواح بقوله « بسم الله » فهيمها ، وكاشَفَ النفوس بقوله « الرحمن الرحيم » فتيمها ، فالارواح دهشى في كشف جلاله ، والنفوس عطشى الى لطف جماله . . . »[3]

---

(١) لطائف الاشارات : ١/ ٥٦

(٢) لطائف الاشارات : ٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥

(٣) لطائف الاشارات : ٦/ ٣٠٠

تفسير السلمي
المسمى حقائق التفسير

مؤلفه :

مؤلفه هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الازدي ابو عبد الرحمن السلمي[1] الصوفي النيسابوري .

ولد سنة (٣٣٠ هـ - ٩٤١ م) وكان ابوه من الازد وامه سلمية فاشتهر بهذه النسبة ، وطلب العلم منذ صباه ، ولم يزل يحضر دروس العلماء اولا بأول حتى تمهد له في العلم ، وحصل اجازة بالفتوى والتدريس فدرس وافتى ، ثم وفقه الله الى طلب العلم الباطن على يد ابي سهل الصعلوكي ، حتى اعطاه الاجازة بتربية المؤيدين ، وصحبه خلق كثير ، ونسبت اليه ا لكرامات ، وظل جليل القدر عند اهل بلده حتى توفاه الله في سنة (٤١٠ هـ - ١٠٢١ م) بنيسابور .

تفسير السلمي :

تفسير السلمي المسمى (حقائق التفسير) كتاب جمع فيه السلمي اقوال مشايخ الصوفية وتأويلاتهم للايات القرآنية ، فهو تفسير شامل لسور القرآن الكريم كلها باستثناء سورتي الفيل وقريش الا انه لا يتعرض لكل الايات القرآنية .

وهذا التفسير له اهمية خاصة عند الصوفية ، ولاجل ذلك فقد انتشرت نسخة المخطوطة في بقاع الدنيا الا انه لم يطبع الا طبعة على الرونيو قام بها الباحث سليمان

---

(١) له ترجمة في تاريخ بغداد : ٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩ رقم ٧١٧ ، تذكرة الحفاظ : ٣/ ١٠٤٦ - ١٠٤٧ رقم ٩٦٣ ، الوافي بالوفيات : ٢/ ٣٨٠ ، طبقات ابن السبكي : ٤/ ١٤٣ - ١٤٧ رقم ٣٢٠ ، التفسير والمفسرون : ٣/ ٥٠ - ٥٥ ، طبقات الاولياء : ٣١٣ رقم ٦٩ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٣١ رقم ٩٤ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٢/ ١٣٧ - ١٣٩ رقم ٤٨٤ ، معجم المؤلفين : ٩/ ٢٥٨ - ٢٥٩ ، مقدمة نور الدين شريبة لكتاب طبقات الصوفية . لسان الميزان : ٥/ ١٤٠ .

نصيف جاسم التكريتي نال بها شهادة الماجستير من جامعة القاهرة **١٩٧٥** وتوجد منها نسخة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد ، وعليها كانت احالاتنا .

منهج السلمي في كتابه حقائق التفسير

يرى السلمي ان معاني كلام الله تعالى غير محصورة بالمعاني اللغوية بل له مكنونات واسرار خص بها أهل الحقائق ، فجعلهم أهل الفهم لخطابه والعالمين بلطائف ودائعه فاخبروا عن طرف منه باشارات تخفى وتدق الا على اربابها ، ولما لم يشتغل احد بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة على نحو يستوفي ذلك الا آيات نسبت الى ابي العباس بن عطاء وآيات ذكر انها عن جعفر بن محمد الصادق على غير ترتيب ، أحب السلمي أن يضم الى ذلك مقالاتهم مرتبا على السور[١] فألف هذا التفسير مبينا أقوالهم في ما حوته بواطن الآيات من الاسرار ؛ لأن للقرآن ظاهرا وباطناً كما يقول[٢] .

وعلى ذلك يعد تفسيره جمعاً لمجموعة الاقوال المنقولة عن أئمة التصوف ومشايخهم ، وليس تأليفا بالمعنى الاصطلاحي .

٢ ـ يجعل السلمي من الحروف اشارات الى معان هي بعيدة الصلة عن المعنى اللغوي كالذي نقله في تفسير حروف البسملة عن ابي العباس بن عطاء انه قال : الباء بره لارواح الانبياء بالهام الرسالة والنبوة ، والسين سره مع أهل المعرفة بالهام القربة والانس ، والميم منته على المريدين بدوام نظره اليهم بعين الشفقة والرحمة . . .[٣] واستمر ينقل ما يؤدي هذا التفسير.

وهو يوغل كثيرا في تفسيره للحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السور ولا يعيد ما قاله بتكرار اللفظة او الآية .

٣ ـ وقد ضم تفسيره التفسير الصوفي بنوعيه الاشاري والنظري[٤] ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾[٥] قال : قال بعضهم : الاشارة في هذه الآية أن اعمال الخلق كلها مردودة اليهم ، فانهم انما

---

(١) حقائق التفسير : ١/١ ـ ٣
(٢) حقائق التفسير : ١/٣ ـ ٨
(٣) حقائق التفسير : ١/٩ ـ ١٠
(٤) مقدمة حقائق التفسير : ١/ ٦٩
(٥) يوسف : ٦٥

عملوها بانفسهم لأنفسهم قال الله تعالى ﴿ ان احسنتم احسنتم لانفسكم ﴾[1]

اما النظري فتجده في كثير من المواضع منها قوله في تفسير « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »[2] : قال : قال بعضهم وما رميت ولكن رميت بسهام الجمع فغيبك عنك فرميت وكنا الرامين عنك لأن المباشرة لك والحقيقة لنا اذ لم نفترق[3] .

قال محققه تعليقا على ذلك : « وهل تخفى وحدة الوجود من هذا النص على القارىء العادي ؟ »[4]

٤ ـ وهو في تفسيره يتجاوز الظاهر ويتجاوز اللغة ويأتي باشياء بعيدة عن المعنى اللغوي الظاهري حتى قال بعضهم انه لم يخل من فكر باطني[5]

قال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴾[6] قال : سمعت ابا عثمان المغربي يقول : البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء من الائمة ثلاثة والواحد هو القطب فالقطب عارف بهم جميعا ومشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء ، والثلاثة الذين هم الخلفاء من الائمة لا يعرفون السبعة ويعرفون الاربعين ولا يعرفهم اولئك[7] . . . ويأخذ من شرح أحوال هؤلاء .

وفي تفسيره لقوله تعالى

﴿ الم تر أن الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ﴾[8] يقول : « قال بعضهم : انزل مياه الرحمة من سحائب القربة وفتح الى قلوب عباده عيونا من ماء الرحمة فأنبتت فاخضرت بزينة المعرفة ، وأثمرت الايمان وأينعت التوحيد ، أضاءت بالمحبة فهامت الى سيدها واشتاقت الى ربها فطارت بهمتها وأناخت بين يديه ، وعكفت فاقبلت عليه وانقطعت عن الاكوان اجمع اذ ذاك أراها الحق اليه ، وفتح لها خزائن انواره ، واطلق لها الخيرة في بساتين الانس ورياض الشوق

---

(١) الاسراء : ٧ وانظر حقائق التفسير ٢/ ٥٨٥
(٢) الانفال : ١٧
(٣) حقائق التفسير : ١/ ٤٣٥
(٤) مقدمة حقائق التفسير : ١/ ٧٠
(٥) مقدمة حقائق التفسير : ١/ ٦٩
(٦) المائدة : ١٢
(٧) حقائق التفسير : ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠
(٨) الحج : ٦٣

والقدس . . . »[1]

وفي تفسيره قوله تعالى ﴿ ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ﴾[2] يقول :

قال جعفر : النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم النفوس فان لها نيرانا تتقد »[3]

ولتناوله الاشارات البعيدة والاغراق في بعضها دون دليل من لغة أو نقل أثار حوله زوبعة شديدة من النقد : فقد نقل ابن الصلاح في فتاويه « عن الامام ابي الحسين الواحدي المفسر رحمه الله تعالى أنه قال : صنف ابو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر »[4]

وقال الذهبي عنه : انه « أتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية »[5]

وقال السيوطي : « وانما اوردته في هذا القسم لأن تفسيره غير محمود »[6]

وقال ابن تيمية : « وما ينقل في حقائق السلمي من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر كما قد كذب عليه في غير ذلك »[7] .

ولا شك ان في ذلك غلوا واسرافا لان الرجل لم يسم ذلك تفسيرا وانما سماه اشارات تخفى وتدق الاعلى اربابها ، وانه يقر الظواهر على ظواهرها الا انه اقتصر على تأويلات للصوفية ينبو عنها اللفظ وتبعد عن المعنى القاموسي كثيرا مما اثار حفيظة العلماء الحريضين على كتاب الله ويرون انه يجب ان ينزه عن ذلك[8] .

٥ ـ الا انه ليس على ذلك دائما ، بل قد نجده يسلك مسلك تثبيت ما يزكى النفس ويقومها ، ويطهر القلوب ويحييها بالحث على التحلي بالاخلاق والفضائل والتجرد لله كالذي اورده في تفسير قوله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من

---

(١) حقائق التفسير : ٢/ ٨٧١ ، التفسير والمفسرون ٣/ ٥٤

(٢) الانفطار : ١٣ ، ١٤

(٣) حقائق التفسير : ٣/ ١٥٢١ ، التفسير والمفسرون : ٣/ ٥٥

(٤) فتاوى ابن الصلاح : ٢٩ ، ونقل عنه هذا الكلام الزركشي في البرهان : ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١ والسيوطي في الاتقان : ٢/ ١٨٤

(٥) تذكرة الحفاظ : ٣/ ١٠٤٦

(٦) طبقات المفسرين للسيوطي : ٣١

(٧) منهاج السنة : ٤/ ١٥٥ .

(٨) فند بعض هذه الاراء ابن السبكي ودافع عن السلمي في طبقات الشافعية الكبرى : ٤/ ١٤٧ والشيخ محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون : ٣/ ٥٢ ـ ٥٣

استطاع اليه سبيلا ﴾[1] من محاورات للشبلي مع رجل اراد الحج فحج فسأله كثيرا من الاسئلة منها قوله له : اي شيء عملت ؟ قلت اغتسلت واحرمت وصليت ركعتين ولبيت ، فقال لي : عقدت به الحج ؟ قلت : نعم . قال : افسخت بعقدك كل عقدة منذ خلقت مما يضاد هذا العقد ؟ قلت : لا . قال : فما عقدت . قال : ثم نزعت ثيابك ؟ قلت ، نعم . قال : تجردت عن كل شيء وفعل فعلت ؟ قلت : لا . قال : ما نزعت . قال : ثم تطهرت ؟ قلت : نعم فقال : ازلت عنك كل علة بطهرك ؟ قلت : لا . قال : ما تطهرت ، قال : ثم احرمت ؟ قلت : نعم . قال : وهل حرمت نفسك على كل شيء سوى الحق ؟ قلت : لا . قال : ما أحرمت[2] . . . وهكذا يستمر يفسر الكلمات بما يقابلها من المعاني الدقيقة ويستنفد في ذلك ست صفحات مما يرينا انه يحاول ان يقرر هذه المعاني في النفس .

والصوفية الصادقون يقررون ان الظاهر هو المراد والتأويل الاشاري مواجيد خاصة . ولا ننسى ان كثيرا من الصوفية اعرضوا عن التفسير الاشاري وفسروا النصوص القرآنية والحديثية بموجب الظاهر وكما يفسره الفقهاء والمحدثون ولكن يظهر فيه المبادىء الصوفية واضحة .

---

(١) آل عمران : ٩٧

(٢) حقائق التفسير : ١/١٨٦ ــ ١٩١

الشيعة

بعد قتل سيدنا عثمان بن عفان الامام الثالث للمسلمين تولى امر المسلمين علي بن ابي طالب ، فقامت جماعة تستنكر قتل الامام وتطالب بدمه من الخليفة القائم . وشرطت بيعتها له بالاقتياد من قتلة الامام المظلوم . فانقسم المسلمون الى قسمين يتزعم القسم الاول الخليفة الامام علي بن ابي طالب وانضم الى صفوف جيشه جماعة ممن كان يؤيد الثورة على الامام او لم يستنكر قتله .

ويتزعم الفرقة الثانية طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة بنت ابي بكر ام المؤمنين رضي الله عنهم .

وقيادة كل من الفريقين لا يشك احد في اخلاصه للاسلام وتحريه الحق وايثار الدين على الدنيا .

واوشك المتصارعون ان يحكموا السلم بينهم وينهون الخصومة التي حركها الشيطان ، ولكن الفريق الذي كان يكيد للمسلمين . انقسم بين الفرقتين فشجع كل واحدة لضرب الاخرى وعدم الرضوخ للسلم فوقعت الحرب التي اسف المسلمون جميعا لوقوعها وهي اول حرب تقع بين المسلمين انفسهم ومات من افاضلهم خلق كثير .

هل ان الحق مع علي ام مع طلحة والزبير وعائشة .

كان هذا السؤال يدور في اذهان المسلمين جميعا ولم يجد كثير من المسلمين الاجابة عليه فاعتزل هذا الكثير الحرب وسموها بالفتنة .

ومن المسلمين من اجاب بسرعة على هذا السؤال . فقال ان الحق مع علي بن ابي طالب وعلله يقابله فريق ثان قال ان الحق مع طلحة والزبير وعلله ايضا .

ولكن فريق طلحة والزبير تخلوا عن رأيهم بعد انتهاء الحرب وبقي المسلمون جميعا مع علي بن ابي طالب الا فريق من اهل الشام .
ولما قتل علي بن ابي طالب على ايدي الخوارج من جيشه وتنازل الحسن عن الخلافة اعتقدت جماعة من الفريق الذي مع علي ان الحسن تنازل عن حق الهي قرره الله له ليس له ان يتصرف فيه .
بعد فترة من الزمن اصبح هناك من يقول بان الله سبحانه وتعالى قرر الولاية لعلي بن ابي طالب اصلا قبل ابي بكر وعمر وعثمان ، وذهب فريق الى ان الله اوحى للرسول ﷺ ذلك وبلغ الرسول ﷺ ذلك للمسلمين ولكنهم خانوا الامانة وفسقوا واغتصبوا الخلافة من علي بن ابي طالب .

وبمرور الزمن قالوا ان هذا الحق (حق الولاية) لعلي بن ابي طالب وحيا ولابنائه الى اثني عشر اماما .
اخذت عقيدتهم القالب الفكري بعد القرن الثاني تقريبا ، فقد كان الامام جعفر الصادق رضي الله عنه شيخ لأئمة الفقه في عصره ومنهم الامام ابي حنيفة .
ولم يختلفوا معه هذا الاختلاف الذي بين الشيعة واهل السنة الان .

وفي العصر العباسي وضحت عقائدهم وضوحا تاما بعد القرن الثاني ومن اهم عقائدهم .

١ ـ ان الائمة بعد الرسول ﷺ هم علي بن ابي طالب ثم ابناؤه الى الاثني عشر اماما (اما الامامية الاثنا عشرية فيرون ان الامامه بعد جعفر الصادق قد انتقلت الى ابنه موسى الكاظم ثم الى ابنه علي الرضا ثم الى ابنه محمد الجواد ثم الى ابنه علي الهادي ثم الى ابنه الحسن العسكري ثم الى ابنه محمد المهدي المنتظر)[1] .
٢ ـ ان الائمة معصومون من الخطأ ومنهم الذي جوز الخطأ على النبي ولم يجوزه على الامام وقالوا في تعليل ذلك ان النبي يوحي له فيصحح له الله خطأه ولم يتوفر ذلك للامام فوجب ان يكون معصوما . (فالفرقة الاولى يزعمون ان الرسول ﷺ جائز عليه ان يعصي الله وان النبي قد عصى في اخذ الفداء يوم بدر فاما الائمة فلا

(١) التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٧

يجوز ذلك عليهم لان الرسول اذا عصى فالوحي يأتيه من قبل الله والائمة لا يوحى اليهم)[1] .

هذا اهم ما يختلفون به مع بقية الفرق الاسلامية ـ والشيعة فرق كثيرة جدا ـ واما عقائدهم في الذات والصفات فهي نفس عقائد المعتزلة وقد اثرت هذه العقائد على تفسير القرآن تأثيرا بالغا حتى قال بعضهم ان القرآن محرف لانه لم يتكلم عن الائمة باسمائهم فان ذكر الائمة قد حذفه الذين جمعوا القرآن (يقصدون ابا بكر وعمر وعثمان) ومن اهم تفاسيرهم ـ تفسير الطبرسي وتفسير الطوسي وتفسير ابي الحسن العسكري والفيض الكاشاني .

---

(١) مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٢١

٥ ـ تفاسير الشيعة

تفسير التبيان
لشيخ الطائفة الطوسي

المؤلف :

مؤلف هذا التفسير هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي فقيه الشيعة ومصنفهم الملقب بشيخ الطائفة[1] .

ولد بطوس سنة (٣٨٥ هـ ـ ٩٦٥ م) وطلب العلم في صباه ، وكان أول أمره شافعيا ، ثم هاجر الى العراق في شبيبته فانضم الى الشيخ المفيد الذي كانت له زعامة المذهب الجعفري حتى وفاته ثم لازم من بعده علم الهدى السيد المرتضى ، وعني به المرتضى ، حتى توفي المرتضى فاستقل شيخ الطائفة بالامامة واصبح علماً للشيعة يتتلمذ عليه علماؤهم لاسيما بعد ان عرف فضله وعلمه ، وجعل له الخليفة القائم بأمر الله كرسي الكلام والافادة في بغداد . الا أنه حدثت فتن اضطرته الى الانتقال الى النجف فجعلها مركزا للعلم وجامعة كبرى للشيعة ولقب بالشيخ وهو المراد اذا اطلق عندهم . وبقى هناك حتى توفي سنة (٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م) وخلّف عدداً كبيرا من المؤلفات المعتمدة لدى فقهاء الشيعة ومحدثيها .

التعريف بتفسير التبيان :

كتاب (التبيان في تفسير القرآن) وقد يسمى (التبيان الجامع لعلوم القرآن) تفسير كامل للقرآن الكريم وفق مذهب الشيعة الامامية ، وهو تفسير جليل اعتمد عليه الطبرسي كثيرا واستمد منه في مجمع البيان كما مر . وهو مطبوع في النجف سنة ١٣٧٦ / ١٩٥٧ وما بعدها ووقع في عشرة اجزاء .

---

(١) له ترجمة في روضات الجنات : ٦/ ٢١٦ ـ ٢٥٢ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧ رقم ٣١٥ ، معجم رجال الحديث : ١٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧٥ رقم ١٠٥٠٥ ، مصادر الدراسة عن النجف والشيخ الطوسي لمحمد هادي الحسيني وعبد الرحيم محمد علي (النجف ١٣٨٢) والفهرست للطوسي نفسه وقد ترجم لنفسه في حرف الميم

منهج الطوسي في تفسيره التبيان :

١ - لما رأى الطوسي أن المؤلفين السابقين قد تباينت طرقهم في تفسير القرآن فاستوعب بعضهم كل ما قيل فيه من الفنون ، وقصر آخرون فاقتصروا على ذكر الغريب ومعاني الالفاظ ، وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا ما لا معرفة لهم به ، فاهتم بعضهم بالاعراب ، وآخرون باللغة ، وآخرون بالمعاني الكلامية ، وأضاف آخرون الى ذلك الكلام في فنون علمهم كالفروع الفقهية واختلاف الناس فيها ، لذلك مال الطوسي الى التوسط في الأمر دون تفريط في جهة ، ولاسيما بعد ان لمس رغبة جماعة من اصحاب مذهبه قديما وحديثا في «كتاب مقتصد ، يجتمع على فنون علم القرآن من القراءة والمعاني والاعراب والكلام على المتشابه ، والجواب على مطاعن الملحدين فيه ، وانواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم ، وذكر ما يختص اصحابه (ويقصد بهم الشيعة الامامية) من الاستدلال بمواضع كثيرة على صحة مذاهبهم في اصول الديانات وفروعها . . . »[1] ثم عقد فصلين ذكر في الاول جملا لا بد من معرفتها قبل الشروع في تفسير القرآن والثاني في ذكر اسامى القرآن وتسمية السور والآيات .

٢ - وهو نتيجة لذلك لا ينفك يشرح مذهب الشيعة الامامية ، ويدافع عن عقيدتهم ، ويكثر من النقل عن ائمتهم ، ويرد على من يخالفهم ، ويظهر ذلك جليا في تأييده لارائهم في المسائل الخلافية بينهم وبين غيرهم : كمسألة الامامة[2] ، والتقية[3] ، والقول بالرجعة[4] ، وخروج المهدى[5] ، وجواز نكاح المتعة[6] ، ومسح الرجلين في الوضوء[7] ، وعدم جواز نكاح الكتابيات[8] وغير ذلك ، الا انه لم يكن متعصبا كما يذهب كثير من مفسري هذا المذهب ، بل يتميز بالاعتدال في اقواله ، والنصفة في ارائه .

---

(١) التبيان : ١/١ - ٢
(٢) التبيان : ٣/ ٥٥٩
(٣) التبيان : ٢/ ٤٣٥
(٤) التبيان : ١/ ٢٥٥
(٥) التبيان : ١/ ٥٥
(٦) التبيان : ٣/ ١٦٥ ، ٤٤٦
(٧) التبيان : ٣/ ٤٥٢
(٨) التبيان : ٢/ ٢١٨

٣ـ وهو يعتمد على الاثر الوارد عن النبي (ص) وعن الائمة المعصومين[1] ، لكنه اعتماد قائم على النقد والمحاكمة والترجيح ، ولذلك اشترط في قبول النقل قيام اجماع عليه او أنه نقل متواتر به عمن يجب اتباع قوله ، ولا يقبل في ذلك خبر الواحد[2] .

ولاجل ذلك تجده يرجح رأيا على رأي وخبرا على خبر كالذي فعله في ترجيح قول ابن عباس على رأي الفراء ومجاهد وابن جريج في قوله تعالى ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾[3] قال ابن عباس : أراد اعوانكم على ما انتم عليه ان كنتم صادقين ، وقال الفراء : اراد ادعوا الهتكم ، وقال مجاهد وابن جريج : اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى . . . [4]

وغير ذلك وهو كثير[5] .

٤ـ على ان ذلك لا يعني أنه أهمل الاستدلال بالعقل لاستنباط معاني القرآن واحكامه وتثبيت معاني العقيدة ، بل كان يعتمد عليه اعتمادا كبيرا في الرد على الفرق المختلفة المخالفة لطائفة الشيعة الامامية وتوهين دعواهم .

٥ـ الا انه اذا جاز التأويل لديه ، صح الاستدلال بالعقل عنده فليس كل القرآن محلا للتأويل ، بل ان معانيه تختلف باختلاف اقسامها قال في مقدمة التفسير :

« والذي نقول به ان معاني القرآن على اربعة اقسام

احدها ما اختص الله تعالى بالعلم به فلا يجوز لاحد تكلف القول فيه ولا تعاطي معرفته وذلك مثل قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الساعة . . . ﴾[6] . . .

وثانيها : ما كان ظاهره مطابقا لمعناه ، فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناها مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾[7] . . .

---

(١) التبيان : ٣/١ ـ ٤

(٢) التبيان : ٦/١ ـ ٧ ،وانظر منهج الطوسي : ٣٩

(٣) البقرة : ٢٣

(٤) التبيان : ١٠٤/١ ،وانظر منهج الطوسي : ٤٠

(٥) انظر منهج الطوسي : ٤٠

(٦) الاعراف : ١٨٦

(٧) الانعام : ١٥١

وثالثها : ما هو مجمل لا ينبي ، ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله تعالى ﴿ اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾[1] .... وما اشبه ذلك فان تفصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها ، وتفصيل مناسك الحج وشروطه ومقادير النصاب في الزكاة لا يمكن استخراجه الا ببيان النبي (ص) ووحي من جهة الله تعالى فتكلف القول في ذلك خطا ممنوع منه .

ورابعها : ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عنهما ويمكن أن يكون كل واحد منهما مرادا ، فانه لا ينبغي ان يقدم احد به فيقول ان مراد الله فيه بعض ما يحتمل ـ الا بقول نبي او امام معصوم ـ بل ينبغي ان يقول ان الظاهر يحتمل لامور وكل واحد يجوز أن يكون مرادا على التفصيل والله اعلم بما اراد ، ومتى كان اللفظ مشتركا بين شيئين او ما زاد عليهما ودل الدليل على انه لا يجوز ان يريد الا وجها واحدا جاز ان يقال انه هو المراد .

ومتى قسمنا هذه الاقسام نكون قد قبلنا هذه الاخبار ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها ولا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جملة ...[2]

٦ ـ وهو يرى « أنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض او تضاد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾[3] وقال : « بلسان عربي مبين »[4] وقال : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه »[5] وقال : « فيه تبيان كل شيء »[6] وقال : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »[7] فكيف يجوز أن يصفه بأنه عربي مبين ، وانه بلسان قومه ، وانه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء ، وهل ذلك الا وصف له باللغز والمعمى الذي لا يفهم المراد به الا بعد تفسيره وبيانه ، وذلك منزه عنه القران ، وقد مدح الله اقواما على استخراج

(١) البقرة : ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء : ٧٦، الحج : ٧٨، النور : ٥٦، المجادلة : ١٣، المزمل : ٢ .
(٢) التبيان : ١/٥ ـ ٦
(٣) الزخرف : ٣
(٤) الشعراء : ١٩٥
(٥) ابراهيم : ٤
(٦) النحل : ٨٩
(٧) الانعام : ٣٨

معاني القرآن فقال : ﴿ لعلمه الذين يستبطونه منهم ﴾[1] وقال في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن ، ولم يتفكروا في معانيه ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ﴾[2] وقال النبي (ص) « اني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » فبين ان الكتاب حجة ، كما أن العترة حجة ، وكيف يكون حجة ما لا يفهم به شيء ، وروى عنه عليه السلام انه قال : « اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط » وروى مثل ذلك عن ائمتنا (ع) وكيف يمكن العرض على كتاب الله وهو لا يفهم به شيء ، وكل ذلك يدل على أن ظاهر هذه الاخبار متروك . . . »[3] .

٧ ـ والشيخ الطوسي يرد على من قال من ائمة الشيعة بان القرآن ناقص او متزيد فيه ، او محرف :

قال في مقدمة التبيان :

« واما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به ايضا ، لان الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه فالظاهر ايضا من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الاليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره المرتضى (رحمه الله) وهو الظاهر في الروايات ، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع الى موضع طريقها الاحاد التي لا توجب علما ولا عملا ، والاولى الاعراض عنها ، وترك التشاغل بها ، لانه يمكنه تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين ، فأن ذلك معلوم صحته ، لا يعترضه احد من الائمة ولا يدفعه .

ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ، ورد ما يرد من اختلاف الاخبار في الفروع اليه ، وقد روى عن النبي ﷺ وآله رواية لا يدفعها احد ، انه قال : « اني خلفت فيكم الثقلين ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، وانهما لن يفترقا حتى يردا على

---

(١) النساء : ٨٢

(٢) محمد : ٢٤

(٣) التبيان : ١/ ٤ ـ ٥ .

الحوض » وهـذا يدل على انـه موجـود في كل عصر لانـه لا يجـوز ان يأمـر بالتمسـك بما لا نقدر على التمسك به ، كما ان اهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت ، واذا كان الموجود بيننا مجمعـاً على صحتـه فينبغـي ان نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه ونترك ما سواه » . . . [1].

***

(١) التبيان : ١/٣ ـ ٤

تفسير الصافي
للفيض الكاشاني

المؤلف :

مؤلفه هو محمد بن المرتضى الشهير بملا محسن الفيض الكاشاني[1] الشيعي . ولد في حدود(١٠٠٧ هـ - ١٥٩٤ م) في كاشان من اسرة اهتمت بالعلم والعلماء ، وبعد أن تلقى طرفا من العلم انتقل الى شيراز واختص بصدر الدين الشيرازي الشهير بصدرا فتلقى منه الحكمة والاصول ، وتأثر بحكمته وفلسفته وتصوفه وظهر ذلك في تآليفه ، ولكنه على علمه وسموّ منزلته اختلف الناس فيه بين مدح وقدح حتى نسبوا اليه بعض الاقاويل الفاسدة والآراء الباطلة مما ينافي اصول الشريعة وفروع مذهب الشيعة مثل قوله بوحدة الوجود وبعدم خلود الكفار من عذاب النار ، وعدم نجاة أهل الاجتهاد ، ونسبوا اليه القول بحلّية الغناء ، وكثرة طعنه على المجتهدين ، وتكفيره لجملة منهم . توفي سنة (١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ م)ودفن بكاشان .

تفسير الصافي :

كتاب (الصافي في تفسير القرآن) تفسير موجز للقرآن الكريم وضعه مؤلفه الفيض الكاشاني على وفق ما وصل اليه من أئمة المذهب الشيعي وقد طبع طبعات عديدة آخرها في طهران ١٣٨٧في مجلدين . قدم له باثنتي عشرة مقدمة تتصل بالتفسير وعلوم القرآن .

---

(١) له ترجمة في أمل الآمل : ٣٠٥/٢ ، تنقيح المقال : ٥٤/٢ ، جامع الرواة : ٤٢/٢ . الكنى والالقاب : ٣٤/٣ ، روضات الجنات : ٧٩/٦ ، فلاسفة الشيعة : ٥٣٣ ، التفسير والمفسرون ١٤٥/٢ معجم المؤلفين : ١٢/١٢ .

منهج الفيض الكاشاني في تفسيره :

١ ـ ابتدا المؤلف تفسيره بذكره ان الله حين انزل الفرقان ليكون للعالمين نذيرا اودع اسراره أهل البيت فطهرهم وجعلهم تراجمة القرآن فعنهم يؤخذ ومنهم يسمع اذ أهل البيت بما من البيت ادرى . . . واستجابة لما التمسه منه بعض اصحابه جمع هذا التفسير مما وصل اليه من اولئك الائمة فهو اذن تفسير يعتمد على المأثور عن النبى(ص) وعن الائمة المعصومين .

٢ ـ وهو يرى أن الاحاديث التي جاءت عن أهل البيت من تفسير القرآن كثيرة الا أنها مع كونها « خرجت متفرقة عند اسئلة السائلين ، وعلى قدر افهام المخاطبين قد بقيت مخفية عند الناس خوفاً من الاعداء وتقية من الظلمة لما جرى من الحوادث في عهد الصحابة مما ضلل الناس فاعرضوا عن الثقلين ، فعمدوا الى طائفة يزعمون انهم من العلماء يفسرونه لهم بالآراء ، وربما يتقولونه ، ويحذفون محكمات الكتاب ، ويحملونه على أهوائهم مع وجود أهل البيت الذين هم به أولى به ، وعلى هذا جرت التفاسير التي صنفها علماء العامة ، وكذلك التفاسير التي صنفها المتأخرون من علماء الشيعة ، فانها أيضا مستندة الى رؤساء العامة ، بل أدخل بعضهم في التفسير ما لا يليق . . . »

وبالجملة فان الفيض الكاشاني لم يجد (في رأيه) الى وقته الذي يعيش فيه من أتى بتصنيف تفسير مهذب صاف واف كاف شاف منزه عن آراء العوام ، ويرى أن تفسيره هذا هو الحري بان يسمى(التفسير الصافي) لصفائه عن كدورات العامة والممل والمحيرّ والمتنافي كما يقول هو عنه .

ونتيجة لما قدم راى ان كل تفسير لم يصدر عن آل البيت فلا تعويل عليه كما راينا ، ومن ثم فان كثيرا من صحابة (على حد تعبيره) « يبطنون النفاق ويجترئون على الله ويفترون على رسول الله(ص) في عزّة وشقاق »[1] .

٣ ـ وهو في تفسيره يسير وفق خطة تعتمد على خطوات رسمها من المقدمة الثانية عشرة اذ ذكر فيها ان ما يفتقر الى السماع من المعصوم يرجع اول ما يرجع في تفسيره الى محكمات القرآن فان القرآن يفسر بعضه بعضا والا فحديث معتبر من أهل البيت في الكتب المعتبرة من طرق اصحابهم ، والا فهو يورد ما روى عنهم من طرق

---

(١) الصافي : ١/ ٤

العامة لنسبته الى المعصوم وعدم ما يخالفه ، وما لم يظفر فيه بحديث عنهم عليهم السلام فهو يورد ما وصل اليه من غيرهم من علماء التفسير اذا وافق القرآن وفحواه وأشبه احاديثهم في معناه فان وردت اخبار كثيرة اقتصر على مجامعها ، فان اختلفت نقل اصحها واحسنها واعمها فائدة ، اما ما لا يفتقر الى السماع من المعصوم فهو يذكر ما ذكره المفسرون الظاهريون من كان تفسيره أحسن وبيانه أوجز وأتقن كائنا من كان الا أوائل السورة التي تذكر فيها البقرة فان تفسير اكثرها وأكثر تفسيرها مأخوذ من التفسير المنسوب الى الزكي ابي محمد العسكري[1] . . .

٤ - وهو في تفسيره شديد التعصب لمذهبه لا يدع مناسبة الا ويسخرها لذلك فيحاول جهده تفسير الآيات في ما يؤيد ذلك او من الرد على مخالفيه :

فهو يجعل من الحروف المقطعة مثلاً رموزا تشير الى أهل البيت وائمتهم[2] .

وان قوله « ذلك الكتاب لا ريب فيه » هو كتاب عليّ لا ريب فيه[3] .

وتفسيره (الدين) من قوله تعالى « لااكراه في الدين » بالتشيع[4] .

والعروة الوثقى بمودة أهل البيت من قوله « فقد استمسك بالعروة الوثقى »[5] .

وكتفسير الاذى في قوله « يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى » بالاذى لمحمد وآل محمد[6] .

وكتفسير الحكمة في قوله تعالى « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا[7] » بانها طاعة الله ومعرفة الامام[8]

وتفسيره لاية « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم على العالمين[9] » بأدخال اهل البيت في ذلك[10] .

---

(١) الصافي : ١/ ٤٧ ـ ٤٨

(٢) الصافي : ١/ ٥٧

(٣) الصافي : ١/ ٥٨

(٤) الصافي : ١/ ٢١٥ والآية رقم ٢٥٦ من البقرة

(٥) الصافي : ١/ ٢١٥ والآية نفسها .

(٦) الصافي : ١/ ٢٢٥ والآية ٢٦٤ من البقرة .

(٧) البقرة : ٢٦٩ .

(٨) الصافي : ١/ ٢٢٨ .

(٩) آل عمران : ٣٢ .

(١٠) الصافي : ١/ ٢٥٦ .

وفي قوله : « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين[1] . . . » ان ذلك يخص فاطمة ايضا [2] .

وغير ذلك وهي كثيرة جدا .

بل يبلغ به الامر حدا ان يطعن على صحابة رسول الله بالكلام عليهم والغض من شأنهم ، وقد حفل تفسيره بشيء كثير من ذلك ، فهو تارة يجعلهم يبطنون النفاق كما مر ، وتارة ينكر امرا صريحا ثابتاً كطعنه على ابي بكر في تفسيره « ثاني اثنين اذ هما في الغار[3] » ان الله لم يذكره بخير[4] فيها ، وعلى سائر الصحابة[5] ، وهو أمر لا ينكر .

ولاجل تعصبه تراه يؤيد اصول مذهبه بكل ما يستطيع من الادلة ، ولو كان في ذلك خروج عن ظاهر النص القرآني ، ولا سيما في موضوع ولاية علي رضى الله عنه [6] ، والوصية بالامامة من كل امام لمن بعده [7] في آية « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها[8] » والرجعة[9] والتقية[10] وغير ذلك كما يؤيد فروع ذلك المذهب كما في المتعة[11] ونكاح الكتابيات[12] وغير ذلك .

بل ربما يذهب الى ان « جل القرآن انما نزل في أهل البيت وفي اوليائهم واعدائهم . . .[13] » .

٥ ـ وهو يرى ان القرآن قد حرف وزيد عليه او انقص منه فقال بعد روايته للاخبار التي رواها .

---

(١) آل عمران : ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) الصافي : ١/ ٢٦٢ .

(٣) التوبة : ٤٠ .

(٤) الصافي : ١/ ٧٠٢ .

(٥) الصافي : ١/ ١١١ .

(٦) انظر ذلك في تفسير الايات ٥٥ ، ٦٧ من سورة المائدة في تفسير الصافي : ١/ ٤٥٠ ، ٤٦٢ ، التفسير والمفسرون : ٢/ ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٧) تفسير الصافي : ١/ ٣٦٣ ، والتفسير والمفسرون : ٢/ ١٧٣ .

(٨) النساء : ٥٨ .

(٩) الصافي : ١/ ٩٤ في تفسير « ثم بعثناكم . . . » من البقرة : ٥٦ .

(١٠) الصافي : ١/ ٢٥٢ عند تفسير « الا أن تتقوا منهم تقاة » آل عمران : ٢٧ .

(١١) الصافي : ١/ ٣٤٥ عند تفسير « فما استمتعتم به منهن » النساء : ٢٤ .

(١٢) الصافي ١/ ١٩٠ ، عند تفسير « ولا تنكحوا المشركات » البقرة : ٢٢١ .

(١٣) الصافي : ١/ ١٤ .

« اقول : المستفاد من جميع هذه الاخبار وغيرها من الروايات من طريق اهل البيت عليهم السلام ان القرآن الذى بين اظهرنا ليس بتمامه كما انزل على محمد صلى الله عليه وآله بل منه ما هو خلاف ما انزل ومنه ما هو مغير ومحرف وانه قد حذف عنه اشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليهم غير مرة ومنها اسماء المنافقين في مواضعها ، ومنها غير ذلك وانه ليس ايضا على الترتيب المرضى عند الله وعند رسوله . . . .[1] » .

ثم يبدأ بتفصيل ذلك .

ثم يثير اشكالات على هذه الاخبار فيقول :

ويرد على هذا كله اشكال : وهو انه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن اذ على هذا يحتمل كل آية منه ان يكون محرفا ومغيراً ويكون على خلاف ما انزل الله ، فلم يبق لنا في القرآن حجة اصلا فتنتفي فائدته وفائدة الامر باتباعه ، والوصية بالتمسك به الى غير ذلك ، وايضا قال الله عز وجل (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[2]) وقال : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون[3]) فكيف يتطرق اليه التحريف والتغيير ؟ وايضا قد استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروى على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له وفساده بمخالفته ، فاذا كان القرآن الذى بايدينا محرفا فما فائدة العرض مع ان خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله[4] .

ثم يقول :

ويخطر بالبال في دفع هذا الاشكال ، والعلم عند الله ، ان يقال : ان صحت هذه الاخبار فلعل التغيير انما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير اخلال كحذف اسم علي وآل محمد صلى الله عليهم وحذف اسماء المنافقين عليهم لعائن الله ، فأن الانتفاع بعموم اللفظ باق ،وكحذف بعض الايات وكتمانه ، فان الانتفاع بالباقى باق مع ان الاوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا من هذا القبيل . ويدل على هذا قوله عليه السلام

---

(١) تفسير الصافي : ١/ ٣٢ .

(٢) فصلت : ٤٢

(٣) الحجر : ٩ .

(٤) الصافي : ١/ ٣٣ ـ ٣٤ .

في حديث طلحة : ان اخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة فان فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا .

ولا يبعد ايضا ان يقال ان بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من اجزاء القرآن فيكون التبديل من حيث المعنى اى حرفوه وغيروه في تفسيره وتأويله اعنى حملوه على خلاف ما هو به ، فمعنى قولهم عليهم السلام كذا نزلت ان المراد به ذلك لا انها نزلت مع هذه الزيادة في لفظها فحذف منها ذلك اللفظ .

ومما يدل على هذا ما رواه في الكافي باسناده عن ابي جعفر عليه السلام انه كتب في رسالته الى سعد الخير وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرفوا حدوده فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للراوية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية الحديث .

وما رواه العامة ان عليا عليه السلام كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ . ومعلوم ان الحكم بالنسخ لا يكون الا من قبيل التفسير والبيان ولا يكون جزءا من القرآن فيحتمل ان يكون بعض المحذوفات ايضا كذلك .

هذا ما عندى من التقصى عن الاشكال والله يعلم حقيقة الحال[1] .

٥ ـ وقد يلتقى الفيض الكاشاني في آرائه مع المعتزلة في بعض المسائل وان كان لا يجاريهم في ما يقولون .

فمما وافقهم فيه ففيه(رؤية الله) قال في تفسيره لقوله تعالى « وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة[2] » .

« قال ينظرون الى وجه الله اى الى رحمة الله ونعمته ، وفي العيون عن الرضا عليه السلام قال يعنى مشرقة تنتظر ثواب ربها ، وفي التوحيد والاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام في حديث قال : ينتهى اولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب الى نهر يسمى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون منه فتبيض وجوههم اشراقا فيذهب عنهم كل قذى ووعث ثم يؤمرون بدخول الجنة فمن هذا المقام ينظرون الى ربهم كيف يثيبهم ثم قال فذلك قوله تعالى (الى ربها ناظرة) وانما يعنى بالنظر اليه النظر

---

(١) الصافي : ١/ ٣٤ .

(٢) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .

الى ثوابه تبارك وتعالى . وزاد في الاحتجاج : والناظرة في بعض اللغة هي المنتظرة الم تسمع الى قوله (فناظرة بم يرجع المرسلون) اى منتظرة . .[1] » .

٦ ـ وقد اعتاد الفيض الكاشاني أن يذكر في نهاية تفسير كل سورة الاحاديث الواردة بشأن فصل هذه السورة وما فيها من الاجر وما شابه ذلك ، وهي في الغالب احاديث ضعيفة .

---

(١) الصافي : ٢/٧٦٦ .

الفصل الثامن
المدرسة الحديثة في التفسير

١ ـ تفسير الجوهري

٢ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب

٣ ـ المنتخب في تفسير القرآن ـ لجنة العلماء

الفصل الثامن

المدرسة الحديثة في التفسير

لم يكن في الواقع مدرسة حديثة في التفسير تختلف عن المدارس القديمة او لم تفرع عن اصل المدرستين اللتين هما التفسير بالاثر والتفسير بالرأي .

والنهج الذي سار عليه المفسرون في الوقت الحاضر لم يختلف في اصوله واتجاهه عن الاسلوب القديم . فهو امتداد للتفسير القديم بكل منهجيته واسلوبه .

سوى ان التفسير في الوقت الحديث اتسم ببيان الاصول لبعض العلوم التي ظهرَت مؤخراً في القرآن الكريم كما ان استخدام بعض المصطلحات العلمية الحديثة في تفسير القرآن الكريم بدا واضحاً في التفاسير الحديثة كالمنار والجوهري وفريد وجدى وغيرهم .

والذي برز في التفاسير يختلف عن المنهج القديم هو تفسير الشهيد سيد قطب رحمه الله .

فان ظروف المسلمين الحاضرة من عدم وجود دولة لهم وغروب القوانين الشرعية الاسلامية عن المجتمع واحتكام المسلمين الى قوانين وانظمة تختلف في نصها ومضمونها واتجاهها في بناء المجتمع عن الشريعة الاسلامية كل هذه العوامل بدت في تفسير سيد قطب .

فان المفسرين المسلمين في الوقت الحديث حذوا اثر المفسرين القدامى الذين عاشوا في ظل حكومة اسلامية في كلياتها السياسية وقوانينها ومحاكمها وهدفها في تطبيق القوانين وبناء المجتمع .

فبدت تفاسيرهم كانها قديمة بالفاظ حديثة . ولكن الشهيد سيد قطب احس بعدم شرعية الحكومات التي يعيش بظلها المسلمون وكفر القوانين التي تحكمهم

والهاوية التي يقاد المسلمون اليها والمجتمعات الاسلامية . كل هذا احس به سيد قطب فاتضح في تفسيره المتكون من ثلاثين جزءاً عالج فيه السياسة والاجتماع والاقتصاد الاسلامية وبطلان وعدم جدوى الانظمة غير الاسلامية كما بين عدم صلاحيتها للمجتمع الانساني .

لم يقتصر هذا على سيد قطب رحمه الله وانما شاركه في هذه النظرة دعاة مسلمون وعلماء ولكن تفسير سيد قطب رحمه الله هو النموذج الحي لهذا الاتجاه .

وقد درسنا تفسيرين من التفاسير الحديثة تفسير يسير على نفس المنهج القديم والتفاسير القديمة التي عاشت بالظروف التي بيناها ولكن بالفاظ واسلوب عصري ومصطلحات علمية حديثة وتفسير انخلع من هذا العصر ليعالج مساوئه ويشفي امراضه بالقرآن الكريم .

عسى ان يهدينا الله لخير ما كان ويكون انه نعم المولى ونعم النصير .

الجواهر في تفسير القرآن
للشيخ طنطاوي جوهري

مؤلف هذا التفسير :

ومؤلفه هو الشيخ طنطاوي[1] بن جوهري المصري المفسر والاديب .

ولد في سنة (١٢٨٧هـ - ١٨٧٠ م) في قرية كفر عوض الله حجازي احدى قرى الشرقية بمصر وفيها تلقى تعليمه على يد ابيه وعمه الشيخ محمد شلبي ودرس في المدارس الحكومية والتحق بالازهر واتقن العلوم الدينية والعربية والعلوم الاخرى وعنى بدراسة اللغة الانكليزية التي كانت مادة مهمة في ثقافته وسعة معلوماته العلمية ، ومارس التعليم في المدارس الابتدائية ، ثم مدرساً بدار العلوم واخيراً مدرساً في الجامعة المصرية ، وكان شيخاً صالحاً واديباً فاضلا وكاتباً مجيداً وشاعراً قديراً ، وخلف عدداً من الكتب المطبوعة من تآليفه . توفي بالقاهرة (١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م) .

تعريف بكتاب الجواهر في تفسير القرآن :

كتاب (الجواهر) واسمه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات) تفسير للقرآن الكريم وضعه الشيخ طنطاوي جوهري على نمط حاول فيه أن يفسر القرآن تفسيراً علمياً مع العناية بالاحكام والاخلاق القرآنية ، لذلك فهو يكثر من ذكر عجائب الكون واسرار العلوم والنظريات الحديثة ويسخرها لخدمة آية أو لفظة او حكم من الاحكام

---

(١) له ترجمة في مرآة العصر : ٢/ ٢٢٥ ،الاعلام الشرقية لزكي مجاهد : ٢/ ١١٦ ،جريدتي البلاغ والاهرام في ٣ ذي الحجة ١٣٥٨ ،معجم المطبوعات : ١٢٤٣ ،الاعلام (ط٢) : ٣/ ٣٣٣ - ٣٣٤ ، التفسير والمفسرون : ٣/ ١٧١ - ١٨٤ ،وهو يتحدث عن نفسه كثيراً في تفسيره (الجواهر) كلاماً فيه مادة كبيرة للتعرف على شخصه وطبيعته واخباره .

القرآنية . انتهى من تأليفه كما ورد في نهايته صباح يوم الثلاثاء ٢١ شهر المحرم ١٣٤٤ هجرية ١١ أغسطس سنة ١٩٢٥ م .

وقد طبع الكتاب طبعته الاولى بمطبعة مصطفى البابي الحلبي منجماً في الفترة ما بين ١٩٢٢ - ١٩٣٥ وقد وقع في ٢٦ جزءاً في ١٣ مجلداً ، وطبع طبعته الثانية بالمطبعة نفسها عام ١٣٥٠ باشراف محمد امين عمران ، وكان الجزء السادس والعشرون منه هو المسمى بـ (ملحق الجواهر في تفسير القرآن) وعلى هذه الطبعة كانت احالاتنا .

منهج الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر

١ - يقوم هذا التفسير على تفسير الآيات القرآنية تفسيراً حديثاً قائماً على معطيات العلوم الحديثة والنظريات الجديدة ، ويجعل من الآية منطلقاً الى ولوج ابواب تلك العلوم .

ومن امثلة ذلك قوله في تفسير ﴿ ويدبر الامر من السماء الى الارض ﴾ « ان تنزيل الامر من السماء الى الارض يقتضي البحث في غرضين : الغرض الاول : النظر في منشأ هذا العالم من مبدئه . . .[1] » ثم يبدأ هذا البحث . . .

وحين يفسر سورة الزلزلة مثلاً يقدم لها بتفسير لفظي مختصر ويذكر ما فيها من لطائف ، ثم يستعرض ما وقع من حوادث الزلزال في ايطاليا وما وصل اليه العلم الحديث من استخراج الفحم والبترول من الارض وما يقوم به الانسان في وقتنا الحاضر من استخراج الدفائن من الارض . . .[2] ويربط ذلك بالاية ربطاً محكماً . . .

٢ - وهو دائم المقارنة بين الايات وبين ما جاء في العلم الحديث ، بل قد يعقدها على هيئة جدول كما فعله في اثناء تفسيره للايات المبتدئة بقوله تعالى : ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾

قال : هذا ملخص ما جاء في العلم الحديث وفي علم الارواح موازناً به ما جاء في القرآن والحديث :

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن : ١٥/ ٢٠٠ وما بعدها .

(٢) الجواهر : ٢٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ .

موازنات

العلم الحديث	القرآن والحديث الشريف
١ ـ الارض انفصلت عن الشمس والقمر انشق منها .	١ ـ ﴿ اولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ﴾
٢ ـ الارض اذا جاء اجلها تمور وتصير هباء ، ثم تصير عالما جديدا وكذا بقية الكواكب	٢ ـ ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴾

وهكذا يستمر في عقد المقارنات وهي كثيرة[١] .

٣ ـ وهو يؤول الاشياء التي لا تخضع للعلم كاحياء الموتى ووجود الملائكة والبعث والنشور والخوارق والاسراء والامور الغيبية تأويلا يجعلها ممكنة الحدوث في عالمنا هذا ، ويضرب عليها كثيراً من الامثلة انظر الى تأويله لقوله تعالى :
﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾[٢] اذ يجعل ضرب القتيل ببعض لحم تلك البقرة واحياءه واخباره عن القاتل ، ضرباً من احضار الارواح الذي اهتم به الناس باعتباره علماً حديثاً واخذ يضرب على ذلك امثلة جرت في ذلك .[٣]

٤ ـ واهتمامه بالنواحي العلمية ينطلق من عدة دوافع على رأسها :
أ ـ ميل المؤلف الى تلك النواحي .
ب ـ ان العلم هو السلاح المجدي والمقنع في هذا العصر الذي ضربت فيه الامم بسهم وافر .
ج ـ حاجة الامة الى ذلك لتخلفها .
د ـ توثيق الصلة بين القرآن والعلوم الحديثة .

---

(١) الجواهر : ٢/ ١٨٦
(٢) البقرة : ٧٣
(٣) الجواهر : ١/ ٨٤

ه ـ ان الآيات العلمية الواردة في ثنايا القرآن أكثر من الآيات التي استنبط منها الفقهاء احكامهم ، فاذا كانت آيات الاحكام (١٥٠) على رأي بعضهم او (٢٠٠) آية ، او (٥٠٠) آية وكون منها الفقهاء والمفسرون ما يملأ الارض من الكتب والتفاسير فان الآيات العلمية بلغ عددها (٧٥٠) آية وهي بلا شك دلالة على عناية القرآن بالعلم ووجوب صرف المهمة الى ذلك[1] .

٥ ـ يبدأ الشيخ طنطاوي جوهري تفسير السورة عادة بذكر ملخص للسورة ، ويقسم السورة الى اقسام ، ثم يذكر مقصد كل قسم ، ثم يتبع ذلك بمقدمة عن مناسبة السورة لما قبلها ، ثم يبدأ بالمقصد الاول فيذكر مقطعاً من الاية أو من السورة (لان ذلك المقطع قد يحتوي على اكثر من آية) ثم يبدأ بتفسيره اللفظي ، ثم يبدأ بالمعنى فيقسم المقصد الواحد الى فصول ، ويتبع كل فصل بما يراه مناسباً من اللطائف الدقيقة والظواهر التي تنبه الاذهان الى سر أمر غامض او كنه شيء مألوف لم ينتبه اليه .

٦ ـ وهو يفسر الحروف المقطعة بتفسيرات كثيرة تختلف في كل سورة عن غيرها ، كما يفسر البسملة في كثير من السور تفسيرات تختلف بحسب مواضعها كما فعل القشيري في البسملة في اوائل السور الا ان الشيخ طنطاوي يختلف عنه في انه يربط ذلك بما جاء في العلم والنظريات الحديثة .

انظر نموذجاً من ذلك من تفسيره لها في بداية سورة آل عمران[2] فانه يأتي باشياء عجيبة حول هذه الحروف ، فمرة يحسبها بحساب الجمّل المبنى على ان للحروف الهجائية مقادير عددية . ومرة اخرى يجعلها رموزاً للاتساق بين الكون والافلاك واعضاء جسم الانسان وحواسه وغير ذلك من الامور ، ومرة اخرى يجعلها اشارات الى سور اخرى يذكر فيها ذلك اللفظ بكثرة وغير ذلك .

٧ ـ وهو في تفسيره مصلح يدعو قومه الى الاصلاح ما استطاع اليه سبيلا وهو يقاوم الجهل والتقليد الذي خيم على مجتمعه ، يتضح ذلك مما مر ومن المحاورات التي يجريها مع الناس ليبصرهم بما هم فيه من البدع والضلالات والتقليد المقيت . قال :

« . . . س : دع ذكر الامم والممالك ، واذكر حكاية صغيرة يعرفها

---

(١) كرر هذا المعنى اكثر من مرة في تفسيره فانظر ذلك في الجواهر : ١/ ٢ ـ ٣ ، ٢٥/ ٢٤٤ .

(٢) الجواهر : ٢/ ٥ وما بعدها

الفلاحون ويفهمها المزارعون الذين يعقلون » .

ج : نعم

المسألة الاولى : قابلني منذ عشرين سنة مزارع صغير . . . الخ[1] » وهو يقول في تفسيره لسورة الانفال بعنوان الاصلاح العام « واعلم ان دواء هذا الداء في الامم الاسلامية يجب له الشروط الاتية . . . ويذكر سبعة شروط[2] . وكذا في تفسيره لسورة يونس[3] وفي آخر التفسير[4] .

٨ ـ وهو لا ينفك يحشي تفسيره بما يحدث في ساعته من استفسارات او محاورات علمية ، او ما يشعر به من مشاعر في تلك الاونة[5] وقد تحضره قصيدة نظمها او تخميس ابيات رتبها ، او ترجمها الى العربية شعراً[6] وقد ينقل مقالا كتبه هو او رسالة ارسلها الى جهة ما او فقرة كاملة من كتاب كان قد الفه ، وهو دائماً يشير ويحيل الى كتابه الذي وضعه في علم الارواح ، بل غدا تفسيره اشبه بالمذكرات يؤرخها يوماً بعد يوم[7] ، ثم قد يستنسخ من كلام غيره مقالا باكمله او خبراً تنشره الصحف اليومية ، وقد يستغرق في موضوع علمي فيملأ الصفحات العديدة حول ذلك ويعزز ذلك بغرائب الحوادث والواقعات ويستشهد على ذلك بجدول او تقرير رسمي او بيان موجه الى جمهور الناس فضلاً عن مئات الصور والرسوم التي زين بها تفسيره .

وقد ينقل عن الاناجيل[8] وغيرها ما يراه موافقاً لمعنى آية او حكمة او ظاهرة من ظواهر هذا الكون ، او عن الفلاسفة والفرق[9] .

٩ ـ وقد باتت هذه الامور من الكثرة بحيث قد طغت على التفسير وغلبت عليه حتى

---

(١) الجواهر : ٣/ ٢٢٣

(٢) الجواهر : ٥/ ١٤

(٣) الجواهر : ٦/ ١٧

(٤) الجواهر : ٢٥/ ٢٣٧

(٥) انظر على سبيل المثال : الجواهر : ١/ ٣٥ ، ٤٩ ، ٣/ ٢١٣ .

(٦) الجواهر : ٢/ ١٦٠ ، ٥/ ١٥١ ، ١٥٣

(٧) انظر على سبيل المثال الجواهر : ١٢/ ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ويكثر ذلك في الاجزاء الاخيرة .

(٨) الجواهر : ٣/ ٢١٩

(٩) الجواهر : ١٥/ ٧ ، ٢٥/ ٢٣٧ ـ ٢٤٣

ليجد المرء صعوبة في تفسير الاية تفسيراً كاملاً ، وفي اي موضوع هو ، لاستطراده الى هذه الموضوعات العلمية واستغراقه لجزئيات بعضها مما يفوت الفرصة على القارىء ويشتت ذهنه ولاجل ذلك قيل عنه « انه في تفسيره كل شيء ما عدا التفسير »[1] .

ولا شك ان ذلك غلو ، لاننا نجد فيه من النكات الدقيقة والالتفاتات الصائبة ما لا ينكر فضله وسبقه اليه .

وعلى كل حال فان طغيان النواحي العلمية والاستطرادات الكثيرة الى النظريات الكونية والموضوعات الحديثة في مختلف العلوم وخروجه عن علم التفسير وابتعاده عنه كل ذلك يجعل تفسيره ـ وان ترجم كما يقول الى لغات عديدة ـ لم يلق قبولا كاملاً عند أهل العلم والتفسير ، لاجل هذه الناحية وهذا يفسر لنا كثرة ما يحكيه لنا هو عن نفسه من المحاورات والاعتراضات التي اشرنا الى بعضها ، ويؤكد ذلك ما جاء في آخر الكتاب وقبل تمامه من أنه ارسل رسالة الى « عبد العزيز بن سعود » ملك نجد والحجاز حين منع العلماء هناك نشر هذا التفسير وتداوله في تلك الاقطار[2] ، فلم يتحقق ما كان يتوقعه ويصبو اليه في بداية الكتاب[3] من تعلق الناس بهذا النوع من التفسير ورواجه واحداثه ما كان يصبو اليه من التغيير .

١٠ ـ وبعد فان تفسير الشيخ طنطاوي جوهري المسمى بالجواهر في تفسير القرآن موسوعة ضخمة اراد لها مؤلفها أن تحدث تغيراً في حياة الامة التي ساءته حالتها المتأخرة فاراد أن يربط الايات بمقررات العلوم الحديثة مما يكون حافزاً لابناء هذه الامة ليستعيدوا مجدهم ، وينطلقوا من مبادىء القرآن ليحققوا لها العزة والمجد . جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً .

* * *

---

(١) الدكتور صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن (ط٤) : ٢٩٧

(٢) الجواهر : ٢٥/ ٢٤٤

(٣) الجواهر : ٣/١

تفسير في ظلال القرآن
لسيد قطب

مؤلفه :

مؤلف هذا التفسير هو سيد قطب[1] احد الكتاب الاسلاميين المعاصرين بمصر حفظ القرآن في صباه وتأثر باسلوبه وتدرج في طلب العلم حتى تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٣١ وكان له اهتمام كبير بالادب والنقد والتربية وله مشاركة في تأليف كثير من الكتب المدرسية هناك .

استشهد في سنة (١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) ولم يتجاوز عمره الخامسة والستين وترك عدداً من الكتب مطبوعة .

تفسيره في ظلال القرآن :

كتاب (في ظلال القرآن) تفسير عصري مبسط للقرآن اراد مؤلفه ان يعيش الاجواء القرآنية ، ويستمد منها ما يملأ نفوس الشباب من الايمان والتضحية لينبعثوا الى الحياة بروح القرآن وايمانه وبنفوس المؤمنين المخبة وعزة المجاهدين وصبرهم .

طبع الكتاب في دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢ - ١٩٥٩ في ثلاثين جزءاً واخرى في مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ - ١٩٥٩ ، واخرى فيها ١٩٦١ . ثم طبع بالاوفست عليها طبعات كثيرة ولقي رواجاً كبيراً وقد تيسرت لنا الطبعة الخامسة ببروت ١٣٨٦ - ١٩٦٧ في ثلاثين جزءاً بثمانية مجلدات وهي التي احلنا اليها .

منهج سيد قطب في ظلال القرآن :

---

(١) له ترجمة في مجلة التربية الاسلامية السنة ٨ عدد ١١ في جادي الاخرة ١٣٨٦ تشرين الاول ١٩٦٦ ص ٥٩ وانظر الجرائد المصرية الصادرة في ٢٩ آب ١٩٦٦ والطبعة الاخيرة من تفسيره في ظلال القرآن .

١ - بين المؤلف غاية هذا التفسير بانها تبصير الناس بما في القرآن من اجواء كريمة وظلال وارفة ، وان العيش في تلك الاجواء نعمة لا يعرفها الا من ذاقها « نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه »[1] فما اجدر الناس بأن يتفيّؤوا ظلاله ، ويعيشوا في كنفه ، فان فيه العز والكرامة والعيش الآمن الرغيد .

وقد اخبر المؤلف بأنه قد عاش تلك الحياة وذاق من نعمها ما لم يذق قط في حياته ، ثم يبدأ بوصف تلك النعمة وتلك الظلال وتلك الحياة وما فيها من النعيم والسعادة .

٢ - وهو يرى أن الاحتكام الى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار ، انما هو الايمان . . او . . . فلا ايمان . . « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم . . . »[2] وهو منهج تشريعي كامل لحياة الانسان في كل العصور .

٣ - ولكن هذا المنهج برأيه يقف امامه من يحاول صده ومنعه من المضللين والطغاة ومن الجهلة به .

قال :

« ان هناك عصابة من المضللين الخادعين اعداء البشرية يضعون لها المنهج الالهي في كفة والابداع الانساني في عالم المادة في الكفة الاخرى ، ثم يقولون لها : اختاري !!! اختاري ، اما المنهج الالهي في الحياة والتخلي عن كل ما ابدعته يد الانسان في عالم المادة واما الاخذ بثمار المعرفة الانسانية والتخلي عن منهج الله !! وهذا خداع لئيم خبيث ، فوضع المسألة ليس هكذا ابداً . . . ان المنهج الالهي ليس عدواً للابداع الانساني ، انما هو منشىء لهذا الابداع وموجه له الوجهة الصحيحة . . . » الى ان يقول :

« وهناك آخرون لا ينقصهم حسن النية ولكن ينقصهم الوعي الشامل والادراك العميق . . . »[3] ثم يبين هؤلاء ويناقشهم .

---

(١) في ظلال القرآن : ١ / ٣

(٢) في ظلال القرآن : ١/ ٨

(٣) في ظلال القرآن : ١/ ١٠/ ١١

٤ - صاغ سيد قطب تفسيره صياغة عصرية باسلوب ادبي ممتع ، وتحليل وعرض تتوسم فيهما جمال الصياغة وحسن الديباجة ، ووضوح العبارة وبلاغتها ، مستعيناً على ذلك بما أوتي من ثقافة واسعة واطلاع عميق ، ومقدرة فائقة على امتلاك زمام الادب والنقد اللذين برع فيهما ، وبما اوتي من مقدرة على تحليل النصوص واستكناه اسرارها ، وتسليط الاضواء على الجواهر الخفية التي استترت وراء الالفاظ القرآنية مستعيناً بقواعد النقد وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وبعض العلوم الحديثة الاخرى .

انظر اليه في حديثه عن الربا في تفسيره لاية ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس . . . ﴾[1] اذ يناقش النظريات التي يقوم عليها في بحث مستفيض شغل بضعاً وعشرين صفحة .[2]

٥ - وضع سيد قطب تفسير كل جزء من اجزاء القرآن في جزء مستقل فكان مجموعها ثلاثين جزءاً يبدأ تفسير السور بتمهيد عن المعنى الاجمالي للسورة أو المحور الذي تدور عليه ويحاول أن يبرز التناسق بين اجزاء السورة ، ولا يخفى ان كل سورة فيها من المواضيع العديدة ما فيها ، فهو يحاول أن يجعلها وحدة مستقلة ، وذلك بأن يتلمس الخيط المشترك بين انحاء السورة ، ثم يبين في هذا التمهيد الظروف التي نزلت السورة فيها وحالة المجتمع الذي يترقبها .

ثم بعد هذا التمهيد يتناول مقطعاً من السورة فيه آية أو آيات ، فيذكر سبب نزوله اولا ، ويناقش تلك الاسباب ، ويبدأ بتفسيره مبيناً اجواءه وظلاله من خلال المأثور الوارد فيه ، ولا ينتقل من هذا المقطع او (الدرس) كما يسميه الا بعد أن يسبر اغواره العميقة ومعانيه الدقيقة ، فيستخرج منها ما دق ولطف باسلوب نجد فيه من العمومية والشمول ما لا نجد في تفسير آخر .

وقد يختتم ذلك المقطع او الدرس بما يتمخض عنه النص القرآني من الحقائق الضخمة . انظر اليه بعد سرد حوادث موقعة احد ووصف المعاني الدقيقة فيها (إذ أستغرق ذلك اكثر من مائة وعشرين صفحة) يختتم ذلك بقوله :

---

(١) البقرة : ٢٧٥

(٢) في ظلال القرآن : ٣/ ٦٩ - ٩٤ ،وانظر ٤/ ٧٢ ، ١٣٢ .

وبعد فقد تمخضت المعركة والتعقيب القرآني عليها عن حقائق منوعة يصعب احصاؤها ثم ايفاؤها حقها من البسط والعرض في هذا السياق من الظلال ، فنكتفي بالاشارة الى اشملها وابرزها ، ليقاس عليه سائر ما في الغزوة كما عرضها القرآن الكريم من مواضع العبرة والاستدلال . . . ثم يذكر ست حقائق ضخمة منوعة ، أو قل ست أحكام عامة يستنبطها من هذا النص القرآني[1] .

٦ ـ وتتجلى طريقته الجديدة في تفسير القرآن بما يقدمه من دراسات فنية للنص القرآني ، فالقرآن نثر ليس كالنثر ، وما فيه من الفنون النثرية كالقصة والحوار وغير ذلك لها طابع خاص جدير بالدراسة واستشفاف مقوماته وخصائصه ولقد قدم لنا سيد قطب في هذا المجال تراثاً فنياً ودراسة قيمة للفن القصصي في القرآن لا سيما وقد عرف بمقدرته البارعة في الدراسات النقدية والادبية كالذي قدمه في مقدمة سورة يوسف[2] وسورة القصص[3] .

٧ ـ وقد تستوقفه لفظة ينظر فيها من الوجهة اللغوية وما تثيره تلك الصيغة من معان : فقد استوقفته كلمة (اخرجت) بالبناء للمفعول من قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس ﴾[4] والجار والمجرور المتقدم على الجملة في قوله ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[5] وغير ذلك كثير .

٨ ـ وقد يعمد الى تعزيز ما يخبر به الله تعالى من أحوال أهل الكتب السماوية بما يرد في كتبهم :

فحين تكلم على قوله تعالى ﴿ الله لا اله الا هو الحي القيوم[6] ﴾ في بداية آل عمران اخبر ان القرآن حكى عن اليهود أنهم كانوا يقولون : عزير ابن الله ، فأحال سيد قطب الى ما جاء في سفر التكوين الاصحاح السادس ما

---

(١) في ظلال القرآن : ٤/ ١٥٧ ـ ١٦٩ ، وانظر كذلك ٣/ ٢١٥ ـ ٢٢٩ ، ٢٣٢ ـ ٢٣٦ .
(٢) في ظلال القرآن : ١٢/ ١٧٩ وما بعدها .
(٣) في ظلال القرآن : ٢٠/ ٣٢ وما بعدها .
(٤) آل عمران : ١١٠ وتجد تفسيرها في الظلال : ٤/ ٣٠ ـ ٣١
(٥) آل عمران : ١٢٢ وتجد تفسيرها في الظلال : ٤/ ٦٤ .
(٦) آل عمران : ٢

يؤيد ذلك .[1]

او قد يعزز ما يقوله باقوال علماء مختصين في علومهم لا سيما العلوم الحديثة .[2]

٩ ـ ثم انه في تفسيره لم يشبع ما اشبعه الاقدمون من المفسرين بحثاً وتقصياً في المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية والاحكام الفقهية واختلاف الفقهاء فيها ، بل هو « الى التوجيه أقرب منه الى التعليم » كما يقول الدكتور صبحي الصالح[3] .

١٠ ـ وبعد فان كتاب (في ظلال القرآن) نمط فريد في التفسير يلائم روح العصر وتفكيره ، وقد لاقى من الرواج ما لم يلاقه تفسير آخر ، لانه فضلاً عن كونه كنزاً أدبياً ثميناً ـ محاولة عصرية لفهم القرآن فهماً قائماً على تصوير كتاب الله نظاماً شاملاً لنواحي الحياة ، يجد فيه المؤمن آفاقاً فسيحة للتأمل في آياته الكريمة والعيش في ظلالها المفعمة بالعزة والقوة ، ومحاولة جديدة لتربية القارىء والاخذ بيده برفق الى شاطىء الفضيلة والعودة الى رحاب القرآن .

---

(١) في ظلال القرآن : ٣/ ١٤١ .

(٢) انظر نموذجا من ذلك في الظلال : ٣/ ٧٥ .

(٣) مباحث في علوم الثقرآن (طـ ٤) ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

كتاب المنتخب في تفسير القرآن

وهو تفسير مبسط للقرآن الكريم وضعته لجنة في المجلس الاسلامي الاعلى في جمهورية مصر العربية لغرض تمحيصه ومراجعته من ائمة التفاسير ورجال العلم ليصل الى خير ما يستطاع من درجات الحسن والتصفية والصلاح ، ثم يترجم الى اهم اللغات حتى يعم به النفع وتتحقق به الفائدة ولا تقتصر فائدته على اهل اللسان العربي .

طبع من الكتاب خمسة اجزاء سنة ١٣٨١ هـ ١٣٨٤ / ١٩٦١ - ١٩٦٤[1] ولم يكمل وقد وصلوا فيه الى آخر سورة الجاثية .

قيمة هذه الخطوة

لا شك ان تبليغ احكام الله الى الناس هو واجب العلماء وهو فرض كفائي وقد يكون عينياً اذا لم يقم به احد من هؤلاء .

لاجل ذلك بادرت وزارة الاوقاف في مصر باعداد صيغة لترجمة القرآن الى اللغات الاخرى لهذه الغاية ، ومن المعلوم ان ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى عمل يحتاج الى كثير من الدقة والحذر ولذلك تحرج منه كثير من العلماء ولكن ماذا ينفع هذا التحرج والناس بحاجة الى معرفة تلك الاحكام بلغاتها . وقد قامت جهود شخصية منذ القدم بترجمة كتاب الله الخالد الى لغات كثيرة ، وهذه الجهود الشخصية كانت متباينة في درجات النجاح والفشل ، فلأجل احراز اعلى درجة من درجات الحسن

---

(١) حول طبعة انظر النشرة المصرية للمطبوعات من ١٩٦١ - ١٩٦٢ ص ٣٤ رقم ٣٥٤ ، دليل المراجع العربية والمعربة عبد الجبار عبد الرحمن ص ١٦٦ .

المستطاعة اتخذت هذه الخطوة وذلك بوضع صيغة لمعاني آيات القرآن تكون موضعاً للدراسة من قبل علماء هذه الامة في مشارق الارض ومغاربها فيتفق على الصيغة النهائية ثم تبدأ عملية الترجمة بعد ذلك ولها اصول وطرق متبعة . ضماناً لوصول المعاني القرآنية الى هؤلاء محافظة على وجازة اللفظ وسعة المعنى في آن واحد .

منهج هذا التفسير

١ ـ لما كان الغرض من هذا التفسير هو اعداد صيغة من التفسير المبسط للقرآن الكريم ، وتقريب معانيه الى الاذهان بغية ترجمتها الى اللغات الاخرى ، نجد ان هذا التفسير قام على التعريف بالمعنى الاجمالي للايات باوضح الالفاظ واوجزها وابسطها تحقيقاً للغاية التي وضع هذا التفسير من اجلها ، حتى كان يصل من الايجاز الى درجة شرح الكلمة بمرادفتها فقط دون زيادة .

فقد ورد في تفسير قوله تعالى في سورة طه حكاية عن موسى : ﴿ قال رب اشرح لي صدري . ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من اهلي . هارون اخي . اشدد به ازري . واشركه في امري كي نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً . . ﴾[1]

ما نصه :

٢٥ ـ فتضرع موسى الى ربه ان يشرح له صدره ليذهب عنه الغضب وليؤدي رسالة ربه .

٢٦ ـ وسهل لي امر الرسالة لاؤدي حقها .

٢٧ ـ وفك عقدة لساني لابين .

٢٨ ـ ليفهم الناس فهما دقيقاً ما اقول لهم .

٢٩ ـ واجعل لي مؤازراً من اهلي .

٣٠ ـ هو اخي هارون .

٣١ ـ اشدد به قوتي .

٣٢ ـ واشركه معي في تحمل اعباء الرسالة وتبليغها .

٣٣ ـ كي ننزهك كثيراً عما لا يليق بك .

---

(١) طه : ٢٥ ـ ٣٥

٣٤ - ونردد اسماءك الحسنى كثيراً .
٣٥ - يا ربنا انك دائماً بصير بنا ومتكفل بامرنا[1] .

٢ - ونتيجة لذلك لم تتعرض اللجنة الى الاحكام الفقهية المختلف فيها بين الفقهاء كما لم تتعرض الى الخلافات الموجودة بين الاصوليين في معنى لفظة او حكم آية بل اكتفت بالمعنى الاجمالي للآيات والتفسير اللفظي للمفردات ، كما رأيت في الفقرة السابقة .

٣ - يقدم للسورة مقدمة وجيزة تعطى ملامحها وخطوطها الرئيسية ، وكونها مكية او مدنية وسبب تسميتها ، ونزولها ، كل ذلك بحيز لا يتجاوز بضعة اسطر ، ويجعل النص القرآني في المتن ، والشرح في الهامش ، آية آية ، كل آية منفصلة في معناها عن الاخرى .

وقد زودت هوامش هذا التفسير بتعليقات على الآيات ويغلب عليها انها تعليقات علمية تؤكد معنى الآية او الحكم .[2]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) انظر على سبيل المثال : المنتخب من تفسير القرآن الكريم : ٥/ ٦٧٢ ، ٦٧٤ ، ٦٨٤ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ .

(٢) المنتخب من تفسير القرآن : ٤/ ٤٧٢ - ٤٧٣ .

اهم المصادر

١ ـ احكام القرآن للجصاص (استانبول ١٣٣٨)
٢ ـ احكام القرآن لابن العربي تحقيق البجاوي ط٣ (عيسى الحلبي ١٩٧٢)
٣ ـ احكام القرآن لالكيا الهراسي (مخطوط ـ نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٤٤ تفسير ورقم ٧١٠ تفسير)
٤ ـ الاعلام لخير الدين الزركلي ط٢ (١٩٥٥)
٥ ـ البحر المحيط لأبي حيان (السعادة ١٣٢٨)
٦ ـ تاج التراجم من طبقات الحنفية لابن قطلوبغا (بغداد ـ العانى ١٩٦٢)
٧ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (السعادة ١٩٣٦)
٨ ـ تأويلات أهل السنة لابن منصور الماتريدي (مطابع الاهرام ١٩٧٠)
٩ ـ التبيان من تفسير القرآن لشيخ الطائفة الطوسي (النجف ١٣٦٠ ـ ١٣٦٥)
١٠ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي (حيدر آباد ١٩٥٦)
١١ ـ تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبي شامة ط٢ (بيروت دار الجبل ١٩٧٤)
١٢ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (دار النهضة الحديثة بيروت)
١٣ ـ الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري ط٢ (مصطفى الحلبي ١٣٥٠)
١٤ ـ الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية للقرشي (حيدر آباد ١٣٣٢)
١٥ ـ حقائق التفسير للسلمي تحقيق سليمان نصيف (رسالة ماجستير مطبوعة على الرونيو القاهرة ١٩٧٥)
١٦ ـ الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٦)

١٧ ـ الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب لابن فرحون تحقيق ابي النور (دار التراث/ القاهرة ١٩٧٢)
١٨ ـ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (السنة المحمدية ١٩٥٢)
١٩ ـ روضات الجنات للخوانساري الطبعة الحجرية طهران ١٣٠٤ ، والطبعة المحققة لاسد الله اسماعيليان
٢٠ ـ زاد المسير لابن الجوزي تحقيق زهير شاويش (المكتب الاسلامي دمشق ١٩٦٤)
٢١ ـ شجرة النور الزكية محمد بن محمد مخلوف (المطبعة السلفية ١٣٤٩)
٢٢ ـ الصافي في تفسير القرآن للفيض الكاشاني (ط حجرية ـ طهران ١٣٨٧)
٢٣ ـ صحيح البخاري بحاشية السندي (المطبعة العثمانية ١٩٣٢)
٢٤ ـ صحيح مسلم بتحقيق فؤاد عبد الباقي (دار احياء الكتب العربية ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦)
٢٥ ـ طبقات اصحاب الحنفية لابن الحنائي (مخطوط/ نسخة مكتبة جامعة براغ)
٢٦ ـ طبقات الحفاظ للسيوطي تحقيق علي محمد عمر (الاستقلال ١٩٧٣)
٢٧ ـ طبقات الحنابلة لابي يعلى (السنة المحمدية ١٩٥٢)
٢٨ ـ طبقات الحنفية لعلي القارىء (مخطوط نسخة مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد)
٢٩ ـ طبقات الشافعية للاسنوي تحقيق د . عبد الله الجبوري (بغداد ـ الارشاد ١٩٧٠ / ١٩٧١)
٣٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي تحقيق الطناحي والحلو (عيسى الحلبي ١٩٦٥)
٣١ ـ طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى ، تحقيق فلزر (بيروت ١٩٦١)
٣٢ ـ طبقات المفسرين للداوودي تحقيق علي محمد عمر (مكتبة وهبة ١٩٧٢)
٣٣ ـ طبقات المفسرين للسيوطي تحقيق مينورسكي (ليدن ١٨٣٩)
٣٤ ـ فتح القدير للشوكاني ط ٣ (مصطفى محمد ١٩٦٤)
٣٥ ـ الفتح المبين في طبقات الاصوليين للشيخ عبد الله مصطفى المراغي ط ٢ (بيروت ١٩٧٤)
٣٦ ـ الفوائد البهية للكنوي ط ١ (السعادة ١٣٢٤)
٣٧ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب ط ٥ (بيروت ١٣٨٦ / ١٩٦٧)

٣٨ ـ الكشاف للزمخشري (مصطفى الحلبي ١٩٦٨)
٣٩ ـ لطائف الاشارات للقشيري (الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٠)
٤٠ ـ مجمع البيان للطبرسي تعليق السيد هاشم الرسولي (بيروت ١٣٧٩)
٤١ ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (مطبعة الترقي دمشق ١٩٥٧)
٤٢ ـ مفاتح الغيب للفخر الرازي (المطبعة البهية المصرية ١٩٣٨)
٤٣ ـ المنتخب في تفسير القرآن (المجلس الاسلامي الاعلى / القاهرة ١٩٦١ - ١٩٦٤)
٤٤ ـ الوافي بالوفيات للصفدي (المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٥٩)
٤٥ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان تحقيق الدكتور احسان عباس .
٤٦ ـ لسان العرب جمال الدين بن منظور طبعة بولاق
٤٧ ـ المفردات في غريب القرآن الراغب الاصفهاني مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠
٤٨ ـ تفسير ناصر الدين البيضاوي البيضاوي مكتبة صبيح ١٩٤٧
٤٩ ـ معجم الفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية المطبعة المصرية العامة ١٩٧٣
٥٠ ـ نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن احمد السيد خليل الوكالة الشرقية ١٩٥٤
٥١ ـ الاتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي محمد علي صبيح
٥٢ ـ تاريخ التفسير الشيخ قاسم المجمع العلمي العراقي
٥٣ ـ مقدمة التفسير الراغب الاصفهاني مطبعة الجمالية
٥٤ ـ فصل المقال فيما بين الشريعة والحقيقة من الاتصال ابن رشد دار المعارف ١٩٧٢
٥٥ ـ التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي دار الكتب الحديثة
٥٦ ـ التعريفات عبد القاهر الجرجاني الدار التونسية
٥٧ ـ التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور مطبعة الحلبي
٥٨ ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني شهاب الدين الآلوسي مكتبة المثنى ـ اوفست

٥٩ ـ التفسير والمفسرون الشيخ محمد حسين الذهبي
دار الكتب الحديثة
٦٠ ـ الكفاية في آداب الرواية الخطيب البغدادي الجمعية العثمانية ١٣٥٧هـ
٦١ ـ محاسن التأويل جمال الدين القاسمي البابي الحلبي ١٩٥٧
٦٢ ـ الموافقات الشاطبي دار الكتب المصرية
٦٣ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي الحسن الرامهرمزي
دار الفكر ـ بيروت ـ
٦٤ ـ مقدمات في علوم القرآن نشر ارتر جيفري مكتبة الخانجي
٦٥ ـ البرهان في علوم القرآن الزركشي البابي الحلبي
٦٦ ـ تفسير الطبري ابن جرير الطبري البابي الحلبي
٦٧ ـ جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البر
٦٨ ـ معرفة علوم الحديث لابي عبد الله الحاكم المكتب التجاري ـ بيروت
٦٩ ـ تفسير القرآن الكريم سفيان بن سعيد الثوري
برنتنك وركس رامبور ١٩٦٥
٧٠ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطي
المكتبة الاسلامية ـ طهران
٧١ ـ مقدمة ابن الصلاح ابو عثمان عمرو بن الصلاح
المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة
٧٢ ـ مقدمة في اصول التفسير ابن تيمية دار المعارف بمصر
٧٣ ـ فتح الباري شرح صحيح النجاري ابن حجر العسقلاني
المطبعة السلفية
٧٤ ـ تفسير مقاتل بن سليمان تحقيق عبد الله شحاته رسالة دكتوراه ـ طبع رونيو
٧٥ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن
المطبعة التجارية ـ القاهرة
٧٦ ـ معاني القرآن الفراء الهيئة العامة المصرية
٧٧ ـ الرعاية لحقوق الله الحارث المحاسبي دار الكتب الحديثة